نبذة من احوال المصنف رحمه الله تعالى

هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي نسبة الى يحصب بن مالك ابن قبيلة باليمن السبتي نسبة الى السبتة مدينة مشهورة في المغرب الغرناطي نسبة الى غرناطة المالكي قاضي سبتة صاحب التصانيف الشهيرة كالشفاء ومشارق الانوار وغيرهما نحو ثلثين تاليفا نقل الى غرناطة في سنة احدى وثلثين وخمسمائة ولم يطل امده بها ثم ولي قضاء سبتة ثانيا وكان مولده بسبتة في شهر شعبان سنة ست وسبعين واربعمائة فهو سبتي الدار والميلاد اندلسي الاصل فان اصوله نشأوا قديما بالاندلس ثم انتقلوا الى مدينة فاس وكان لهم استقرار بالقيروان وانتقل الى سبتة بعد سكنى فاس كان اماما في الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم العقلية والنقلية خطيبا بليغا وكان وفاته يوم الجمعة بمراكش في جمادى الاخرة سنة اربع واربعين وخمس مائة فكان عمره الشريف ثمانى وستين سنة وصلى الله على سيدنا ومولنا محمد وآله واصحابه واشياعه وحزبه وسلم تسليما كثيرا

١٢٨٦ ... وهدى وبشرى للمؤمنين

...ليف الإمام العلامة القاضي ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي

... بتعريف حقوق المصطفى

بقلم بنده حسن علی ستر الله عيوبه

بحسن تصحيح العالم القمقام الفاضل الهمام وحيد الزمن المولوي أحمد حسن المرادآبادي

قد طبعت في بريلي باهتمام المولوي محمد منير الصديقي في المطبعة ...

بعرق ريزی سيد پرورش علی پريس بريلوی

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبرنا الامام العالم الحافظ الفضائل اعوذ السلف بقية الخلف علامة دهره وواحد عصره واوانه ركن الشريعة علم
المهدى فريد عصره و قريع دهره الحبر الاريب الفاضل اللبيب البارع الاديب
رئيس الاصحاب سراج الدين ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر المصري
المالكى ملكه الله ازمة اماله ونقبل منه صالح اعماله بقرأتى عليه وهو
يسمع ويفهم فى رجب من سنة اثنتين وستين وستمائة بسجن الله تعالى النجاة
منه له بدرب شمايه احد محال دار الخلافة قال حدثنا ابو العباس احمد
بن عمر بن ابراهيم القرطبى الانصارى فى شوال سنة اثنتين وثلثين وستمائة
قال انبانا القاضى الفقيه ابو القاسم عبد الرحيم ابن الملجوم واخبرنا
الامام تاج الخلافه قدوة الطوائف عبد الله بن ابى القاسم بن عمر الشاذ
مساحى قراءة منى عليه قلت له اخبرك محمد بن عبد الرحمن بن محمد الانصارى
مناولة فاقر به وقال نعم قال اخبرنا الفقيه ابو الحسين محمد بن احمد بن
جبير الكنانى قراءة منى عليه قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن
محمد بن عيسى كتابة واخبرنا الامام النحرير الحبر الغزير عبد الله بن عبد الرحمن
بن ابى حفص زعيم المالكية فيما قرأته عليه قال انبانا محمد بن ابراهيم
بن عبد الرحمن الانصارى قال انبانا ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبيد الله
الحجرى قالوا جميعا اخبرنا الامام القاضى ابو الفضل عياض بن موسى
بن عياض اليحصبى قال التميمى فى روايته قراءة عليه وانا اسمع قال

يحصب مثلث الصاد والفتح احسن نسبة الى يحصب ... من حمير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذى ليس دونه منتهى
ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا و وهما والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء
رحمة وعلما و اسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من انفسهم انفسهم
عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنما وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما واقوا
هم يقينا وعزما واشدهم بهم رأفة ورحما زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا و
وصما واتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما فامن به و
عزره ونصره من جعل الله له فى مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن اياته
من كتب الله عليه الشقاء حتما ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى صلى الله
عليه وسلم صلاة تنمى وتنمى وعلى اله وسلم تسليما اما بعد اشرق الله قلبى و
قلبك بانوار اليقين ولطف لى ولك بما لطف به لاوليائه المتقين الذين شرفهم
بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب
ملكوته واثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة وولّه عقولهم فى عظمته حيرة فجعلوا همهم
به واحدا ولم يروا فى الدارين غيره فهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون وبين
اثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون

لمحبيه بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون **فانك** كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه السلام وما يجب له من توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال **فاعلم** اكرمك الله انك حملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني مرتقا صعبا ملأ قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والخلة والمحبة وخصائص هذه الدرجة العلية وههنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا ومجاهل تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتاييد لكني لما رجوت لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولما اخذ الله على الذين اوتوا الكتب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ولما **حدثنا** به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه ونا الحسين بن محمد ونا ابو عمر النمري ونا ابو محمد بن عبد المؤمن ونا ابو بكر محمد بن بكر ونا سليمان بن الاشعث ونا موسى بن اسمعيل ونا حماد نا علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة **فبادرت** الى نكت سافرة عن وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن

والبال بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي بها وكادت تشغل عن كل فرض ونفل و
ترده بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما
يحمد غدا لا يذم محله فليس ثم سوى حضرة النعيم وعذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته
واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله صدع
قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا و
يقربنا اليه زلفى ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه
ومهدت تأصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله ترجمته بالشفاء بتعريف
حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في اربعة اقسام **القسم الاول** في تعظيم العلي
الاعلى لقدر هذا النبي قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب **الباب الاول**
في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول **الباب
الثاني** في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية
والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا **الباب الثالث** فيما ورد
من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في
الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا **الباب الرابع** فيما اظهره الله تعالى
على يديه من الآيات والمعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلاثون
فصلا **القسم الثاني** فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام ويترتب القول فيه
في اربعة ابواب **الباب الاول** في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع
سنته وفيه خمسة فصول **الباب الثاني** في لزوم محبته ومناصحته وفيه
ستة فصول **الباب الثالث** في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة
فصول **الباب الرابع** في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته
وفيه عشرة فصول **القسم الثالث** فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع

فقيل كل من يعتريه النوم وقيل الانام الاناس وقيل الانام المخلوقات او جميع ما على وجه الارض ١٢

ويصح من الامور البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله تعالى هو سرّ الكتاب
ولُبابُ ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه
من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند
التقصي لموعده والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن
باليقين وتملاء انواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي حق قدره ويتحرر الكلام
فيه في بابين **الباب الاول** فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول في
العصمة وفيه ستة عشر فصلا **الباب الثاني** في احواله الدنيوية وما يجوز
طروءه عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول **القسم الرابع** في تصرف
وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام ويتحرر الكلام فيه في بابين **الباب
الاول** في بيان ما هو في حقه سب او نقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول **الباب
الثاني** في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلاة عليه
ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة و
وصلة للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى وملائكته ورسله وكتبه وال
النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصرنا الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها ينجز
الكلام وتتم الاقسام والابواب ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم
درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور قوم مؤمنين
وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا إله سواه استعين **القسم
الاول** في تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا **لا خفاء** على من مارس شيئا
من العلم او خص بادنى لمحة من الفهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام وخصوصه
اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه
الالسنة والاقلام فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى به عليه

بين اخلاقه وادابه وحض العباد على التاسي به وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي
تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله
الفضل بدأ وعودا والحمد اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه
الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة
والفضائل العديدة وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات
البينة التي شاهدها من عاصره وراها من ادركه وعلمها علم يقين من جاء بعده
حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا

حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه نا
ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادي
نا ابو علي السنجي نا محمد بن احمد بن محبوب نا ابو عيسى بن سورة الحافظ نا اسحق
بن منصور نا عبد الرزاق انا معمر عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا
فما ركبك احد اكرم على الله منه قال فارفض عرقا

الباب الاول في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه

اعلم ان في كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة بجميل
ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان
فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول

الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن

كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية قال السمرقندي
وقرأ بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم اعلم الله تعالى المؤمنين او
العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه
بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وامانته
فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها

على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم
على قراءة الفتح وهذه غاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من
حرصه على اهتدائهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضرهم في دنياهم واخراهم
وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤف
رحيم ومثله في الاية الاخرى قوله لقد مَنَّ اللهُ على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم الاية وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وقوله
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وروي عن علي بن ابي طالب عنه عليه السلام في قوله
تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا قال ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلنا
نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا
ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية وعن ابن عباس في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين
قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله عز وجل عجز خلقه عن
طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينه وبينهم
مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه من نعته الرأفة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا
صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال من يطع الرسول فقد اطاع
الله وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابوبكر بن طاهر زين الله محمدا بزينة
الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته
فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله تعالى
يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله
عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله
رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني
للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل

ورحمة للكافرين تأخير العذاب قال ابن عباس هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا
مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبرئيل هل
اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل
علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروى عن جعفر بن محمد الصادق
في قوله فسلام لك من اصحب اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم و
قال الله تعالى الله نور السموت والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى
الله عليه وسلم وهو قوله مثل نوره اي نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال سهل بن عبد الله المعنى
الله هادي اهل السموت والارض ثم قال مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان
(اي انهم بنوره يهتدون وبظهوره يرجون ١٢)
مستودعا في الاصلاب كمشكوة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة
صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة
اي من نور ابراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضيء اي تكاد
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه
(اي بادعاء النبوة حالة الرسالة ١٢)
الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا
منيرا فقال قد جاءكم من الله نور وكتب مبين وقال انا ارسلنك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله الم نشرح لك
صدرك الى اخر السورة شرح وسع المراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس شرحه
(لان الصدر غير قابل للتضييق والتوسيع ١٢)
بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملأه حكما وعلما وقيل معناه الم
نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل
اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك و
لولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك قال يحيى

بن ادم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي في قول لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل في الاذان
هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته
عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل
الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور
دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم
وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع
الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله و
رسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكري معك
وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك
احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن ذكره معه
تعالى ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول وامنوا بالله
ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غيره عليه السلام
حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه
نا ابو عمر النمري نا ابو محمد بن عبد المؤمن نا ابو بكر بن داسة التمار نا ابو داود
السجستاني نا ابو الوليد الطيالسي نا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن
حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء
الله ثم شاء فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشيئة
الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو
التي هي للاشتراك ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم

فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف
الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول
ابي سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر
الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني في قوله ان الله وملائكته
يصلون على النبي هل يصلون راجعة الى الله تعالى والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه
آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية ان الله يصلي وملائكته
يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك
طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله الآيتين روي انه لما نزلت هذه الآية قالوا ان محمدا يريد ان
نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن
طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله في ام الكتاب اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري
الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه
عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية
في قوله صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح و
حكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد و
حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة
الوثقى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل
في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم

وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون الآية أكثر المفسرين
على أن الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به
وقرئ صدَق به بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون وقيل أبو بكر وقيل
علي وقيل غير هذا من الأقوال وعن مجاهد في قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب
قال بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم

الفصل الثاني

في وصفه له تعالى بالشهادة و
ما تعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا من رتب الأثرة وجملة
أوصاف من المدحة فجعله شاهدا على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة وهي من خصائصه
صلى الله عليه وسلم ومبشرا لأهل طاعته ونذيرا لأهل معصيته وداعيا إلى توحيده
وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ أبو محمد بن عتاب رحمه الله
نا أبو القاسم حاتم بن محمد نا أبو الحسن القابسي نا أبو زيد المروزي نا أبو
عبد الله محمد بن يوسف نا البخاري نا محمد بن سنان نا فليح نا هلال عن عطاء
بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت أخبرني عن صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي
ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا
لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله
بن سلام وكعب الأحبار وفي بعض طرقه عن ابن إسحاق ولا صخب في الأسواق ولا متزين
بالفحش ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة لباسه
والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف

خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه
اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة
واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب
مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس و
في حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته بالتورية عبدي
احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون لله على كل
حال وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الآية وقد قال تعالى فبما رحمة من
الله لنت لهم قال السمرقندي ذكرهم الله منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين
رؤفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله ولكن جعله الله سمحا
سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقال ابو الحسن القابسي
ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الآية وفي قوله في الآية
الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك
قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الآية وقوله وسطا اي عدلا خيارا و
معنى هذه الآية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارا
عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل ان الله جل
جلاله اذا سال الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فيقول اممهم ما جاءنا من بشير
ولا نذير فتشهد امة محمد للانبياء ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الآية
انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال الله تعالى
وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم
قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم شفيع لهم وعن الحسن ايضا هو

مسببهم نبيهم صلى الله عليه وسلم وعن ابى سعيد الخدرى هى شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التسترى هى سابقة رحمة اودعها فى محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن على الترمذى هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمى

الفصل الثالث

فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد مكى قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندى عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبى صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق فى عذره من الكاذب وفى هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذى لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبى صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه فى الاذن لهم قال الفقيه القاضى ابو الفضل رضى الله عنه يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتادب بادب القران فى قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الاداب الدينية والدنيوية وليتامل هذه الملاطفة العجيبة فى السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغنى عن الجميع ويستثر ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله الانبياء بعد الزلات وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ليكون

بذلك اشدّ انتهاء و محافظة لشرائط المحبّة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثنائه وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه برأته وفي طيّ تخويفه تأمينه وكرامته ومثله قوله قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذّبونك الاية قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذّب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذّبونك الاية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبرئيل فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله الاية ففي هذه الاية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه السلام والطافه في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وانسه بما ذكره عمن كان قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الاية فمن قرأ يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائصه وبره تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال يا آدم يا ابراهيم يا نوح يا داؤد يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر

الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره

قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم واصله ضم العين

من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل
وحياتك فهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال ابن عباس ما خلق الله ولا ذرأ
وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله اقسم بحياة احد غيره
قال ابو الجوزاء ما اقسم الله عز وجل بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم
البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الايات اختلف المفسرون في معنى يس
على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة
اسماء ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق
انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس يس يا انسان
اراد يا محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم وهو من اسماء الله تعالى وقال
الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد
وعن كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد انك
لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر انه من اسمائه صلى الله
عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم
عطف القسم الآخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته
والشهادة بهدايته اقسم تعالى باسمه وكتابه انه من المرسلين بوحيه الى عباده وعلى
صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش
لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده
على تأويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر
وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه
بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به وانت به يا محمد حلال اي
حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطي اي

يحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وبركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال ووالد وما ولد من قال اراد آدم عليه السلم فهو عام ومن قال هو ابراهيم عليه السلام وما ولد فهي اشارة ان شاء الله تعالى الى محمد صلى الله عليه وسلم فتضمن السورة القسم به في الموضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله تعالى واللام جبرئيل والميم محمد صلى الله عليه وسلم وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبرئيل على محمد صلى الله عليه وسلم بهذا القران لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقران المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم للقران وقيل هو اسم لله وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان

الفصل الخامس

في قسمه تعالى جده له ليحقق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف المفسرون في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل رحمه الله تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه

الاول القسم له عما اخبره من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اى ورب الضحى
وهذا من اعظم درجات المبرة الثانى بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك
ربك وما قلى اى ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث
قوله وللاخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحاق اى مالك فى مرجعك عند الله اعظم
مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل اى ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك
مما اعطيتك فى الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه اية جامعة لوجوه
الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام فى الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج
فى الدنيا والثواب فى الاخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروى عن بعض ال النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال ليس اية فى القران ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يدخل احد من امته النار الخامس ما عدده الله تعالى عليه من نعمه وقرره
من الائه قبله فى بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف
التفاسير ولا مال له فاغناه بما اتاه او بما جعله فى قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب
عليه عمه واواه اليه وقد قيل اواه الى الله تعالى وقيل يتيما لا مثال لك فاواك اليه
وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا واوى بك يتيما ذكره بهذه المنن
وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله فى حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه
ولا قلاه فكيف بعد اصطفائه واختصاصه السادس امره باظهار نعمته عليه
وشكر ما شرفه به بنشره واشارة ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر
النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى
من ايات ربه الكبرى اختلف المفسرون فى قوله والنجم باقاويل معروفة منها النجم
على ظاهره ومنها القران وعن جعفر بن محمد انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب
محمد صلى الله عليه وسلم وقد قيل فى قوله والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق

النجم الثاقب او النجم هذا هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه
الايات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد واقسم جل اسمه على هداية المصطفى و
تنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلاه وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله جبريل وهو
الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى
وتصديق بصره فيما راى وانه راى من ايات ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا تعالى
في اول سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من
عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى
بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من
الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز
وقال تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت
الاحلام في تعيين تلك الايات الكبرى قال القاضي ابو الفضل رحمه الله واشتملت هذه
الايات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته صلى الله عليه وسلم وعصمتها من الافات في
هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما راى
ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى
فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اي
اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من
الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء امين على
الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الاوصاف
بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل فترجع الاوصاف اليه ولقد راه يعني محمدا قيل راى
ربه وقيل راى جبريل في صورته وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم ومن قرا بالضاد
فمعناه ما هو بخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم

بملاطفته وقال تعالى نٓ وَالْقَلَمِ الآيات اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه
المصطفى صلى الله عليه وسلم مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه وبسط
امله بقوله محسنا خطابه مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى
درجات الآداب في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه
عد ولا يمتن به عليه فقال وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ثم اثنى عليه بما منحه من هباته و
هداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التاكيد فقال وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ قيل القرآن
وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطي اثنى عليه بحسن
قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان
اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه
عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من
عقابهم وتوعدهم بقوله فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ الثلاث الآيات ثم عطف بعد مدحه
على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله
عليه وسلم فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ الى قوله
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سَنَسِمُهُ
عَلَى الْخُرْطُومِ فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده
واثبت في ديوان مجده

الفصل السادس

فيما ورد من قوله تعالى في جهته
عليه السلام مورد الشفقة والاكرام قال تعالى طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى
قيل طه اسم من اسمائه صلى الله عليه وسلم وقيل هو اسم لله وقيل معناه يا رجل و
قيل يا انسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو
امر من الوطء والهاء كناية عن الارض اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك
بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى نزلت الآية فيما كان

النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل أخبرنا القاضي أبو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي الوليد الباجي إجازة ومن أصله نقلت نا
أبو ذر الحافظ نا أبو محمد الحموي نا إبراهيم بن خزيم الشاشي نا عبد بن حميد نا هاشم
بن القاسم عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى
قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل الله تعالى طه يعني طإ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك
القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الإكرام وحسن المعاملة وإن جعلنا طه
من أسمائه صلى الله عليه وسلم كما قيل أو جعلت قسما لحق الفضل بما قبله ومثل هذا
من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا
بهذا الحديث أسفا أي قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا ومثله قوله أيضا
لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ثم قال إن نشأ ننزل عليهم من السماء
آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله فاصدع بما تؤمر وأعرض
عن المشركين إلى قوله ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون إلى آخر السورة
وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر وهون
عليه ما يلقى من المشركين وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله و
مثل هذه التسلية قوله تعالى وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا
قوله تعالى كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ○
عزاه الله بما أخبر به عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك
عن محنته بمثله من كفار مكة وأنه ليس أول من لقي ذلك ثم طيب نفسه و
أبان عذره بقوله تعالى فتول عنهم أي أعرض عنهم فما أنت بملوم أي في أداء
ما بلغت وإبلاغ ما حملت ومثله قوله فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا أي اصبر
على أذاهم فإنك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى

الفصل السابع فيما اخبر الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته
على الانبياء وحظوة رتبته قوله تعالى وَاِذْ اَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا اٰتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ
وَحِكْمَةٍ الى قوله مِنَ الشَّاهِدِينَ قال ابو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمدا صلى
الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه الاية قال المفسرون اخذ الله الميثاق
بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن
به وقيل ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثُمَّ جَاءَكُمْ الخطاب
لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
لم يبعث الله نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث
وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي و
قتادة في اٰي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى وَاِذْ اَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ
مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ الاية وقال اِنَّا اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ كَمَا اَوْحَيْنَا اِلٰى نُوحٍ الى قوله
وَكِيلًا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه
وسلم فقال بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك اخر
الانبياء وذكرك في اولهم فقال وَاِذْ اَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ
الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان
يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يَا لَيْتَنَا اَطَعْنَا اللّٰهَ وَاَطَعْنَا
الرَّسُولَا قال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم
في البعث فلذلك وقع ذكره ههنا مقدما قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل
نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم المعنى اخذ الله عليهم الميثاق
اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر وقال تعالى تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلٰى بَعْضٍ الاية قال
اهل التفسير اراد بقوله وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث

الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس احد من الانبياء

اعطى فضيلة او كرامة الا وقد اعطى محمد صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله

ان الله تعالى خاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا ايها النبي

ويا ايها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته

لابراهيم ان الهاء عائدة الى محمد صلى الله عليه وسلم اى ان من شيعة محمد

لابراهيم اى على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح عليه

السلام

الفصل الثامن

في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفع

دفع العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اى كنت بمكة فلما

خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي من بقي فيها من المؤمنين نزل وما كان الله

معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الاية وقوله ولولا رجال مؤمنون

الاية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته

صلى الله عليه وسلم ودرئه العذاب عن اهل مكة بسبب كونه ثم كون اصحابه بعده بين

اظهرهم فلما خلت منهم مكة عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم

فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي الاية ايضا تاويل اخر حدثنا

القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه نا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين

الصيرفي قالا نا ابو يعلى بن زوج الحرة نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب المروزي

نا ابو عيسى الحافظ نا سفيان بن وكيع نا ابن نمير عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر

عن عباد بن يوسف عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم انزل الله علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم

وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار ونحو منه قوله وما ارسلناك

الا رحمة للعالمين قال عليه السلام انا امان لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف

قوله لانه بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لاسلام معاشهم ومعادهم وكونه رحمة للكفار ... فسادهم استيمنهم من الخسف والمسخ وغيره من اسباب الاستيصال في بلادهم

والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت
سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر البلاء والفتن وقال الله تعالى ان الله
وملٰئكته يصلون على النبي الاية ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلوته
عليه ثم بصلاة ملائكته وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه فالصلوة من الملائكة ومنا له
دعاء ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلوة
عليه بين لفظ الصلوة والبركة وسنذكر حكم الصلوة عليه وقد حكى ابو بكر بن
فورك ان بعض العلماء تاول قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة على هذا اي في
صلوة الله تعالى علي وملائكته وامره الامة بذلك الى يوم القيامة وذكر بعض المتكلمين في
تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كاف اي كفاية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
قال اليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له قال ويهديك صراطا مستقيما والياء تاييده له
قال وايدك بنصره والعين عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد صلاته
عليه قال ان الله وملٰئكته يصلون على النبي وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله
هو مولٰه الاية مولاه اي وليه وناصره وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملائكة و
قيل ابو بكر وعمر وقيل علي وقيل المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق
ايديهم تضمنت هذه الايات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته
لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتدا جل جلاله باعلامه بما قضاه له من
القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور
له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور
لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا
بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف

وقيل يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوّه له وفتح أكثر البلاد عليه وحبّبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصرة النصر العزيز ومنّته على أمته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم وتبعيدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا الآية فعدّد محاسنه وخصائصه من شهادته على أمته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لأمته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى وتعزروه أي تجلّونه وقيل تنصرونه وقيل تبالغون في تعظيمه وتوقروه أي تعظّموه وقرأه بعضهم تُعَزِّزُوهُ بزائين من العز والأكثر والأظهر أن هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبّحوه فهذا راجع إلى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من أعلام الإجابة والمغفرة وهي من أعلام المحبة وتمام النعمة وهي من أعلام الاختصاص والهداية وهي من أعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة إلى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه وأقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به إلى المحل الأعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه إلى الأسود والأحمر وأحلّ له ولأمته الغنائم وجعله شفيعا مشفّعا وسيّد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله أحد ركني التوحيد ثم قال إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يعني بيعة الرضوان أي إنما يبايعون الله ببيعتهم إياك يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منّته وقيل عقده وهذه

استعارة وتجنيس في الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم إياه وعظم شأن المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وإن كان الأول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لأن القاتل والرامي بالحقيقة هو الله تعالى هو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولأنه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الآية الأخرى إنها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته أي ما قتلتموهم وما رميتهم أنت إذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع أي أن منفعة الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وأنت بالاسم

الفصل العاشر

فيما أظهره الله في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه تعالى من قصة الإسراء في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس وقوله وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية وقوله إلا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة من أذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجيا في أمره والأخذ على أبصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الآيات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسبما ذكره أهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر أعلمه بما أعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم أجاب عنه عدوه ورد عليه قوله فقال إن شانئك هو الأبتر أي عدوك ومبغضك والأبتر الحقير الذليل أو المفرد الوحيد أو الذي لا خير فيه وقال ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قيل السبع المثاني السور الطول الأول والقرآن العظيم أم القرآن وقيل السبع المثاني أم القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثاني

ما في القران من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم وآتيناك نبأ القران العظيم وقيل سميت ام القران مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون الانبياء وسمي القران مثاني لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال وانزلنا اليك الذكر الاية وقال وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الاية قال فهذه من خصائصه وقال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي النفس وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج في الاخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرأ به الان لمخالفته المصحف وقال تعالى وانزل الله عليك الكتب والحكمة الاية قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له في الازل واشار الواسطي الى انها اشارة الى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله عليه وسلم

الباب الثاني

في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحيوة الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى ثم هي على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال

صبره - وقوة عقله - وصحة فهمه - وفصاحة لسانه - وقوة حواسه - واعضائه
واعتدال حركاته - وشرف نسبه - وعزة قومه - وكرم ارضه - ويلحق به ما تدعوه ضرورة
حياته اليه من غذائه - ونومه - وملبسه - ومسكنه - ومنكحه - وماله
وجاهه - وقد تلحق هذه الخصال الاخرة بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على
سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة واما المكتسبة الاخروية
فسائر الاخلاق العلية والاداب الشرعية من الدين - والعلم - والحلم - والصبر
والشكر - والعدل - والزهد - والتواضع - والعفو - والعفة - والجود - والشجاعة
والحياء - والمروءة - والصمت - والتؤدة - والوقار - والرحمة - وحسن الادب - والمعاشرة
واخواتها - وهي التي جماعها - حسن الخلق - وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة
واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا يكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد ان تكون فيه
من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون هذه الاخلاق
دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب
العقول السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها **فصل** اذا كانت خصال
الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها او اثنتين ان اتفقت له
في كل عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره
وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب اثرة وعظمة وهو
منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال
الى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير
المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والاسراء والرؤية و
القرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام
المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلوة بالانبياء والشهادة

بين الانبياء والامم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند
ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين واعطاء الرضى والسؤل و
الكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وما تأخر وشرح الصدر ووضع الوزر
ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتائيد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة
والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله وصلوة الله والملائكة و
الحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته
وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه و
تكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على
الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا وابراء الالام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محتفل
ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما اعدّ له في الدار الآخرة من
منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف
دونها العقول ويحار دون ادانيها الوهم **فصل** ان قلت اكرمك الله لا خفاء عن القطع
بالجملة انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن
وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها
من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا
النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة
الخلقة وجدته حائزا جميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار
لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها فقد
جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة
والبراء بن عازب وعائشة ام المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة وام
معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك

وحكيم بن حزام وغيرهم من أنه صلى الله عليه وسلم كان أزهر اللون أدعج أنجل أشكل
أهدب الأشفار أبلج أزج أقنى أفلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ
صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل
العضدين والذراعين والأسافل رحب الكفين والقدمين سائل الأطراف أنور
المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردد ومع ذلك
فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر إذا افتر
ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام وإذا تكلم رئي كالنور يخرج
من بين ثناياه أحسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب
اللحم قال البراء ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال أبو هريرة ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري
في وجهه وإذا ضحك يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت
أم معبد في بعض ما وصفته به أجمل الناس من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب
وفي حديث ابن أبي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله
عنه في آخر صفته له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته
لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والأحاديث في بسط صفته كثيرة مشهورة
فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية
في القصد إلى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هنالك
إن شاء الله تعالى **فصل** وأما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقذار
وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم
تممها بنظام الشرع وخصال الفطرة العشر وقال عليه الصلاة والسلام بني الدين على النظافة حدثنا سفيان

بن العاص وغير واحد قالوا نا احمد بن عمر نا ابو العباس الرازي نا ابو احمد الجلودي قال
ابن سفيان نا مسلم نا قتيبة نا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا
قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن
سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من
جونة عطار قال غيره مسها بطيب اولم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها و
يضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه
وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسألها رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه
الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه
سلكه من طيبه وذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه
وسلم وروى المزني عن جابر رضي الله عنه قال اردفني النبي صلى الله عليه وسلم
خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا وقد حكى بعض المعتنين
باخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض
فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم واسند محمد بن
سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه
وسلم تأتي الخلاء فلا نرى لك شيئا من الاذى فقال يا عائشة او ما علمت ان الارض تبتلع
ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شيء وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل
العلم بطهارة الحدثين منه وهو قول بعض اصحاب الشافعي حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ في
شامله وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم
يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه
صلى الله عليه وسلم شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه قال غسلت

النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا
وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبّل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته
ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم أحد ومصّه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك
له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله ابن الزبير دم حجامته فقال له رسول
صلى الله عليه وسلم ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه وقد روي
نحو من هذا عنه صلى الله عليه وسلم في امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك
ابدا ولم يأمر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المرأة التي شربت
بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه المرأة
بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت
كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من
الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة
فشربته وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات
قد ولد مختونا مقطوع السرة وقد روي عن امه آمنة انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن عائشة رضي الله
عنها قالت ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه
قال اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسلني غيري فانه لا يرى
احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام وصلى ولم يتوضأ قال
عكرمة لانه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا **فصل** واما وفور عقله وذكاء لبه و
قوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان اعقل
الناس واذكاهم ومن تأمل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة الخاصة و
العامة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون

لا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة وهذا ما لا يحتاج
إلى تقريره لتحققه وقد قال وهب بن منبه قرأت في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها
أن النبي صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا وفي رواية أخرى فوجدت في
جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب
عقله صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا قام في الصلوة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين وفي الموطأ عنه صلى الله عليه وسلم إني لأراكم من وراء ظهري
ونحوه عن أنس في الصحيحين وعن عائشة مثله قالت زيادة زاده الله إياها في حجته وفي
بعض الروايات إني لأنظر من ورائي كما أنظر من بين يدي وفي أخرى إني لأبصر من قفائي
كما أبصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم
يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والأخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم
للملائكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه
لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد حكي عنه أنه كان يرى في الثريا أحد عشر نجما
وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول أحمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم
إلى ردها إلى العلم والظواهر تخالفه ولا إحالة في ذلك وهي من خواص الأنبياء وخصالهم
كما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل من كتابه نا أبو الحسن المقرئ الفرغاني
قال حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر عن أبيها نا الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسني
نا محمد بن محمد بن سعيد نا محمد بن أحمد بن سليمان نا محمد بن محمد بن مرزوق نا همام نا
الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى
الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة
فراسخ ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه من هذا الباب

بعد الاسراء والخطوة مما راى من آيات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة

اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده

ثلث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رايت احدا

اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيته كانما الارض تطوى له انا لنجهد

انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا

واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط من صبب فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول

فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع

وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي

جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب فكان يخاطب كل امة منها بلسانها

ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسألونه

في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه

وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني

وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي

وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها

وعزازها تأكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق

والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش

الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها و

مخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد

من اقام الصلوة كان مسلما ومن آتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله

كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد

في الحيوة ولا تتثاقل عن الصلوة وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش

وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما
لم تضمروا الرماق وتأكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن
كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب في التيعة شاة لا مقورة
الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنا من بكر فاصقعوه مائة و
استوفضوه عاما ومن زنا من ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في
فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال اين هذا من كتابه لانس في
الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر
استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما
يعلمون وكقوله في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي
المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري حين
ساله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شئت وهي لغة بني عامر واما
كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف الناس فيها
الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى
بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم
وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له
والناس معادن وما هلك امرء عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم و
رحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين
وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين
يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين
لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السوال واضاعة المال ومنع وهات
وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة

تخما وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان

يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسألك

رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها

شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم

اني اسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى

ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته و

عهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر

قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله

حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ

بغيره في اخواتها مما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في اداني حكمها وقد

قال له اصحابه ما رأينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القرآن بلساني

لسان عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك

صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها

الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت ام معبد في وصفها

له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن

النغمة صلى الله عليه وسلم فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فمما لا يحتاج

الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم وسلالة قريش و

صميمها واشرف العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من

اكرم بلاد الله تعالى على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي

رحمه الله نا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف نا ابو ذر عبد بن احمد نا ابو محمد

السرخسي وابو اسحاق وابو الهيثم قالوا نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا قتيبة

بن سعيد نا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت
منه وعن العباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل خلق الخلق فجعلني
من خيرهم من خير فرقهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني
من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني
كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم
قال الترمذي هذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني ادم ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختار
العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم
ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم و
عن ابن عباس ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق ادم بالفي عام يسبح
ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله ادم القى ذلك النور في صلبه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب ادم وجعلني في صلب نوح
وقذف بي في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام
الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس
المشهور في مدح النبي صلى الله عليه وسلم **فصل** واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه
مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب
تختلف الاحوال فيه فاما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء
والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب
دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء

الحسد وخسارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة
مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف
وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة
القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا
من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث و
آثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم
به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا مما لا يدفع من سيرته
وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما لارتباط احدهما بالآخر حدثنا ابو علي الصدفي بقراءتي
عليه ثنا ابو الفضل الاصبهاني ثنا ابو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا بكر بن سهل ثنا عبد الله
بن صالح ثنا معاوية عن صالح بن يحيى بن جابر عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات يقمن
صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم
من كثرة الاكل والشرب قال سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف
لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وروي عنه عليه السلام انه كان احب
الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ
جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه
ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله الم
ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له
فاراد بيان سنته اذ راهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستأثرون عليه به فصدق
عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله عليه السلام هو لها صدقة ولنا هدية وفي
حكمة لقمان يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء

عن العبادة وقال المحققون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله عليه السلام
اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من
تمكن الجلسات التي يعتمد عليها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل
ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز
مقعيا ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد فليس معنى الحديث
في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت
بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على
جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنأ لهدو القلب وما يتعلق به
من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه و
الطول واذا نام النائم على الجانب الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق

فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح
فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة
معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس افضل
هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام تناكحوا تناسلوا فاني
مباه بكم الامم يوم القيامة ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين
نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر و
احصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حبّبن الى
سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة كثيري
الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء
وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا
يحيى بن زكريا قد اثنى الله عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز عما تعده

فضيلة وهذا عيسى عليه السلام متبتل من النساء ولو كان كما قررناه لنكح فأما ثناء
الله تعالى على يحيى بأنه كان حصورا فليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل انكر
هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء صلوات
الله وسلامه عليهم وانما معناه وانه معصوم من الذنوب اي لا يأتيها كأنه حصر عنها وقيل
مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم
القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة نفس كعيسى
او بكفاية من الله كيحيى فضيلة زائدة لكونها مشغلة في كثير من الاوقات حاطة
الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة
عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده
ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح بانها
ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الي من دنياكم كأن
حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين هما من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه
بل لآخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولانه ايضا مما
يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره
وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك
ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلوة فقد ساوى صلى الله
عليه وسلم يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان عليه السلام
ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد
روينا عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار
وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين خرجه النسائي وروي نحوه
عن ابي رافع وعن طاوس اعطي صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن

صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه
التسع وتطهر من كل واحدة منهن قبل ان يأتي الاخرى وقال هذا اطيب واطهر وقد قال
سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك
قال ابن عباس كان في ظهر سليمان عليه السلام ماء مائة رجل وكان له ثلاث مائة امرأة
وثلاث مائة سرية وحكى النقاش وغيره سبع مائة امرأة وثلاث مائة سرية وقد كان
لداود عليه السلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج اوريا
مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة
وفي حديث انس عنه عليه السلام فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة
الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب
وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين لكن
آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده
وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد رزق من
الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه و
يؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا
حاجته واخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من
لم يره كما روي عن قيلة انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث
ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال له عليه الصلوة والسلام هون عليك
فاني لست بملك الحديث واما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة
رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم
وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف
فيه الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة

معظم عند العامة لاعتقادها توجيهه به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة
في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه
وامثاله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة
في صاحبه عند اهل الدنيا فاذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك
الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير
موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف
به على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال
وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته
فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند
احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل
لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شيء والمنفق
ملي غني بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله
عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم
ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة
العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلب اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها
ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر بشيء منه ولا امسك
منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا
ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها
بقية فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات و
درعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته
اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن و

البرد الغليظ ويفتسم على من حضرة اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهاة فى الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط فى جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا يؤدى الى الشهرة فى الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه فى العادة عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود وفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الآلات وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبى اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائدة عليها فى الفخر ومعرق فى المدح باضرابه عنها وزهده فى فانيها وبذلها فى مظانها

فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة اللتى اتفق جمهور العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقها واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد بالسعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال فى قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء فى كمالها والاعتدال فى غايتها حتى اثنى الله تعالى بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها فى اصل خلقته واصل فطرته لم تحصل له باكتساب ولا برياضة الا بجود الهى وخصوصية ربانية وهكذا سائر الانبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق فى الجبلة واودعوا العلم والحكمة فى الفطرة قال الله تعالى

وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا قال المفسرون اعطى الله يحيى العلم بكتاب الله فى حال صباه وقال معمر
كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال الِلَّعب خُلقتُ وقيل فى قوله تعالى
مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ صدّق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله
وروحه وقيل صدقه وهو فى بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم انى اجد ما فى بطنى يسجد
لما فى بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لامه عند ولادها اياه بقوله لها
أَلَّا تَحْزَنِي على قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول من قال ان المنادى عيسى عليه السلام
ونص على كلامه فى مهده فقال إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وقال تعالى فَفَهَّمْنَاهَا
سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبى يلعب فى قصة المرجومة
وفى قصة الصبى ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبرى ان عمره كان حين اوتى الملك اثنى
عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون فى قوله
وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ اى هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء
اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم عليه السلام بعث الله اليه ملكا
يأمره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده
وقيل ان القاء ابراهيم فى النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحٰق
بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكواكب والقمر والشمس كان وهو
ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحى الله تعالى الى يوسف وهو صبى عندما همّ اخوته بالقائه فى
الجب بقوله تعالى وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا الاية الى غير ذلك مما ذكر من اخبارهم
وغيرهم وقد حكى اهل التفسير ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه
وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا رأسه الى السماء وقال فى حديثه لما نشأت
بُغِّضَتْ اليّ الاوثان وبُغِّضَ اليّ الشعر ولم اهمّ بشىء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمنى الله
منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف فى قلوبهم

حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة
النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما و
علما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه
اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت والشهامة
او صدق اللسان والسماحة كما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة
والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس
فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا قد اختلف السلف هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى
الطبري عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله
بن مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبي عليه السلام
قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في
حديثه والجراءة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة
كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه عليه السلام بها ان شاء الله تعالى

فصل اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم
والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب
ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب
الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي
لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري
احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلمه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه
وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وايامها
وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة
الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة كعبارة

والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته عليه السلام
دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي امي
لم يعرف بشي من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة
والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص و
آحاد القضايا اذ مجموعها ما لا ياخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه
عليه السلام الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته و
عظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت
العقول في تقدير فضله عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه

فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق
فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الآلام و
المؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما
ادب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وأمر بالعرف الآية روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية سال جبريل عن تاويلها فقال له حتى اسال
العالم ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك و
تعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما اصابك الآية وقال تعالى فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الآية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك
لمن عزم الامور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة و
حفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف
الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا
محمد بن عتاب نا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره نا ابو عيسى نا عبيد الله نا يحيى بن يحيى نا مالك عن
ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم

في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها وروى
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على
أصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال إني لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا و
رحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال في بعض كلامه
بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الأرض الآية ولو دعوت
علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك
فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون قال القاضي أبو الفضل
رحمه الله تعالى انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان وحسن الخلق وكرم النفس
وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا ثم أشفق
عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر أو اهد ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي
ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فإنهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها
وجه الله تعالى لم يزده في جوابه أن بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال
ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل ونهى من أراد من أصحابه قتله
ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ
تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده
فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه
فجاء إلى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية
التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وأنه لم يؤاخذ لبيد بن الأعصم
إذ سحره وقد أعلم به وأوحي إليه بشرح أمره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك

لم يواخذ عبد الله بن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا
بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس كنت مع النبي صلى
الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في
صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك
فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي
قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر
ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده
شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امراة وجيء اليه برجل فقيل له هذا
اراد ان يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط
علي وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ
بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي
صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا
منك احوج يا عمر تامرني بحسن القضاء وتامره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث
وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك انه كان
يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد الا اثنتين لم اخبرهما يسبق
حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث عن
حلمه عليه السلام وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان ناتي عليه وحسبك ما ذكرناه
مما في الصحيح والمصنفات الثابتة مما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة
قريش واذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم الى ان اظفره الله تعالى عليهم
وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال شافتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا

صفوان وقال ما تقولون انی فاعل بکم قالوا خیرا اخ کریم وابن اخ کریم فقال اقول کما قال اخی
یوسف لا تثریب علیکم الیوم الایة اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس رضی الله عنه هبط ثمانون رجلا من التنعیم
صلوة الصبح لیقتلوا رسول الله صلی الله علیه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله فانزل الله تعالی وهو الذی
کف ایدیهم عنکم الایة وقال لابی سفیان وقد سیق الیه بعد ان جلب الیه الاحزاب
وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه فی القول وقال ویحك یا ابا سفیان
الم یان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابی انت وامی ما احلمك واوصلك واکرمك
وکان رسول الله صلی الله علیه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضی صلی الله علیه وسلم

فصل واما الجود والکرم والسخاء والسماحة فمعانیها متقاربة وقد فرق بعضهم
بینها بفروق فجعلوا الکرم الانفاق بطیب النفس فیما یعظم خطره ونفعه وسموه ایضا جرأة
وهو ضد النذالة والسماحة التجافی عما یستحقه المرء عند غیره بطیب نفس وهو ضد
الشکاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اکتساب ما لا یحمد وهو الجود وهو ضد التقتیر
فکان علیه الصلوة والسلام لا یوازی فی هذه الاخلاق الکریمة ولا یباری بهذا وصفه
کل من عرفه حدثنا القاضی الشهید ابو علی الصدفی رحمه الله نا القاضی ابو الولید
الباجی نا ابو ذر الهروی نا ابو الهیثم الکشمیهنی وابو محمد السرخسی وابو اسحاق البلخی
قالوا انبانا ابو عبد الله الفربری نا البخاری نا محمد بن کثیر نا سفیان عن ابن المنکدر
قال سمعت جابر بن عبد الله یقول ما سئل النبی صلی الله علیه وسلم عن شیء فقال لا و
عن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس کان علیه الصلوة والسلام اجود
الناس بالخیر واجود ما کان فی شهر رمضان وکان اذا لقیه جبریل علیه السلام اجود
بالخیر من الریح المرسلة وعن انس ان رجلا ساله فاعطاه غنما بین جبلین فرجع الی
بلده وقال اسلموا فان محمدا یعطی عطاء من لا یخشی فاقة واعطی غیر واحد مائة من
الابل واعطی صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه کانت حاله صلی الله علیه وسلم قبل

ان يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على
هوازن سباياها وكانوا ستة الاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل
اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ
منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له
عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من
الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم النبي صلى الله
عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن
عفراء اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء
فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا قال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد
وعن ابي هريرة ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى
الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه
نائل والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير **فصل** واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة
فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث
يحمد فعلها دون خوف فكان النبي صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد
حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو صلى الله عليه وسلم ثابت
لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه
جولة سواه حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب لي قال نا القاضي سراج نا ابو محمد الاصيلي
نا ابو زيد الفقيه نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا ابن بشار نا غندر نا شعبة
عن ابي اسحق سمع البراء وسأله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال نعم لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته
البيضاء وابو سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب

وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما راى يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل
النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكره مسلم وعن العباس قال فلما التقى المسلمون
والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو
الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان آخذ بركابه ثم نادى
يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا
لله لم يقم لغضبه شيء قال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول
صلى الله عليه وسلم وقال علي رضى الله عنه انا كنا اذا حمي البأس ويروى اشتد البأس
واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو
منه ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو
وكان من اشد الناس يومئذ بأسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم
اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع
الناس واجود الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف
في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتيبة الا كان اول من يضرب ولما راه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت
ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس اعلفها
كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله
فلما راه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال
من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من
الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض
ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا

مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة

فصل واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهيته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله تعالى إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ الاية حدثنا محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي عليه انبانا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن القابسي نا ابو زيد المروزي نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا عبدان نا عبد الله نا شعبة عن قتادة قال سمعت عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى انس انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عائشة رضي الله عنها في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية عبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص وروي عنه عليه السلام انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط

فصل واما حسن عشرته وادبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه

كان اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا

ابو الحسن علی بن مشرف الانماطی فیما اجازنیه وقرأته علی غیره قال نا ابو اسحاق الحبال

قال انبانا ابو محمد بن النحاس نا ابن الاعرابی نا ابو داؤد نا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنی

قالا انبانا الولید بن مسلم نا الاوزاعی قال سمعت یحیی بن ابی کثیر یقول حدثنی محمد بن عبد الرحمن

بن اسعد بن زرارة عن قیس بن سعد قال زارنا رسول الله صلی الله علیه وسلم وذکر قصة فی اخرها فلما اراد

الانصراف قرب له سعد حمارا وطا علیه بقطیفة فرکب رسول الله صلی الله علیه وسلم ثم قال سعد یا قیس اصحب

رسول الله صلی الله علیه وسلم قال قیس فقال لی رسول الله صلی الله علیه وسلم ارکب

فابیت فقال اما ان ترکب واما ان تنصرف فانصرفت وفی روایة اخری ارکب امامی فصاحب

الدابة اولی بمقدمها وکان علیه الصلوة والسلام یؤلفهم ولا ینفرهم ویکرم کریم کل

قوم ویولیه علیهم ویحذر الناس ویحترس منهم من غیر ان یطوی عن احد منهم بشره

ولا خلقه ویتفقد اصحابه ویعطی کل جلسائه نصیبه لا یحسب جلیسه ان احدا اکرم علیه

من جالسه او فاوضه الحاجة صابره حتی یکون هو المنصرف عنه ومن ساله حاجة لم یرده

الا بها او بمیسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده

فی الحق سواء بهذا وصفه ابن ابی هالة وکان دائم البشر سهل الخلق لین الجانب لیس بفظ

ولا غلیظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عیاب ولا مداح یتغافل عما لا یشتهی ولا یؤیس

منه وقال الله تعالی فبما رحمة من الله لنت لهم الایة وقال تعالی ادفع بالتی هی احسن

الایة وکان یجیب من دعاه ویقبل الهدیة ولو کانت کراعا ویکافی علیها قال انس خدمت

رسول الله صلی الله علیه وسلم عشر سنین فما قال لی اف قط ولا قال لشیء صنعته لم صنعته

ولا لشیء ترکته لم ترکته وعن عائشة رضی الله عنها قالت ما کان احد احسن خلقا من رسول الله

صلی الله علیه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بیته الا قال لبیک وقال جریر بن

عبد الله ما حجبنی رسول الله صلی الله علیه وسلم منذ اسلمت ولا رآنی الا تبسم صلی الله علیه وسلم وکان

يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة
الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس
ما التقم احد اذن النبي صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه
وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان
يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى
يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي
تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم
تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي او قيام ويروى بانتهاء او
قيام وروي انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلوته وساله عن حاجته
فاذا فرغ عاد الى صلوته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن
او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحارث ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن انس قال كان خدم المدينة ياتون النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة
بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة
يريدون به التبرك **فصل** واما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال تعالى فيه
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ وقال وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وقال بعضهم من فضله عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى اعطاه
اسمين من اسمائه فقال الله تعالى بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ وحكى نحوه الامام ابو بكر بن
فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه نا امام الحرمين
ابو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا ابو احمد الجلودي نا ابراهيم بن سفيان نا مسلم بن
الحجاج نا ابو الطاهر اخبرنا ابن وهب اخبرنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى
الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية

مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب فاخبرني سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي و روي ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله و ارسل اليه وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شئ فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغداة والعشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي أكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال عليه السلام مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه عليه السلام انه قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته على امته عليه السلام تخفيفه عنهم وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله عليه السلام لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وتاخير صلوة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلوته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك زكاة له ورحمة وصلوة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة ولما كذبه قومه اتاه جبرئيل فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال

لتأمرني بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى امر السماء والارض والجبال ان تطيعك فقال أخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن عائشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها عليه السلام عليك بالرفق **فصل** واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتي عليه قال نا ابو بكر محمد بن محمد نا ابو اسحاق الحبال نا ابو محمد بن النحاس نا ابن الاعرابي نا ابو داود نا محمد بن يحيى نا محمد بن سنان نا ابراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث انتظرك وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة وانها كانت تحب خديجة وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها واستاذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امرأة فهش لها واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تأتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما

سأبلها ببلالها وقد صلى عليه السلام بأمامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فإذا
سجد وضعها وإذا قام حملها وعن أبي قتادة قال وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه
وسلم يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك فقال إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب
أن أكافيهم ولما جيء بأخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها
رداءه وقال لها إن أحببت أقمت عندي مكرمة محببة أو متعتك ورجعت إلى قومك
فاختارت قومها فمتعها وقال أبو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام إذ
أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه فقالوا أمه
التي أرضعته وعن عمرو بن السائب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا
يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها
شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأجلسه بين يديه وكان يبعث إلى ثويبة مولاة أبي لهب مرضعته بصلة
وكسوة فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل لا أحد وفي حديث خديجة أنها قالت
له عليه السلام أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم
وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق **فصل** وأما تواضعه عليه السلام على علو
منصبه ورفعة رتبته فكان أشد الناس تواضعا وأقلهم كبرا وحسبك أنه خير
بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فقال له إسرافيل عليه
السلام عند ذلك فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة
وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع حدثنا أبو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله
بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة قال نا أبو علي الحافظ نا أبو عمر
بن عبد البر نا ابن عبد المؤمن نا ابن داسة نا أبو داود نا أبو بكر بن أبي شيبة نا
عبد الله بن نمير عن مسعر عن أبي العنبس عن أبي العدبس عن أبي مرزوق عن أبي غالب

عن ابي امامة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على
عصى فقمنا اليه فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا وقال انما انا عبد
آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين
ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس
جلس وفي حديث عمر رضي الله عنه لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله وعن انس رضي الله عنه ان امرأة كان في عقلها شيء جاءته فقالت
ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى
اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها
قال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة
العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى الى
خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة
ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه
الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين
طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله
عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني
على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي
وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم وسيأتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى
وعن عائشة رضي الله عنها والحسن وابي سعيد وغيرهم رضوان الله عليهم في صفته
صلى الله عليه وسلم وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه و
يحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف
ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس رضي الله عنه

ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق
به حيث شاءت حتى تقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة
فقال له هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وعن
ابي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل
وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم
اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله **فصل**
واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس واعدل الناس
واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى
قبل نبوته الامين قال ابن اسحاق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة
وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد عليه السلام ولما اختلفت قريش
وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه
وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع
بن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال
عليه السلام والله اني لامين في السماء امين في الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ
بقراءتي عليه نا ابو الفضل بن خيرون نا ابو يعلى بن زوج الحرة نا ابو علي السنجي نا محمد بن
محبوب المروزي نا ابو عيسى الحافظ نا ابو كريب نا معاوية بن هشام عن سفيان عن
ابي اسحاق عن ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه ان ابا جهل قال للنبي صلى الله
عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك
الآية وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي
ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن

محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل ويحك والله ان محمدا الصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل
عنه ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر
بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم
امانة حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر
وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها وفى حديث
على رضى الله عنه فى وصفه عليه السلام اصدق الناس لهجة وقال فى الصحيح ويحك
فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عائشة رضى الله عنها ما خير
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان
ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد قسم الكسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم
ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان
اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غفلون
ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة اجزاء جزأ لله وجزأ لاهله وجزأ
لنفسه ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا
حاجة من لا يستطيع ابلاغى فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله
يوم الفزع الاكبر وعن الحسن رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ
احدا بقرف احد ولا يصدق احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبرى عن على رضى الله عنه
عن النبى صلى الله عليه وسلم ما هممت بشىء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير
مرتين كل ذلك يحول الله بينى وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمنى الله
برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معى لو ابصرت لى غنمى حتى ادخل مكة فاسمر بها كما
يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة اسمع عزفا بالدفوف والمزامير
لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذنى فنمت فما ايقظنى الا مس الشمس فرجعت

ولم اقض شيئا ثم عرا في مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اقض بعد ذلك بسوء **فصل**

واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته وحسن هديه فحدثنا

ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال اخبرنا ابو العباس الدلائي نا ابو

ذر الهروي نا ابو عبد الله الوراق نا اللؤلؤي نا ابو داود نا عبد الرحمن بن سلام نا

حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز عن وهيب قال سمعت خارجة

بن زيد رضي الله عنه يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه

لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري كان عليه السلام اذا جلس في

المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن

سمرة انه صلى الله عليه وسلم تربع وربما جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان صلى الله

عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان

ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم

توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات

ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وفي صفته صلى الله

عليه وسلم يخطو تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب وفي الحديث الاخر اذا مشى

مشى مجتمعا يعرف في مشيته انه غير عرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله

بن مسعود رضي الله عنه ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن

عبد الله رضي الله عنهما كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل

قال ابن ابي هالة كان سكوته عليه السلام على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر

قالت عائشة رضي الله عنها كان عليه السلام يحدث حديثا لو عده العاد احصاه وكان

عليه السلام يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول

حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة ومن مروته صلى الله عليه وسلم

ونهيه عن النفخ فى الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلى والامر بالسواك وانقاء البراجم
والرواجب استعمال خصال الفطرة فصل واما زهده فى الدنيا صلى الله عليه وسلم فقد
تقدم من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفى وحسبك من تقلله منها واعراضه عن
زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها الى ان توفى عليه السلام و
درعه مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق ال محمد
قوتا حدثنا سفيان بن العاص والحسين بن محمد الحافظ والقاضى ابو عبد الله التميمى
قالوا نا احمد بن عمر قال نا ابو العباس الرازى قال نا ابو احمد الجلودى نا ابن سفيان
نا مسلم بن الحجاج نا ابو بكر بن ابى شيبة نا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم
عن الاسود عن عائشة رضى الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة
ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفى رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين
ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفى رواية اخرى ما شبع ال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من خبز بر حتى لقى الله تعالى وقالت عائشة رضى الله عنها ما ترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفى حديث عمرو بن الحارث ما
ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت عائشة رضى الله عنها ولقد مات
وما فى بيتى شئ ياكله ذو كبد الا شطر شعير فى رف لى وقال لى انى عرض على ان تجعل لى
بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذى اجوع فيه فاتضرع
اليك وادعوك واما اليوم الذى اشبع فيه فاحمدك واثنى عليك وفى حديث اخر
ان جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك اتحب
ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل
ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل
ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة رضى الله عنها قالت ان كنا ال محمد

لنمكث شهرا ما نوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عايشة وابي امامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن انس قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط وعن عايشة رضي الله عنها انما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا له ذلك فقال ردوه بحاله فان وطاته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يوثر في جنبه وعن عايشة رضي الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي رحمة له مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما ارى به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عايشة ما لي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مابهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلوات الله وسلامه عليه

فصل

واما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثنا ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال اخبرنا ابو القاسم الطرابلسي نا ابو الحسن القابسي انا ابو زيد المروزي نا ابو عبد الله الفربري نا محمد بن اسمعيل نا يحيى بن بكير عن الليث

عن عُقیل عن ابن شہاب عن سعید بن المسیب ان ابا ہریرۃ رضی اللہ عنہ کان یقول قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحکتم قلیلا ولبکیتم کثیرا انتہی وفی روایتنا عن ابی عیسی الترمذی رفعہ الی ابی ذر انی اری ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لہا ان تئط ما فیہا موضع اربع اصابع الا وملک واضع جبہتہ ساجدا للہ واللہ لو تعلمون ما اعلم لضحکتم قلیلا ولبکیتم کثیرا وما تلذذتم بالنساء علی الفرش ولخرجتم الی الصعدات تجأرون الی اللہ تعالی لوددت انی شجرۃ تعضد وروی ہذا الکلام لوددت انی شجرۃ تعضد من قول ابی ذر نفسہ وہو اصح وفی حدیث المغیرۃ صلی رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم حتی انتفخت قدماہ وفی روایۃ انہ کان یصلی حتی ترم قدماہ فقیل لہ اتکلف ہذا وقد غفر اللہ لک ما تقدم من ذنبک وما تاخر قال افلا اکون عبدا شکورا ونحوہ عن ابی سلمۃ وابی ہریرۃ رضی اللہ عنہما وقالت عائشۃ رضی اللہ عنہا کان عمل رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم دیمۃ وایکم یطیق ما کان یطیق وقالت کان یصوم حتی نقول لا یفطر ویفطر حتی نقول لا یصوم ونحوہ عن ابن عباس رضی اللہ عنہ وام سلمۃ وانس وقال کنت لا تشاء ان تراہ من اللیل مصلیا الا رایتہ مصلیا ولا نائما الا رایتہ نائما وقال عوف بن مالک کنت مع رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم لیلۃ فاستاک ثم توضا ثم قام یصلی فقمت معہ فبدا فاستفتح البقرۃ فلا یمر بآیۃ رحمۃ الا وقف فسال ولا یمر بآیۃ عذاب الا وقف وتعوذ ثم رکع فمکث بقدر قیامہ یقول سبحان ذی الجبروت والملکوت والعظمۃ ثم سجد وقال مثل ذلک ثم قرا آل عمران ثم سورۃ سورۃ یفعل مثل ذلک وعن حذیفۃ مثلہ وقال سجد نحوا من قیامہ وجلس بین السجدتین نحوا منہ وقال حتی قرا البقرۃ وآل عمران والنساء والمائدۃ وعن عائشۃ رضی اللہ عنہا قام علیہ الصلوۃ والسلام بآیۃ من القرآن لیلۃ وعن عبد اللہ بن الشخیر رضی اللہ عنہ اتیت رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم وہو یصلی ولجوفہ ازیز کازیز المرجل قال ابن ابی ہالۃ

كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال عليه السلام
انى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة وروى سبعين مرة وعن على رضى الله عنه قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالى والعقل اصل
دينى والحب اساسى والشوق مركبى وذكر الله انيسى والثقة كنزى والحزن رفيقى و
العلم سلاحى والصبر ردائى والرضا غنيمتى والعجز فخرى والزهد حرفتى واليقين قوتى
والصدق شفيعى والطاعة حسبى والجهاد خلقى وقرة عينى فى الصلوة وفى حديث اخر
وثمرة فؤادى فى ذكره وغمى لاجل امتى وشوقى الى ربى **فصل** قال المؤلف رحمه الله تعالى
اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله عليهم من كمال
الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هى هذه الصفات لانها
صفات الكمال والكمال والتمام البشرى والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبهم
اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقال
قال عليه الصلوة والسلام ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال
اخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم صلى الله عليه وسلم طوله ستون
ذراعا فى السماء وفى حديث ابى هريرة رايت موسى فاذا هو رجل ضرب رجل اقنى كانه
من رجال شنوءة ورايت عيسى فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من
ديماس وفى حديث اخر مبطن مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابراهيم به وقال فى حديث
آخر فى صفة موسى عليه السلام كاحسن ما انت راء من ادم الرجال وفى حديث ابى هريرة
رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا الا فى ذروة
من قومه ويروى فى ثروة اى كثرة ومنعة وحكى الترمذى عن قتادة ورواه الدارقطنى
من حديث قتادة عن انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت فكان نبيكم احسنهم

وجهًا واحسنهم صوتًا وفى حديث هرقل وسالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب
وكذلك الرسل تبعث فى انساب قومها وقال تعالى فى ايوب عليه السلام انا وجدناه صابرًا
نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيًا
وقال ان الله يبشرك بيحيى مصدقًا الى قوله الصلحين وقال ان الله اصطفى ادم
ونوحًا وال ابرهيم وال عمران على العلمين الايتين وقال فى نوح انه كان عبدًا
شكورًا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الاية وقال انى عبد الله
اتنى الكتب الى قوله ما دمت حيًا وقال يايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا
موسى الاية قال النبى صلى الله عليه وسلم كان رجلا حييًا ستيرًا ما يرى من جسده شئ
استحياء الحديث وقال تعالى عنه فوهب لى ربى حكمًا الاية وقال فى وصف جماعة
منهم انى لكم رسول امين وقال ان خير من استاجرت القوى الامين وقال فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله
فبهدهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى والحكم والاجتباء والنبوة
وقال فبشرنه بغلام عليم وحليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم
رسول كريم الى قوله امين وقال ستجدنى ان شاء الله من الصبرين وقال فى
اسمعيل انه كان صادق الوعد الايتين وفى موسى انه كان مخلصًا وفى سليمان
نعم العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولى الايدى
والابصار الى الاخيار وفى داود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه واتينه الحكمة
وفصل الخطاب وقال عن يوسف اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وفى موسى
ستجدنى ان شاء الله صابرًا وقال فى شعيب ستجدنى ان شاء الله من الصلحين
وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت
وقال ولوطًا اتينه حكمًا وعلمًا وقال انهم كانوا يسارعون فى الخيرات الاية وقال

سفیان هو الحزن الدائم فی آیٍ کثیرةٍ ذکر فیها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالّة
علی کمالهم وجاء من ذلك فی الاحادیث کثیرٌ کقوله انّما الکریم ابن الکریم ابن الکریم ابن
الکریم یوسف بن یعقوب بن اسحٰق بن ابراهیم نبی ابن نبی ابن نبی ابن نبی وفی حدیث انس
وکذلك الانبیاء تنام اعینهم ولا تنام قلوبهم وروی ان سلیمان علیه السلام کان
مع ما اعطی من الملك لا یرفع بصره الی السماء تخشّعا وتواضعا لله تعالی وکان یطعم الناس
لذائذ الاطعمة ویأکل خبز الشعیر واوحی الله الیه یا رأس العابدین وابن محجّة الزاهدین
وکانت العجوز تعترضه وهو علی الریح فی جنوده فیأمر الریح فتقف فینظر فی حاجتها
ویمضی وقیل لیوسف مالك تجوع وانت علی خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسی
الجائع وروی ابو هریرة رضی الله عنه علیه السلام خُفّف علی داؤد القرآن فکان یأمر بدابّته
فتسرج فیقرأ القرآن قبل ان تسرج ولا یأکل الا من عمل یده قال الله تعالی والنا له
الحدید لاید وکان سأل ربه ان یرزقه عمل یده ویغنیه عن بیت مال الله وقال علیه
الصلوٰة والسلام احبّ الصلوة الی الله صلاة داود واحبّ الصیام الی الله صیام داود
وکان ینام نصف اللیل ویقوم ثلثه وینام سدسه ویصوم یوما ویفطر یوما وکان
یلبس الصوف ویفترش الشعر ویأکل خبز الشعیر بالملح والرماد ویمزج شرابه بالدموع
ولم یُرَ ضاحکا بعد الخطیئة ولا شاخصا بصره الی السماء حیاء من ربه ولم یزل
باکیا حیاته کلها وقیل بکی حتی نبت العشب من دموعه وحتی اتخذت الدموع فی
خده اخدودا وقیل کان یخرج متنکّرا یتعرّف سیرته فیسمع الثناء علیه فیزداد
تواضعا وقیل لعیسی علیه السلام لو اتخذت حمارا فقال انا اکرم علی الله من ان
یشغلنی بحمار وکان یلبس الشعر ویأکل الشجر ولم یکن له بیت اینما ادرکه النوم نام
کان احبّ الاسامی الیه ان یقال له مسکین وقیل ان موسی لما ورد ماء مدین
کانت تُری خضرة البقل فی بطنه من الهزال وقال صلی الله علیه وسلم لقد کان الانبیاء

قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني النطق بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه السلام كان لا يستظل يوم حرّ وكان يأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله تعالى بما اكرمه الله به من كلامه واخبارهم في هذا كله صلوات الله عليهم مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا تلتفت الى ما تجده في كتب بعض جهلة المؤرخين والمفسرين مما يخالف هذا

فصل قال القاضي رحمه الله قد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه عليه السلام ممتد ينقطع دون نفاده الادلاء وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابي هالة لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله

حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة قال نا الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا انا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال انا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال انا سفيان بن وكيع نا جميع بن

عمر بن عبد الرحمن العجلی املاءً من کتابه قال ثنی رجل من بنی تمیم من ولد ابی هالة زوج خدیجة ام المؤمنین رضی الله عنها یکنی ابا عبد الله عن ابن لابی هالة عن الحسن بن علی بن ابی طالب رضی الله عنه قال سالت خالی هند بن ابی هالة قال القاضی ابو علی رحمه الله وقرات علی الشیخ ابی طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خذاداد الکرخی الباقلانی قال و اجاز لنا الشیخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خیرون قالا اخبرنا ابو علی الحسن بن احمد بن ابراهیم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسی قرأت علیه فاقر به قال اخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد بن یحیی ابن الحسن بن جعفر بن عبید الله بن الحسین بن علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب المعروف بابن اخی طاهر العلوی قال نا اسمعیل بن محمد بن اسحاق بن جعفر بن محمد بن علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب قال ثنی علی بن جعفر بن محمد بن علی بن الحسین عن اخیه موسی بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابیه محمد بن علی عن علی بن الحسین قال قال الحسن بن علی واللفظ بهذا السند سالت خالی هند بن ابی هالة عن حلیة رسول الله صلی الله علیه وسلم وکان وصافا وانا ارجو ان یصف لی منها شیئا اتعلق به قال کان رسول الله صلی الله علیه وسلم فخما مفخما یتلالأ وجهه تلالؤ القمر لیلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظیم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقیقته فرق والا فلا یجاوز شعره شحمة اذنیه اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبین ازج الحواجب سوابغ من غیر قرن بینهما عرق یدره الغضب اقنی العرنین له نور یعلوه یحسبه من لم یتامله اشم کث اللحیة ادعج العینین سهل الخدین ضلیع الفم اشنب مفلج الاسنان دقیق المسربة کان عنقه جید دمیة فی صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسکا سواء البطن والصدر مشیح الصدر بعید ما بین المنکبین ضخم الکرادیس انور المتجرد موصول ما بین اللبة والسرة بشعر یجری کالخط عاری الثدیین والبطن مما سوی ذلک اشعر الذراعین والمنکبین واعالی الصدر طویل الزندین رحب الراحة شثن

الكفين والقدمين سائل الاطراف او قال سائن الاطراف وسائل الاطراف سبط العصب
خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفيا
ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض
الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه و
يبدأ من لقيه بالسلام قلت له صف لي منطقه قال كان عليه السلام متواصل الاحزان
دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي
ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام
لغضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار
اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته
اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن
مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها عن الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه
فسال اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه وملبسه ومجلسه و
شكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سالت ابي رضي الله عنه عن دخول رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه ماذونا له في ذلك فكان اذا اوى الى
منزله جزء دخوله ثلثة اجزاء جزأ لله تعالى وجزأ لاهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزأه بينه
وبين الناس فرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته
في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة
ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من
مسألته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب و
ابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع

بلاغا اثبت الله قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره
قال في حديث سفيان بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون
ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخزن لسانه الا فيما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم يكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد
اصحابه ويسال الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه
معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا ويملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر
عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم
نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة فسالته عن مجلسه كيف
كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر
ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس
ويامر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه
من جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من ساله حاجة لم يرده
الا بها او بميسور من القول وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده
في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى وصاروا عنده في
الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه
الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين
يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسالته
عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه قال كان عليه السلام دائم البشر سهل الخلق
لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل
عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والاكثار وما لا يعنيه

وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما
رجى ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون
عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث اولهم يضحك مما
يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا
رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد
حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي او قيام هٰهنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد
الآخر قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم و
الحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره
ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه
وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده الرأي
بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والآخرة صلى الله عليه وسلم ورضي
عن اصحابه اجمعين **فصل** في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اي
البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل
الذي كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس اراد ان
انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون
نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وهذا كما قال في الحديث الآخر
ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم والامهق الناصع البياض والآدم الاسمر اللون
ومثله في الحديث الآخر ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل
الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف و
القرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن
والادعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الآخر اشكل العين واسجر العين هي التي

في بياضهما حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيزها
كما يوجد في اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي
بين الصدر والسرة بادن ذو لحم متماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل
قوله في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير
الذقن وسواء البطن والصدر اي مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فتكون من
الاقبال وهو احد معاني اشاح اي انه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو
تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر و
لا مفاض البطن ولعل اللفظة مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية
الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهي مثل قوله في الحديث الاخر
جليل المشاش والكتد والمشاش رؤس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين و
القدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف اي طويل الاصابع وذكر ابن
الانباري انه روي سائن الاطراف او قال سائن بالنون قال وهما بمعنى واحد تبدل اللام من
النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة
جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة اي واسعها وقيل كني به عن سعة العطاء
والجود وخمصان الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط
القدم ومسيح القدمين اي املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة خلاف
هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح
القدمين وبه قالوا سمي المسيح عيسى بن مريم اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما
وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى
سنن المشي او قصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اي ان مشيه
كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه بخلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل

ذلك رفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب فقيل له يفتتح الكلام ويختمه باشداقه
اى ليستعر فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم واسكر مال والقبض وحب الطعام الذي
وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اى يجعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل
عنه العامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها فى جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا اى
محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا يتفرقون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويتشبه
ان يكون على ظاهره اى فى الغالب الاكثر والعتاد العدة والشئ الحاضر المعد والموازرة
المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اى لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن
هذا مفسرا فى غير هذا الحديث وصابره اى حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن
فيه الحرم اى لا يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته اى لا يتحدث بها اى لم تكن فيه فلتة و
ان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل
الثناء الا من مكافئ قيل من مقتصد فى ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من
مكافئ على يد سبقت من النبى صلى الله عليه وسلم ويستفزه يستخفه وفى حديث آخر
فى وصفه منهوس العقب اى قليل لحمها واهدب الاشفار اى طويل شعرها ❊

الباب الثانى فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه

ومنزلته وما خصه به فى الدارين من كرامته عليه السلام لا خلاف انه صلوات الله و
سلامه عليه اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله عز وجل واعلاهم درجة
واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة جدا وقد قصرنا منها على صحيحها
ومنتشرها وحصرنا معانى ما اوردناه فى اثنى عشر فصلا

الفصل الاول

فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد
آدم وما خصه به فى الدنيا من مزايا الرتب والبركة اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد
عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه قال اخبرنا ابو الحسن الفرغانى حدثتنا ام القاسم بنت

الباب الثانى من القسم الاول

ابی بکر بن یعقوب عن ابیہما انا حاتم و شوا بن عقیل عن یحیی هو ابن اسمعیل عن یحیی الحمانی
نا قیس عن الاعمش عن عبایة بن ربعی عن ابن عباس رضی الله عنهما قال قال رسول الله
صلی الله علیه وسلم ان الله قسم الخلق قسمین فجعلنی من خیرهم قسما فذلك قوله عز وجل اصحب
الیمین و اصحب الشمال فانا من اصحاب الیمین و انا خیر اصحاب الیمین ثم جعل القسمین اثلاثا
فجعلنی من خیرها ثلثا وذلك قوله فاصحب المیمنة ما اصحب المیمنة و اصحب المشئمة
ما اصحب المشئمة والسابقون السابقون فانا من السابقین وانا خیر السابقین
ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلنی من خیرها قبیلة وذلك قوله وجعلنکم شعوبا وقبائل
الایة فانا اتقی ولد آدم واکرمهم علی الله ولا فخر ثم جعل القبائل بیوتا فجعلنی من خیرها
بیتا فذلك قوله انما یرید الله لیذهب عنکم الرجس اهل البیت الایة وعن ابی سلمة
عن ابی هریرة قال قالوا یا رسول الله متی وجبت لك النبوة قال و آدم بین الروح والجسد
وعن واثلة بن الاسقع قال قال علیه السلام ان الله اصطفی من ولد ابراهیم اسمعیل
واصطفی من ولد اسمعیل بنی کنانة واصطفی من بنی کنانة قریشا واصطفی من قریش
بنی هاشم واصطفانی من بنی هاشم ومن حدیث انس انا اکرم ولد آدم علی ربی ولا فخر
وفی حدیث ابن عباس انا اکرم الاولین والاخرین ولا فخر وعن عائشة رضی الله عنها
عنه علیه السلام اتانی جبریل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا
افضل من محمد صلی الله علیه وسلم ولم ار بنی اب افضل من بنی هاشم وعن انس
ان النبی صلی الله علیه وسلم اتی بالبراق لیلة اسری به فاستصعب علیه فقال له جبریل
ا بمحمد تفعل هذا فما رکبك احد اکرم علی الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس رضی الله
عنهما لما خلق الله آدم اهبطنی الی الارض فی صلبه وجعلنی فی صلب نوح فی السفینة
وقذف بی فی النار فی صلب ابراهیم ثم لم یزل ینقلنی فی اصلاب الکریمة الی الارحام الطاهرة
حتی اخرجنی بین ابوی لم یلتقیا علی سفاح قط والی هذا اشار العباس بن عبد المطلب

عنه فيه يقول نظم

من قبلها طبت في الظلال وفي	مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر	انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد	ألجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم	اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من	خندف علياء تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الا	رض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي	النور وسبل الرشاد نخترق

وما روي عنه عليه الصلوة والسلام ابوذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله انه صلى الله عليه وسلم قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر انه قال صلى الله عليه وسلم اني فرط لكم على الحوض وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي

بعدی اوتیت جوامع الکلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمرو
بعثت بین یدی الساعة ومن روایة ابن وهب انه صلی الله علیه وسلم قال قال الله تعالی
سل یا محمد فقلت یا رب ما اسأل اتخذت ابراهیم خلیلا وکلمت موسی تکلیما واصطفیت
نوحا واعطیت سلیمان ملکا لا ینبغی لاحد من بعده فقال الله تعالی ما اعطیتک خیر
من ذلک اعطیتک الکوثر وجعلت اسمک مع اسمی ینادی به فی جوف السماء و
جعلت الارض طهورا لک ولامتک وغفرت لک ما تقدم من ذنبک وما تأخر فانت
تمشی فی الناس مغفورا لک ولم اصنع ذلک لاحد قبلک وجعلت قلوب امتک
مصاحفها وخبأت لک شفاعتک ولم اخبأها لنبی غیرک وفی حدیث آخر رواه حذ
بشرنی یعنی ربه اول من یدخل الجنة معی من امتی سبعون الفا مع کل الف سبعون
الفا لیس علیهم حساب واعطانی ان لا تجوع امتی ولا تغلب واعطانی النصر والعزة
والرعب یسعی بین یدی امتی شهرا وطیب لی ولامتی الغنائم واحل لنا کثیرا مما شدد علی
من قبلنا ولم یجعل علینا فی الدین من حرج وعن ابی هریرة رضی الله عنه علیه
الصلوة والسلام ما من نبی من الانبیاء الا وقد اعطی من الآیات ما مثله آمن علیه البشر
وانما کان الذی اوتیت وحیا اوحی الله الی فارجو ان اکون اکثرهم تابعا یوم القیامة
معنی هذا عند المحققین بقاء معجزته ما بقیت الدنیا وسائر معجزات الانبیاء ذهبت للحین
ولم یشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القرآن یقف علیها قرن بعد قرن عیانا لا خبرا الی
یوم القیامة وفیه کلام یطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فیه وفیما ذکر فیه سوی هذا
آخر باب المعجزات وعن علی کل نبی اعطی سبعة نجباء من امته واعطی نبیکم اربعة عشر
نجیبا منهم ابوبکر وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلی الله علیه وسلم ان الله قد حبس
عن مکة الفیل وسلط علیها رسوله والمؤمنین وانها لم تحل لاحد بعدی وانما احلت لی
ساعة من نهار وعن العرباض بن ساریة سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول

انی عبد الله وخاتم النبیین وان آدم لمنجدل فی طینته وعدة ابی ابراهیم وبشارة عیسی
ابن مریم وعن ابن عباس قال ان الله تعالی فضل محمدا صلی الله علیه وسلم علی اهل السموات وعلی الانبیاء
صلوات الله علیهم قالوا فما فضله علی اهل السماء قال ان الله تعالی قال لاهل السموات ومن یقل
منهم انی اله من دونه الآیة وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا مبینا الآیة قالوا فما فضله
علی الانبیاء قال ان الله تعالی قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه لیبین لهم
الآیة وقال لمحمد وما ارسلناك الا کافة للناس وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب
رسول الله صلی الله علیه وسلم قالوا یا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روی نحوه عن ابی
ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة ابی ابراهیم یعنی قوله ربنا وابعث فیهم
رسولا منهم وبشری عیسی ورأت امی حین حملت بی انه خرج منها نور اضاء له قصور بصری
من ارض الشام واسترضعت فی بنی سعد بن بکر فبینا انا مع اخ لی خلف بیوتنا نرعی
بهما لنا اذ جاءنی رجلان علیهما ثیاب بیض وفی حدیث آخر ثلاثة رجال بطست من ذهب
مملوءة ثلجا فاخذانی فشقا بطنی وقال فی غیر هذا الحدیث من نحری الی مراق بطنی
ثم استخرجا منه قلبی فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبی وبطنی
بذلك الثلج حتی انقیاه وقال فی حدیث آخر ثم تناول احدهما شیئا فاذا بخاتم فی یده من
نور یحار الناظر دونه فختم به قلبی فامتلأ ایمانا وحکمة ثم اعاده مکانه وامر الآخر یده
علی مفرق صدری فالتأم وفی روایة ان جبریل علیه السلام قال قلب وکیع ای شدید
فیه عینان تنظران واذنان تسمعان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته
فوزنی بهم فوزنتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنی بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف
من امته فوزنی بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته کلها لوزنها قال
فی الحدیث الآخر ثم ضمونی الی صدورهم وقبلوا رأسی وما بین عینی ثم قالوا یا حبیب لم ترع
انك لو تدری ما اراد بك من الخیر لقرت عیناك وفی بقیة هذا الحدیث من قولهم ما اکرمك

على الله ان الله صلت وملائكته قال في حديث ابي ذر فهاهو الا ان ركبا عني فكانما ادري
الامر معاينة وحكى ابو محمد المكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان ادم عند معصيته قال
اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال الله تعالى له من اين عرفت محمدا
قال رايت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي
ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تاويل
قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وفي رواية الآجري فقال آدم لما خلقتني
رفعت راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه
ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي انه
لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر
وروي عن سريج بن يونس انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتها كل دار فيها احمد
او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن ابي الحمراء قال
قال عليه الصلوة والسلام لما اسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول
الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح
من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك
عجبا لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي
وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب
من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب لا اله الا الله محمد تقي مصلح
وسيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد مكتوب على
احد جنبيه لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا
احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه
اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه

عليه السلام وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون
ما من بيت فيه اسم محمد الا نما وزرقوا ورزق جيرانهم وعنه عليه السلام ما ضر احدكم ان
يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود ان الله نظر الى قلوب العباد
فاختار منها قلب محمد عليه السلام فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا
ازواجه الاية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا و
فضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة الانبياء
والعروج به الى سدرة المنتهى وما راى من ايات ربه الكبرى ومن خصائصه عليه الصلوة
والسلام قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز
وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحن الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
الاية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايت ربه الكبرى فلا خلاف بين
المسلمين في صحة الاسراء به عليه السلام اذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح
عجائبه وخواص نبينا محمد عليه السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدم اكملها
ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر
بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا ثنا ابو العباس
العذري ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي نا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا
شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة نا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل
يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي
تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء

من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا
فاذا انا بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية
فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه
قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله
عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا
فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي
بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير
قال الله ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب
ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره
الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي
الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من
امر الله ما غشي تغيرت فما يستطيع احد من خلق الله ان ينعتها من حسنها فاوحى الله
الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض
ربك على امتك قلت خمسين صلوة قال ارجع الى ربك فسئله التخفيف فان امتك
لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا
رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال
ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسئله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين
ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة
عشر فذلك خمسون صلوة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها

كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة
قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رضي الله عنه
جوّد ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس ما شاء فلم يأت احد عنه باصوب من هذا وقد خلّط
فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لاسيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجيء
الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك
في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء ولا خلاف انها كانت بعد الوحي
وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس من
رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان
عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس فجوّد في
القصتين وفي ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه
وصل الى البيت المقدس ثم عرج به من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان
ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري
ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه
ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن
صعصعة وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات وحديث ثابت
عن انس اتقن واجود وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها
في حديث ابن شهاب فيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهيم فقالا
والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام
وعن انس ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة
وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام

بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر ممّا يدخل من أمتي وفي حديث أبي هريرة وقد رأيتني في جماعة
من الأنبياء فحانت الصلوة فأممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلّم عليه فالتفتّ
فبدأني بالسلام وفي حديث أبي هريرة ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى صخرة
فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبريل من هذا الذي معك قال هذا محمد رسول
الله خاتم النبيين قالوا وقد أرسل إليه قال نعم قالوا حيّاه الله من أخ وخليفة فنعم
الأخ ونعم الخليفة ثم لقوا أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم وذكر كلام كلّ واحد منهم وهو
إبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال
وإنّ محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه فقال كلّكم أثنى على ربه وأنا مثنٍ على ربي الحمد لله
الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافّة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل عليّ القرآن فيه تبيان كلّ شيء
وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتي أمّة وسطا وجعل أمتي هم الأوّلون وهم
الآخرون وشرح لي صدري ووضع عنّي وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال
إبراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر أنه عرج بي إلى السماء الدنيا ومن سماء إلى سماء نحو ما تقدّم
وفي حديث ابن مسعود وانتهي بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما
يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال إذ يغشى
السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية أبي هريرة من طريق الربيع بن أنس فقيل
لي هذه سدرة المنتهى ينتهي إليها كلّ أحد من أمتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى
يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه وأنهار من خمر لذّة للشاربين
وأنهار من عسل مصفّى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وإنّ ورقة منها مظلّة
الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله تعالى إذ يغشى السدرة ما يغشى فقال
تبارك وتعالى له سل فقال إنّك اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلّمت موسى
تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخّرت له الجبال وأعطيت سليمان

ملكًا عظيمًا وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكًا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة و
الانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليه
سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبًا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وارسلتك
الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى
يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقًا وآخرهم بعثًا واعطيتك سبعًا
من المثاني ولم اعطها نبيًا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها
نبيًا قبلك وجعلتك فاتحًا وخاتمًا وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاثًا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئًا
من امته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد ما رأى لا يتين رأى جبريل في صورته له ستمائة
جناح وفي حديث شريك انه رأى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به
فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى عليه السلام لم اظن ان يرفع علي احد تذ
عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس عن انس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين
كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى
فنمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء وانا اقلب طرفي ونظرت
جبريل كانه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب السماء ورأيت النور الاعظم ولط دوني
الحجاب وفجر الدر والياقوت ثم اوحى الله الي ما شاء ان يوحي ذكر البزار عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق
فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله
من محمد فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من
الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب

الخلق مكاناً وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلوة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فام اهل السماء فيهم آدم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض قال لقاضي رضي الله عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ اخرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي خرج من وراءه ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن او امر ما من عظيم اياته او مبادي حقائق معارفه مما هو اعلم كما قال تعالى واسئل القرية اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء الحجاب كما قال وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى راه والله اعلم

فصل ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراء

بروحه او جسده على ثلاث مقالات فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا
منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق ووحي والى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن والمشهور
عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحاق وحجتهم قوله تعالى وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ
وما حكوا عن عائشة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نائم
وقول انس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت وانا بالمسجد
الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق و
هو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي حبة
البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد و
الحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة وهو قول
الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين
والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء
بالروح واحتجوا بقوله سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ
الْأَقْصَى فجعل المسجد الاقصى غاية الاسراء التي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف
النبي محمد به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قال هؤلاء ولو كان الاسراء بجسده الى زائد
على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس
ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلوته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله
ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح ان شاء
الله انه اسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الاخبار والاعتبار
ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل الا عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده و
حال يقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله مَا زَاغَ الْبَصَرُ
وَمَا طَغَى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه

فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر فى الحديث من ذكر صلوته بالانبياء ببيت المقدس فى رواية انس او فى السماء على ما روى غيره وذكر مجئ جبرئيل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه فى فرض الصلوة ومراجعته مع موسى فى ذلك وفى بعض هذه الاخبار فاخذ يعنى جبرئيل بيدى فعرج بى الى السماء الى قوله ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة وراى فيها ما ذكره قال ابن عباس هى رؤيا عين راها النبى صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا انا نائم فى الحجر جاءنى جبرئيل فهمزنى بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعى ذكر ذلك ثلاثا فقال فى الثالثة فاخذ بعضدى فجرنى الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هانى ما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو فى بيتى تلك الليلة صلى العشاء الاخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانى لقد صليت معكم العشاء الاخرة كما رايت بهذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما ترون وهذا بين فى انه بجسمه وعن ابى بكر من رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به طلبتك يا رسول الله البارحة فى مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبرئيل حمله الى المسجد الاقصى وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسرى بى فى مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه انية ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن ابى ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتى وانا بمكة فنزل جبرئيل فشرح صدرى ثم غسله بماء زمزم الى اخر القصة ثم اخذ بيدى

(حواشي بين السطور: عطفٌ — ومراجعته — خمسين ١٢ بحالها — علوت ١٢ — صريرا ١٢ — رواه البخاري ١٢ — حديث الاسراء ١٢ — ارجع ١٢ — بنت ابي طالب ١٢ — الفجر — انبهنا — انتبهنا ١٢ — عنده ١٢ — برهان ظاهر ١٢ — رواه البيهقي ١٢ — رواه ابن مردويه ١٢ — الاقصى ١٢ — اى تجسمها ١٢ — بسبب — اى شق — فتح)

(حاشية جانبية: له اى بعد انتقال من انتقال الى الجبل — سلم اى بسبب المشي سلم انتقال ويشرح — الانبياء وتفضيل والمراجعة والتخفيف — ه اى امرت وعن الحسن رواه في الصحيحين — ع اى عن ابن سيرين — الحديث كما في الصحيح وجرت — ١٢ سيد المرسلين وعلى عظمة — ه اى تخصيص الابراهيم — للنبي الكلية كلمته ١٢ — ١٢ اى الاسلام — الاطلاق — المبالغة ١٢ صلى الله عليه وسلم — البيت المصطفى صلى الله عليه وسلم — على ان سكان بيت ١٢ — من بلده اسم رمزي)

ففرج بى وعن انس أتيت فانطلقوا بى الى زمزم فشرح عن صدرى وعن ابى هريرة لقد رايتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لى انظر اليه وغيره ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى حديث الاسراء عنه عليه الصلوة والسلام انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت عن جانبها

فصل في ابطال حجج من قال انها نوم

احتجوا بقوله وما جعلنا الرؤيا فسماها رؤيا قلنا قوله سبحٰن الذى اسرى بعبده يرده لانه لا يقال فى النوم اسرى وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤية عين واسراء بشخص اذ ليس فى الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون فى ساعة واحدة فى اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا فى هذه الاية فذهب بعضهم الى انها نزلت فى قضية الحديبية وما وقع فى نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها فى الحديث مناما وقوله فى حديث اخر بين النائم واليقظان وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به وهو نائم وليس فى الحديث انه كان نائما فى القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا فى المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظ من نوم اخر بعد وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان فى بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملأ الاعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شئ من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا ان يكون فى وقت صلوته بالانبياء ولعله كانت لهذا الاسراء

حالات ووجه رابع وهو ان يعبّر بالنوم هاهنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله فى رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفى رواية هدبة عنه بينا انا نائم فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجع وقوله فى الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة فى هذا الحديث انما هى من رواية شريك عن انس وهى منكرة من روايته اذ شق البطن فى الاحاديث الصحيحة انما كان فى صغره عليه السلام وقبل النبوة ولانه قال فى الحديث قبل ان يبعث والاسراء باجماع كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع فى رواية انس مع ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبى صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفى كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول عائشة ما فقدت جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجة ولا فى سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف فى الاسراء متى كان فان الاسراء كان فى اول الاسلام على قول الزهرى ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة فى الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عائشة دل على انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا فى حديث ام هانئ وغيره وايضا فليس حديث عائشة بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعنى حديث ام هانئ وما ذكرت فيه خديجة وايضا فقد روى فى حديث عائشة ما فقدت ولم يدخل بها النبى صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذى يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما راه للقلب وهذا يدل

وهو الجمل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في الاية و اذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الاية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الاية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تاويل وايضا فليس فيه نص على الامتناع وانما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق التاويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك اي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة غرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الاخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية رأى الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله سبحانه وتعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما بقوة الهية منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما راياه والله اعلم وذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن الايتين ما معناه ان موسى عليه السلام

رأى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل رأى ربه فصار دكا بإدراك خلقه الله له واستنبط ذلك
والله اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه
للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول و
قال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا يدل
على ان موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل انه رآه وبرؤية الجبل له استدل
من قال برؤية محمد نبينا له اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في الآيات
نص بالمنع واما وجوبه لنبينا والقول بانه رآه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص
اذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده الى
النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابي ذر في تفسير الآية
وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابي ذر الآخر مختلف محتمل
مشكل فروي نور انى اراه وحكى بعض شيوخنا انه روي نورانى اراه وفي حديثه الآخر
سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح
رأيت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى
والى هذا يرجع قوله نور انى اراه اى كيف اراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل
ما في الحديث الآخر لم اره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنى فتدلى والله قادر
على خلق الادراك الذي في البصر في القلب وكيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين في
الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله تعالى الموفق

فصل واما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله وكلامه معه بقوله فاوحى الى
عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحي الله الى جبريل وجبريل
الى محمد الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى الله تعالى اليه بلا واسطة ونحوه

عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه في الاسراء وحكي عن الاشعري
وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره آخرون وحكى النقاش عن ابن عباس في قصة
الاسراء عنه عليه السلام في قوله دنى فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات
عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث انس في الاسراء
نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللّٰهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ فقالوا هي ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وبارسال
الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا و
لم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه
في قلب النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي في حديث
الاسراء ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر فيه فقال الملك
الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات
الاذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه
وفي اول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد ومن اختصه من انبيائه جائز غير ممتنع
عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى
كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه
على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا فوق هذا كله حتى بلغ مستوى
وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص
من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات فصل واما ما ورد في حديث الاسراء
وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله تعالى دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى
فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام او مختص باحدهما
من الآخر او من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد دنا فتدلى من ربه و

قيل معنى دنى قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب دنى من محمد فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنى من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنى من ربه قال فارقني جبريل فانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنى الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلوة وذكر حديث الاسرا وعن محمد بن كعب هو محمد دنى من ربه فكان قاب قوسين وقال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنى محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله والى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل هو كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتاول فيه ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنى جعل ثم مسافة بل كلما دنى بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن ادراك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطلب واظهار

التحتي وانافة للمنزلة والمرتبة من الله له وتيا وّل فيه ما يتاول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المامول **فصل** في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة حدثنا القاضي ابو علي قال نا ابو الفضل وابو الحسين قالا انا ابو يعلى نا السنجي نا ابن محبوب نا الترمذي نا الحسين بن يزيد الكوفي نا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيامة وفي حديث آخر اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى

فيلكم يوم القيامة ثم قال الحيا في امتي يوم القيامة اما ابراهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فجعلني
من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخي ليس بيني وبينه
نبي وانا اولى الناس به قوله انا سيد الناس يوم القيامة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة
ولكن اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسؤدد والشفاعة دون غيره اذ لجأ الناس اليه في
ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجأ الناس اليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا
منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار والملك له تعالى في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك
في الدنيا وكذلك لجأ الى محمد جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرة دون دعوى
وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول
الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض من الورق
وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ ابدا وعن ابي ذر نحوه وقال
طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب
والاخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء
وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر وسمرة وابن
عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن
اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن
جبلة وابو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي وابو هريرة والبراء وجندب وعائشة واسماء
بنتا ابي بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم

فصل في تفضيله بالمحبة والخلة

جاءت
بذلك الاثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على ألسنة المسلمين بحبيب الله انا
ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد قالت ثنا ابو الهيثم وحدثنا

الحسين بن محمد الحافظ سماعا عليه ثنا القاضي ابو الوليد ثنا سعد بن احمد ثنا ابو الهيثم ثنا
عبد الله بن محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن محمد ثنا ابو عامر ثنا فليح
ثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت
متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث اخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله
بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم
فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابرهيم من خلقه خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى
كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم
فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى
نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا
حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع
ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر
وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة من قول الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة انت حبيب الرحمن

فصل

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل
الخليل المنقطع الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص
واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاصطفاء وسمي ابراهيم خليل الله
لانه والى فيه وعادى فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل
اصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابراهيم لانه قصر
حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى
في النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التي

توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف
والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك تعالى في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن
ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يواخذ بذنوبه
قال هذا والخلة مقام اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية
ابراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع
عمن دونه والاضراب عن الوسائط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما
وخفي الطافه عندهما وما خالل بواطنهما من اسرار الهية ومكنون غيوبه ومعرفته او
لاستصفائه لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخالطهما حب لغيره ولهذا
قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام ولو كنت
متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام واختلف العلماء ارباب القلوب
ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا
ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة
ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق
المحبة عليه السلام لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة
لان درجة الحبيب نبينا ارفع من درجة الخليل ابراهيم واصل المحبة الميل الى ما يوافق ا
ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله
فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئته اسباب
القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه
ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله تعالى

والاعراض عن غيره وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ولهذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله **شعر**

قد تخللت مسلك الروح مني ٭ وبذا سمي الخليل خليلا ٭ فاذا ما نطقت كنت حديثي ٭ واذا ما سكت كنت الغليلا ٭ فاذا عرفت الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا عليه السلام بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الآية حكى اهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل لحبيبه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم الآية والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال فكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا **فصل** في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا **اخبرنا** الشيخ ابو

الغسانی الجیانی فیما کتب الی بخطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضی ثنا ابو محمد
الاصیلی ثنا ابو زید وابو احمد قالا نا محمد بن یوسف قال نا محمد بن اسمعیل ثنا اسمعیل بن
ابان ثنا ابو الاحوص عن آدم بن علی قال سمعت ابن عمر یقول ان الناس یصیرون یوم القیامة
جثی کل امة تتبع نبیها یقولون یا فلان اشفع لنا یا فلان اشفع لنا حتی تنتهی الشفاعة
الی النبی صلی الله علیه وسلم فذلک یوم یبعثه الله المقام المحمود وعن ابی هریرة سئل عنها
رسول الله صلی الله علیه وسلم یعنی قوله عسی ان یبعثک ربک مقاما محمودا فقال هی
الشفاعة وروی کعب بن مالک عنه علیه السلام یحشر الناس یوم القیامة فاکون انا
وامتی علی تل ویکسونی ربی حلة خضراء ثم یؤذن لی فاقول ما شاء الله ان اقول فذلک
المقام المحمود وعن ابن عمر وذکر حدیث الشفاعة قال فیمشی حتی یاخذ بحلقة الجنة فیومئذ
یبعثه الله المقام المحمود الذی وعده وعن ابن مسعود عنه انه قیامه عن یمین العرش مقاما
لا یقومه غیره یغبطه فیه الاولون والآخرون ونحوه عن کعب والحسن وفی روایة هو المقام
الذی اشفع لامتی فیه وعن ابن مسعود قال رسول الله صلی الله علیه وسلم انی لقائم المقام
المحمود قیل وما هو قال ذلک یوم ینزل الله تبارک وتعالی علی کرسیه الحدیث وعن ابی موسی عنه علیه
السلام خیرت بین ان یدخل نصف امتی الجنة وبین الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها
اعم اترونها للمتقین ولکنها للمذنبین الخطائین وعن ابی هریرة قلت یا رسول الله ماذا رد
علیک فی الشفاعة فقال شفاعتی لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا یصدق لسانه قلبه وعن
ام حبیبة قالت قال رسول الله صلی الله علیه وسلم اریت ما تلقی امتی من بعدی وسفک بعضهم
دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان یولینی شفاعة یوم القیامة
فیهم ففعل قال حذیفة یجمع الله الناس فی صعید واحد حیث یسمعهم الداعی وینفذهم البصر
حفاة عراة کما خلقوا سکوتا لا تکلم نفس الا باذنه فینادی محمد فیقول لبیک وسعدیک
والخیر فی یدیک والشر لیس الیک والمهدی من هدیت وعبدک بین یدیک ولک والیک

لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي
ذكره الله وقال ابن عباس اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فيبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من
النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسألون
آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى يأتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن
ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد
الفقير سمعت بمقام محمد الذي يبعثه الله فيه قال نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج
يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده
وعن سلمان المقام المحمود هو الشفاعة لامته يوم القيامة وقال قتادة كان اهل العلم يرون المقام
المحمود شفاعته يوم القيامة وعلى ان المقام المحمود هو شفاعته عليه السلام للشفاعة مذهب السلف
من الصحابة والتابعين وعامة ائمة المسلمين بذلك وجاء تفسيره في صحيح الاخبار وعليه المعول وجاءت
مقالات في تفسيرها شاذة عن بعض السلف حيث لا يثبت لم يعضدها صحيح اثر ولا سلامة نظر ولو صحت كانت
تأويل غير مستنكر لكن ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح الآثار ورد وجاءه فاذا ثبت ما يلتفت الى ما لم يثبت
يأت في كتاب ولا سنة ولا تعقبت على المقال امة وفي اطلاق ظاهره منكر من القول وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما
دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال عليه السلام يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون
لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق سلمان الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة فتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون
ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون زاد بعضهم انت آدم ابو البشر
خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا
عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون
انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول
ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية انس ويذكر خطيئته

التي اصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى ابراهيم
فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى
ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن
عليكم بموسى فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا فيأتون موسى فيقول لست لها
ويذكر خطيئته التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول
لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فاقول انا لها فانطلق فاستأذن
على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا وفي رواية فآتي تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه
فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الآن يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه
على احد قبلي قال في رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول يا رب امتي يا رب
امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء
الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية انس هذا الفضل وقال مكانه ثم
استأذن ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول
يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان
فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه
مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع الى ربي وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان
في قلبه ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي
ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله
الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن من
النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة
فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن اي من وجب عليه الخلود وعن ابي بكر
وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتي الامانة و

الرحم فتقوما جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فياتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير شد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا الحديث وفي رواية ابي هريرة فاكون اول من يجيز وعن ابن عباس عنه عليه السلام توضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا يقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيامة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر فاتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع باختلاف الفاظ هذه الآثار ان شفاعته صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود من اول الشفاعة الى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل

نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم وتبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابة وقال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيبت وانا اريد ان اؤخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سأل لامته اشياء من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم القيامة وخاتمة المحن وعظيم السؤل والرغبة جزاه الله احسن ما جزى نبيا عن امته صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا فصل في تفضيله في الجنة بالكوثر والوسيلة والدرجة الرفيعة والفضيلة حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقراءتي عليهما قالا نا ابو علي الغساني نا النمري نا ابن عبد المؤمن نا ابو بكر التمار نا ابو داود نا محمد بن سلمة نا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سأل الله تعالى لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث اخر عن ابي هريرة الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ فقلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله قال ثم ضرب بيده الى طينة فاستخرج مسكا وعن عايشة وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري

ولم يشق منها عليهم من يرد عليها أبدا وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن
عباس أيضا قال الكوثر الخير الذي أعطاه الله إياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في
الجنة من الخير الذي أعطاه الله وعن حذيفة فيما ذكر عليه السلام عن ربه وأعطاني الكوثر
نهرا في الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال
ألف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية أخرى وفيه ما ينبغي له
من الأزواج والخدم **فصل** فإن قلت إذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الأثر وإجماع
الأمة كونه أكرم البشر وأفضل الأنبياء فما معنى الأحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل
كقوله فيما حدثناه الأسدي قال نا السمرقندي نا الفارسي نا الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم
حدثنا ابن مثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن قتادة قال سمعت أبا العالية يقول حدثني
ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغي
لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن أبي هريرة
أنه قال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد أن يقول وفي حديث
أبي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الأنصار
وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فبلغ ذلك النبي عليه السلام
فقال لا تفضلوا بين الأنبياء وفي رواية لا تخيروني على موسى وذكر الحديث وفيه
ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس بن متى وعن أبي هريرة ومن قال أنا خير من يونس
بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى وفي حديث
الآخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك إبراهيم عليه السلام فاعلم أن للعلماء
في هذه الأحاديث تأويلات أحدها أن نهيه عن التفضيل كان قبل أن يعلم أنه
سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل إذ يحتاج إلى توقيف وأن من فضل بلا علم فقد كذب
وكذلك قوله لا أقول إن أحدا أفضل منه لا يقتضي تفضيله هو وإنما هو في الظاهر

كف عن التفضيل الوجه الثاني انه قال عليه السلام على طريق التواضع وهضم النفس ونفي التكبر و

العجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي

الى تنقيص بعضهم او الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه

بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة

اذ قال تعالى عنه اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن

لا علم عنده حطيطته بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان

الانبياء فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا يتفاضل وانما التفاضل في زيادة

الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل

وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولو عزم ومنهم من رفع

مكانا عليا ومنهم من اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبر وبعضهم البينات

ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض

النبيين على بعض الاية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال

بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون

اياته ومعجزاته اظهر واشهر وتكون امته ازكى واكثر ويكون في ذاته افضل واظهر

وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام

او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ

صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته

او قدح في اصطفائه او حط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه عليه السلام

على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى

القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير

من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار
لم تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث من هذا بيانا ان شاء الله
فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض ان شاء الله تعالى **فصل**
في اسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته صلى الله عليه وسلم **حدثنا**
ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه قال نا ابو عمر الحافظ نا سعيد بن نصر نا قاسم
بن اصبغ نا محمد بن وضاح نا يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد
وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب
وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدا واحمد فمن خصائصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه
فطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد
ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد
واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة
ليتم له كمال الحمد ويتشهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما
محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون والآخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من
المحامد كما قال عليه الصلوة والسلام ما لم يعط غيره وسمى الله امته في كتب انبياءه
بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه
وبدائع اياته فن آخر هو ان الله تعالى جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه
اما احمد الذي اتى في الكتب وبشرت به الانبياء فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به
احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك
وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده
عليه السلام وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم

بذلك ورجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالته وهم محمد بن احيحة بن
الجلاح الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان بن
مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال اول من سمي
محمد محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به
ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك احدا في امره حتى
تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله وانا الماحي الذي
يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي
له من الارض ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة
كما قال الله تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث انه الذي
محيت به سيئات من اتبعه وقوله وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي يعني على عقبي
زماني وعهدي اي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين وسمي عاقب لانه عقب
غيره من الانبياء وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وفي الصحيح وانا العاقب
الذي ليس بعدي نبي وقيل على قدمي على سابقتي قال الله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم وقيل
على قدمي اي قدامي وحولي اي يجتمعوا الي في القيامة وقيل قدمي سنتي ومعنى
قوله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة
وعند اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روي عنه عليه السلام لي عشرة اسماء
وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر
يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره
لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول
الراحة ورسول الملاحم وانا المقفى قفيت النبيين وانا قيم والقيم الكامل الجامع

كذا وجد تعالى في التوراة وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه
بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في
كتب الانبياء وقال داود عليه السلام اللهم
ابعث لنا محمدا يقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القثم بمعناه وروى النقاش عنه
عليه السلام لي في القرآن سبعة اسماء انا محمد وانا احمد ويس وطه والمدثر و
المزمل وعبد الله وفي حديث عن جبير بن مطعم هي ستة محمد واحمد وخاتم وحاشر
وعاقب وماح وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان صلى الله عليه وسلم يسمي لنا
نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى
نبي المرحمة والراحة وكل صحيح ان شاء الله تعالى ومعنى المقفى معنى العاقب وقيل المتبع
للنبيين واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رءوف رحيم وقد قال في صفة امته انها امة
مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا
فبعثه صلى الله عليه وسلم ربه تعالى رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما
مستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها بالتراحم واثنى
عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة
ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث
من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث
ابي موسى ومنه نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه انه
عليه السلام قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا
اسم هو في اهل بيته عليه الصلوة والسلام معلوم وقد جاءت من القابه عليه السلام

وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير
والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين
وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم
الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الى الله في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى
منها في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية
كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع
المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد
ولد آدم وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن
وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة
والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق
والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب
الهراوة والنعلين ومن اسمائه عليه السلام في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة
والمقدس وروح الحق وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب البارقليط هو الذي
يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب
وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبياء والحاتم
احسن الانبياء خلقا وخلقا صلى الله عليه وسلم ويسمى بالسريانية مشفح
والمنحمنا واسمه ايضا في التوراة احيد روى ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب
اي السيف وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته
كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه صلى الله عليه وسلم
وهو الآن عند الخلفاء واما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصى واراها والله
اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن واما

التاج والمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان العرب واوصافه والقابه
وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله تعالى وكانت كنيته المشهورة
ابا القاسم وروي عن انس انه لما ولد له ابراهيم جاءه جبريل فقال له السلام عليك
يا ابا ابراهيم **فصل** في تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه
به من صفاته العلا قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه ما احرى هذا الفصل بفصول
الباب الاول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح
الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا
عند الخوض في الفصل الذي قبله فراينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله
تعالى خص كثيرا من الانبياء بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسمية اسحاق و
اسمعيل بعليم وحليم وابراهيم بحليم ونوح بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم و
قوي ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك
الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل نبينا محمدا عليه السلام بان حلاه منها
في كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر
واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف
فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم
منها وحققه يتمم النعمة بابانة ما لم يظهر لنا الآن ويفتح غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد و
معناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه
ولاعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود و
كذا وقع اسمه في زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى
نحو من هذا حسان رضي الله عنه بقوله ٭ وشق له من اسمه ليجله ٭ فذو العرش
محمود وهذا محمد ٭ ومن اسمائه تعالى الرؤوف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في

كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق
الموجود والمتحقق امره وكذلك المبين اى البين امره والهيئة بان وابان بمعنى و
يكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبى صلى الله عليه وسلم بذلك
فى كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل انى انا النذير المبين وا
قال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن
ومعناه ههنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بمعنى الاول والمبين البين
امره ورسالته او المبين عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن
اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور اى خالقه او منور السموات والارض بالانوار
ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه وسراجا منيرا وسمى بذلك لوضوح
امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن اسمائه
تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة وسماه شهيدا
وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى
الاول ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه كثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل
العلى وفى الحديث المروى فى اسمائه تعالى الاكرم وسماه الله تعالى كريما بقوله
انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال عليه الصلوة والسلام انا اكرم
ولد آدم ومعانى الاسم صحيحة فى حقه صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى العظيم
ومعناه الجليل الشان الذى كل شئ دونه وقال فى النبى عليه السلام وانك لعلى
خلق عظيم ووقع فى اول سفر من التوراة عن اسمعيل عليه السلام وسيلد عظيما
لامة عظيمة فهو صلى الله عليه وسلم عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار
ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلى العظيم الشان وقيل المتكبر وسمى النبى صلى الله

عليه وسلم في كتاب داؤد جبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشرائعك
مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي عليه السلام اما لاصلاحه الامة بالهداية
والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى عنه في
القرآن جبرية التكبر التي لا يليق به فقال وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى
الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال تعالى الرحمن
فاسئل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المامور بالسؤال غير النبي صلى الله
عليه وسلم والمسئول الخبير هو النبي عليه السلام وقال غيره بل السائل النبي صلى الله
عليه وسلم والمسئول الله تعالى فالنبي صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين
قبل قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر
لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده
او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم
لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي
ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبدئ النصر والفتح وسمى الله تعالى
نبيه محمدا عليه السلام بالفاتح في حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع بن انس
عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا
وخاتما وفيه من قوله عليه الصلوة والسلام في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه و
رفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب
الرحمة على امته او الفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق او
المبتدئ بهداية الامة او المبدأ المقدم في الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام
كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى في الحديث الشكور
ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه

نوحا فقال إنه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه
فقال أفلا أكون عبدا شكورا أي معترفا بنعم ربي عالما بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا
نفسي في الزيادة من ذلك لقوله لئن شكرتم لأزيدنكم ومن أسمائه تعالى العليم
والعالم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه
بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون ومن أسمائه تعالى الأول والآخر ومعناهما السابق للأشياء
قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه أنه ليس له أول ولا آخر وقال عليه السلام
كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى وإذ أخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمد عليه السلام وقد أشار إليه نحو
منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون
وقوله أنا أول من تنشق عنه الأرض وأول من يدخل الجنة وأول شافع وأول مشفع
وخاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن أسمائه تعالى القوي وذو القوة
المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش
مكين قيل محمد وقيل جبريل عليهما السلام ومن أسمائه تعالى الصادق في الحديث
المأثور وورد في الحديث أيضا اسمه عليه السلام بالصادق والمصدوق ومن أسمائه
تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال تعالى إنما وليكم الله ورسوله
وقال عليه السلام أنا ولي كل مؤمن وقال تعالى النبي أولى بالمؤمنين الآية وقال
عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن أسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح
وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه عليه السلام في القرآن والتوراة وأمره بالعفو
فقال خذ العفو وأمر بالعرف وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد سأله عن
قوله تعالى خذ العفو فقال أن تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والإنجيل في

الحلانت المستوى فى صفته ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب لكن يعفو ويصفح ومن
اسمائه تعالى الهادى وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء
وقال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم
واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل فى تفسير طه انه يا طاهر يا هادى
يعنى النبى عليه السلام وقال تعالى له وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقال
فيه وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فالله مختص بالمعنى الاول قال الله تعالى
انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وبمعنى الدلالة
ينطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن والمهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى
المؤمن فى حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق
لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده فى الدنيا من
ظلمه والمؤمن فى الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت
الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم فى الدعاء آمين انه اسم من اسمائه تعالى ومعناه
معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبى صلى الله عليه وسلم
امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين وكان
عليه السلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس فى شعر
مهيمنا فى قوله شعر ثم احتوى بيتك المهيمن من ✽ خندف علياء تحتها النطق
قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتبى والامام ابو القاسم القشيرى وقال تعالى يؤمن
بالله ويؤمن للمؤمنين اى يصدق وقال انا امنة لاصحابى فهذا بمعنى المؤمن و
من اسمائه تعالى القدوس ومعناه المقدس عن النقائص المطهر من سمات
الحدث وسمى بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادى المقدس
وروح القدس ووقع فى كتب الانبياء فى اسمائه عليه السلام المقدس المطهر

من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر او الذى يطهرهم
من الذنوب ويبرّئه باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات
الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهّر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية و
من اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذى لا نظير له او المعز لغيره و
قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين اى الامتناع وجلالة القدر وقد
وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وقال الله تعالى ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه الله مبشرا ونذيرا
اى مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره
بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم

فصل قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل و
اختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم
تخلصه من مهاوى التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله
عز وجل فى عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلا صفاته لا يشبهه
شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق
فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان
ذاته لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك
عن الاعراض والاغراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه و
كفى فى هذا قوله تعالى ليس كمثله شئ و لله در من قال من العلماء العارفين المحققين
التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات وزاد هذه
النكتة الواسطى رحمه الله تعالى بيانا وهى مقصودنا فقال ليس كذاته ذات
ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ وجلت

الذاتُ القديمةُ ان يكونَ لها صفةٌ حديثةٌ كما استحال ان تكون للذاتِ المحدثةِ صفةٌ قديمةٌ وهذا كلُّه مذهبُ اهلِ الحقِّ والسنّةِ والجماعةِ رضى الله عنهم وقد فسَّرَ الامامُ ابو القاسمِ القُشيرى رحمه الله تعالى قولَه هذا لِتَزيدَه بيانًا فقال هذه الحكايةُ تشتملُ على جوامعَ من مسائلِ التوحيدِ وكيف تُشبِهُ ذاتُه ذاتَ المحدَثاتِ وهى بوجودها مستغنيةٌ وكيف يُشبِهُ فعلُه فعلَ الخلقِ وهو لغيرِ جلبِ اُنسٍ ودفعِ نقصٍ حصلَ ولا بخواطرَ واغراضٍ وُجِدَ ولا بمباشرةٍ ومعالجةٍ ظهرَ وفعلُ الخلقِ لا يخرجُ عن هذه الوجوهِ وقال آخرُ من مشايخِنا ما توهّمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدَثٌ مثلُكم وقال الامامُ ابو المعالى الجوينى من اطمأنَّ الى موجودٍ انتهى اليه فكرُه فهو مشبِّهٌ ومن اطمأنَّ الى النفى المحضِ فهو معطِّلٌ وان قطعَ بموجودٍ واعترفَ بالعجزِ عن دركِ حقيقتِه فهو موحِّدٌ وما احسنَ قولَ ذى النونِ المصرى حقيقةُ التوحيدِ ان تعلمَ انَّ قدرةَ الله تعالى فى الاشياءِ بلا علاجٍ وصنعَه لها بلا مزاجٍ وعلّةُ كلِّ شىءٍ صنعُه ولا علّةَ لصنعِه وما تصوّرَ فى وهمِك فالله بخلافِه وهذا كلامٌ عجيبٌ نفيسٌ محقَّقٌ والفصلُ الآخرُ تفسيرٌ لقولِه تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهٖ شَىْءٌ والثانى تفسيرٌ لقولِه لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُوْنَ والثالثُ تفسيرٌ لقولِه تعالى اِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ اِذَا اَرَدْنٰهُ اَنْ نَّقُوْلَ لَهٗ كُنْ فَيَكُوْنُ ثبّتَنا اللهُ واياك على التوحيدِ والاثباتِ والتنزيهِ وجنّبنا طرفَىِ الضلالةِ والغوايةِ من التعطيلِ والتشبيهِ بمنّه ورحمته وفضلِه لا ربَّ غيرُه ولا معبودَ سواه

الباب الرابع فيما اظهره الله على يديه من المعجزات

وشرّفه به من الخصائص والكرامات قال المؤلف رحمه الله تعالى حسبُك ايها المتأمل ان تحقّقَ انّ كتابَنا هذا لم نجمعْه لمنكرٍ نبوّةَ نبيِّنا عليه السلام ولا لطاعنٍ فى معجزاتِه فنحتاجَ الى نصبِ البراهينِ عليها وتحصينِ حوزتِها حتى لا يتوصّلَ الطاعنُ اليها ونذكرَ شروطَ المعجز

والتحدي وسنذكره وفساد قول من ابطل نسخ الشرائع ورده بل الفناه لاهل ملة المبلين
لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا لمحبتهم له وسماعه لاعمالهم وليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل
على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع
او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع من مشاهير كتب الائمة واذا تامل المتامل المنصف
ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيرته وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة
كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته
وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما
باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جئته
لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى
البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي نا محمد بن بشار نا عبد الوهاب
الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف ابن ابي جميلة الاعرابي
عن زرارة ابن ابي اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي قال اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم وروى
مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله
نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له واشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك
هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل
منا يقال له طارق فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم
شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار

الى المدينة فقلنا يعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا الظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفى خبر الجلندى ملك عمان لما بلغه ان رسول صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندى والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان اول آخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبي وقال نفطويه فى قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه عليه السلام يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة شعر لو لم تكن فيه آيات مبينة ٭ لكان منظره ينبيك بالخبر وقد آن ان ناخذ فى ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده فى معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة فصل اعلم ان الله تعالى جل اسمه قادر على خلق المعرفة فى قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء ودون واسطة لو شاء كما حكي عن سنته فى بعض الانبياء وذكره بعض اهل التفسير فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه ويكون ذلك الواسطة اما من غير البشر كالملئكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم فى جميع ما اتوا به لان المعجزة مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فى الذي يقول وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده

مُستتر فی مُصنّفات ائمتنا رحمہم الله تعالیٰ والنبوة فی لغة من ھمز ماخوذ من النبأ وقد تسھّل علی ھذا التاویل تسہیلا والمعنی ان الله تعالیٰ قد اطلعه علی غیبه واعلمه انه نبیّه فیکون نبی منبئًا فعیل بمعنی مفعول او یکون مخبرا بما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله علیه فعیل بمعنی فاعل ویکون عند من لم یھمزه من النبوة وھی ما ارتفع من الارض ومعناه ان له رتبة شریفة ومکانة نبیھة عند مولاه منیفة فالوصفان فی حقه مؤتلفان واما الرسول فھو المرسل ولم یات فعول بمعنی مفعل فی اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الی من ارسله الیه واشتقاقه من التتابع ومنه قولھم جاء الناس ارسالا اذا اتبع بعضھم بعضا فکانه الزم تکریر التبلیغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء ھل النبی والرسول بمعنی او بمعنیین فقیل ھما سواء واصله من الانباء وھو الاعلام واستدلوا بقوله تعالیٰ وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبی الا اذا تمنّی فقد اثبت لھما معا الارسال قال ولا یکون النبی الا رسولا ولا الرسول الا نبیا وقیل ھما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا فی النبوة التی ھی الاطلاع علی الغیب والاعلام بخواص النبوة والرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتھا وافترقا فی زیادة الرسالة التی للرسول وھو الامر بالانذار والاعلام کما قلنا وحجتھم من الایة نفسھا التفریق بین الاسمین فلو کانا شیئا واحدا لما حسن تکرارھما فی الکلام البلیغ قالوا والمعنی وما ارسلنا من نبی الی امة او نبی لیس بمرسل الی احد وقد ذھب بعضھم الی ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ ومن لم یات به نبی غیر رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحیح والذی علیه الجماء الغفیر ان کل رسول نبی ولیس کل نبی رسولا واول الرسل آدم واٰخرھم محمد صلی الله علیه وسلم وفی حدیث ابی ذر عنه علیه السلام ان الانبیاء مائة الف واربعة وعشرون الف نبی وذکر ان الرسل منھم ثلاث مائة وثلاثة عشر اولھم آدم

فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي صلى الله عليه وسلم ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي فأصله الاسراع فلما كان صلى الله عليه وسلم يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اى أومأ ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اى السرعة السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اى يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اى القى في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اى ما يلقيه في قلبه دون واسطة

فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على رأى بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من بين الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله تعالى فيكون ذلك على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان يأتي بمثله تعجيز له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى

بسورة منه فعجز عنها قال أهل العلم وأقصر السور إنا أعطيناك الكوثر فكل آية أو
آيات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما نفصله فيما انطوى عليه من
المعجزات ثم معجزاته عليه الصلوة والسلام على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل إلينا
متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم به وظهوره من
قبله واستدلاله بحجته وإن أنكر هذا معاند جاحد فهو كإنكاره وجود محمد صلى الله
عليه وسلم في الدنيا وإنما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع
ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه إعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه
إن شاء الله تعالى قال بعض أئمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة أنه قد جرى
على يديه عليه السلام آيات وخوارق عادات إن لم يبلغ واحد منها معينا القطع
فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر أنه
جرت على يديه عجائب وإنما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها
من قبل الله وأن ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا أيضا من نبينا
صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة
وحلم أحنف لاتفاق الأخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا
وحلم هذا وإن كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني
ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد
الكثير وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء من
بين الأصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد
اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على
الإتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وأنا أقول صدعا بالحق أن
كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع أما

انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه وأخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر إلا بدليل
وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف أخرق
منحل عرى الدين ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين
بل نرغم بهذا أنفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها
الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه
الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من الصحابة وأخبارهم أن ذلك كان
في مواطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية
وغزوة تبوك وأمثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن أحد من الصحابة
مخالفة للراوي فيما حكاه ولا إنكار لما ذكر عنهم أنهم رأوه كما رآه فسكوت
الساكت منهم كنطق الناطق إذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة
في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم
وغير معروف لديهم لأنكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها من السنن و
السير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع
كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وأيضا فإن أمثال الأخبار التي لا أصل لها
وبنيت على باطل لا بد مع مرور الأزمان وتداول الناس وأهل البحث من انكشاف
ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة والأراجيف الطارئة
وأعلام نبينا صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع
مرور الزمان إلا ظهورا ومع تداول القرون وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها
وتضعيف أصلها واجتهاد الملحد على إطفاء نورها إلا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها
إلا حسرة وغليلا وكذلك إخباره عن الغيوب وإنباؤه بما يكون وكان معلوما
من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به من أئمتنا

القاضي والاستاذ ابي بكر وغيرهما رحمهم الله وما عندي اوجب قول القائل ان هذه
القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها وشغله
بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطريق النقل وطالع الحديث والسير لم يرتب
في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم
بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد
موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامارة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون
اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر
النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن في الصلوة للمنفرد والامام و
اجزاء النية في اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية
كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الراس وان مذهبهما القصاص في القتل
بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة
يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعرف
هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد
الكلام فيها بيانا ان شاء الله تعالى **فصل** في اعجاز القرآن قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله تعالى اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز
كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تاليفه و
التئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك
انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم
يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان ومن فصل الخطاب
ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه
على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد

الخطب ويتحرزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون
ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون بالسحر الحلال ويطوقون حسن اوصافهم
اجمل من سمط اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن و
يهيجون الدمن ويجرؤن الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص
كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوى ذو اللفظ الجزل والقول الفصل
والكلام الفخم والطبع الجوهرى والمنزع القوى ومنهم الحضرى ذو البلاغة البارعة
والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف فى القول القليل
الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما فى البلاغة الحجة
البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام
طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا
من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا فى الخطير والمهين
وتفننوا فى الغث والسمين وتقاولوا فى القل والكثر وتساجلوا فى النظم والنثر
فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول
وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه
وتبارت فى الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل
مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم افسح ما كانوا فى
هذا الباب مجالا واشهر فى الخطابة رجالا واكثر فى الشعر والسجع ارتجالا واوفى
فى الغريب واللغة مقالا بلغتهم التى بها يتحاورون ومنازعهم التى عنها يتناضلون
صارخا بهم فى كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس الملاء اجمعين
ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله

إن كنتم صادقين وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله
وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا
وقال تعالى قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله الآية وقال قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك أن المفترى أسهل ووضع
الباطل والمختلق على الاختيار أقرب واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب ولهذا
قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللأول على الثاني فضل وبينهما
شأو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم أشد التقريع ويوبخهم أشد التوبيخ
ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح
أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته
يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والإغراء بالافتراء وقولهم إن هذا إلا سحر
يؤثر وسحر مستمر وإفك افتراه وأساطير الأولين والمباهتة والرضى بالدنية
كقولهم قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء
لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك
من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم
وإلا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل
ولوا عنه مدبرين وأتوا إليه مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن
المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية قال والله
إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ما يقول هذا
بشر وذكر أبو عبيد أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت
لفصاحته وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد أن

مخلوقاً لا یقدر علی مثل ہذا الکلام وحکی ان عمر بن الخطاب رضی اللہ عنہ کان یوماً نائماً فی المسجد فاذا ہو بقائم علی رأسہ یتشہد بشہادۃ الحق فاستخبرہ فاعلمہ انہ من بطارقۃ الروم ممن یحسن کلام العرب وغیرہا وانہ سمع رجلاً من اسری المسلمین یقرأ آیۃ من کتابکم فتأملتہا فاذا قد جمع فیہا ما انزل اللہ علی عیسی بن مریم من احوال الدنیا والآخرۃ وہی قولہ تعالی ومن یطع اللہ ورسولہ ویخش اللہ ویتقہ فاولئک ہم الفائزون وحکی الاصمعی انہ سمع کلام جاریۃ فقال لہا قاتلک اللہ ما افصحک فقالت اویعد ہذا فصاحۃ بعد قول اللہ تعالی واوحینا الی ام موسی ان ارضعیہ الآیۃ فجمع اللہ فی آیۃ واحدۃ بین امرین ونہیین وخبرین وبشارتین فہذا نوع من اعجازہ منفرد بذاتہ غیر مضاف الی غیرہ علی التحقیق والصحیح من القولین وکون القرآن من قبل النبی صلی اللہ علیہ وسلم وانہ اتی بہ معلوم ضرورۃ وکونہ علیہ السلام متحدیاً بہ معلوم ضرورۃ وعجز العرب عن الاتیان بہ معلوم ضرورۃ وکونہ فی فصاحتہ خارقاً للعادۃ معلوم ضرورۃ للعالمین بالفصاحۃ ووجوہ البلاغۃ وسبیل من لیس من اہلہا علم ذلک بعجز المنکرین من اہلہا عن معارضتہ واعتراف المقرین باعجاز بلاغتہ وانت اذا تأملت قولہ تعالی ولکم فی القصاص حیوۃ وقولہ ولو تری اذ فزعوا فلا فوت الآیۃ وقولہ ادفع بالتی ہی احسن فاذا الذی بینک وبینہ عداوۃ کانہ ولی حمیم وقولہ وقیل یا ارض ابلعی ماءک الآیۃ وقولہ فکلا اخذنا بذنبہ فمنہم من ارسلنا علیہ حاصباً الآیۃ واشباہہا من الآی بل اکثر القرآن حققت ما بینتہ من ایجاز الفاظہا وکثرۃ معانیہا ودیباجۃ عبارتہا وحسن تألیف حروفہا وتلاؤم کلمہا وان تحت کل لفظۃ منہا جملاً کثیرۃ وفصولاً جمۃ وعلوماً زواخر ملئت الدواوین من بعض ما استفید منہا وکثرت المقالات المستنبطۃ عنہا ثم ہو فی سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التی یضعف فی عادۃ

الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة للمعادها فصل الوجه الثاني من اعجاز القرآن صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق له فجاءه ابو جهل منكرا عليه فقال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا بنفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر وانه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته ولقد سمعت قولا والله ما سمعت

مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث مثله وفي حديث إسلام أبي ذر ووصف أخاه أنيسا فقال والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض اثني عشر رجلا في الجاهلية أنا أحدهم وإنه انطلق إلى مكة وجاء إلى أبي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على أقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر وإنه لصادق وإنهم لكاذبون والأخبار في هذا صحيحة كثيرة والإعجاز بكل واحد من النوعين الإيجاز والبلاغة بذاتها أو الأسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع إعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما إذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها وإلى هذا ذهب غير واحد من أئمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم إلى أن الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب وأتى على ذلك بقول تمجه الأسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وأرهف خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه فأكثرهم يقول أنه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وإيجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر وأنه من باب الخوارق الممتنعة عن أقدار الخلق عليها كإحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله تعالى عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من أصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت وإقامة الحجة عليهم بما يصح أن يكون في مقدور البشر وتحديهم بأن يأتوا بمثله قاطع وهو أبلغ في التعجيز وأحرى بالتقريع وفي

الاحتياج بمجي بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف وابائة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم من هم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاهم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه

فصل الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصلحت ليستخلفنهم في الارض الاية وقوله اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس الاسلام افواجا فما مات عليه السلام وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحفظون فكان كذلك لا يكاد يعد من يسعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا

على خمسمائة عام فما قدروا على اطفاء شئ من نوره ولا تغيير كلمة من كلمه ولا
تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله سيهزم
الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم الاية وقوله
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق الاية وقوله لن يضروكم الا اذى
الاية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم
في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول
الاية وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الاية وقوله من الذين هادوا
يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين وقد قال مبديا ما قدره الله
وما اعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم الاية
ومنه قوله انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
اصحابه بأن الله كفاه اياهم وكان المستهزؤن نفرا بمكة ينفرون الناس عنه
ويؤذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام
ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة **فصل** الوجه الرابع ما
انبأ به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرايع الداثرة مما كان
لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في
تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف
العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه عليه
الصلوة والسلام امي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة ولم يغب عنهم
ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسئلونه عليه السلام
عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء وخبر
موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان و

ابنه واشباه ذلك من الانباء والقصص بدء الخلق وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى ومما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن احد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له صلى الله عليه وسلم وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ﴿ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل﴾ وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القرآن فاجابهم وعرفهم بما اوحى اليه من ذلك انه انكر ذلك وكذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده وحسده اياه كاهل نجران وابن صوريا وابن اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له ﴿فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين﴾ الى قوله ﴿الظالمون﴾ فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير﴾ الايتين **فصل** هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع

فيها ولا مرية ونبّت الوجوه البيّنة في إعجازه من غير هذه الوجوه اي ورد بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية قال ابو اسحاق الزجاج في هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحى اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله تعالى بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه اية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم الآية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله وان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون فكان كما قال وهذه الآية ادخل في باب الاخبار عن الغيب لكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها

فصل

ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم

وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه
هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل
الآية ويدل على أن هذا شيء خص به أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره
كما روي عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم
وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول وهلة
وآمن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون إلى
قوله المسيطرون كاد قلبي أن يطير وفي رواية وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي
وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه
فتلا عليهم حم فصلت إلى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة بيده
على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله
عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى إلى السجدة
فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع إلى أهله و
لم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت
أذناي بمثله قط والله ما دريت ما أقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته
أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي أن ابن المقفع طلب ذلك ورامه
وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك فرجع فمحا ما عمل وقال أشهد
أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من أفصح أهل وقته وكان يحيى بن حكم
الغزال بليغ الأندلس في زمنه فحكي أنه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الإخلاص
ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التو

والاستغفار فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت
الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضاء
اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه
اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة
ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة
البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع
عتيد فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته
ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح
بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه فصل
وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله
وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا
طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى
اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات وسواه
من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك
اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن
بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل
ولا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته
الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ومنها
جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته
خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب

من كتبهم تجمع فيه من بيان علم الشرايع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم
ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون ان يأتوا بعد ان نصبوا
ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلٰى
أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلٰى وَهُوَ الْخَلّٰقُ الْعَلِيْمُ وقُلْ يُحْيِيْهَا الَّذِيْ أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ولَوْ
كَانَ فِيْهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللّٰهُ لَفَسَدَتَا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم والمواعظ
والحكم واخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم قال الله جل اسمه مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتٰبِ
مِنْ شَيْءٍ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتٰبَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِيْ هٰذَا
الْقُرْاٰنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وقال عليه السلام ان الله انزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة
خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر من كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه
طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل
ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي الى صراط
مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم
والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك
به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على
كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه لا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الاولين و
الآخرين وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اني منزل عليك توراة
حديثة تفتح بها اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع
القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال الله تعالى إِنَّ هٰذَا
الْقُرْاٰنَ يَقُصُّ عَلٰى بَنِيْ إِسْرَاءِيْلَ أَكْثَرَ الَّذِيْ هُمْ فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ وقال تعالى هٰذَا
بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى الآية فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما في
الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول

وذلك انه اجتمع بنظم القران وحسن وصفه وايجازه وبلاغته وانشاء هذه البلاغة امره
ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد
وسورة مفردة ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور
لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمع في الاذان واحلى على الافهام فالناس
اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه
قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف
الجماء على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها مشاكلة
بعض اجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتئام اقسامها وحسن التخلص من قصة
الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة
على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب الى
غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت
قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتامل اول ص وما جمع فيها
من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من
تكذيبهم لمحمد وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر وما ظهر من الحسد
في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم
واهلاك الله لهم ووعيد هولاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم
على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبياء كل هذا
في اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة
وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القران الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم
نذكرها اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب ان يعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب
تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمناه ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله

في عجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرناها فليعتمد عليها وما بعدها من
خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق **فصل** في انشقاق القمر وحبس
الشمس قال الله تعالى اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَاِنْ يَّرَوْا آيَةً يُّعْرِضُوْا وَيَقُوْلُوْا
سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن آياته واجمع
المفسرون واهل السنة على وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه نا القاضي
سراج بن عبد الله نا الاصيلي نا المروزي نا الفربري نا البخاري نا مسدد نا يحيى ابن
سعيد عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود قال
انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه
فقال عليه الصلوة والسلام اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال حتى
رايت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش
سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان
يسحر الارض كلها فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فاتوهم فسئلوهم فاخبروهم
انهم راوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا
الى اهل الآفاق حتى ينظروا اراوا ذلك ام لا فاخبر اهل الآفاق انهم راوه منشقا فقالوا
يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء اربعة عن عبد الله
وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة
وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي
صلى الله عليه وسلم وعن انس سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما
رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه
فنزلت اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه

جبير بن مطعم ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر
مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر
طرق هذه الاحاديث صحيحة والاية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لوكان
هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم
رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على
الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع
على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار
الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد
دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون
لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم واية القمر كانت ليلا والعادة من الناس في الليل الهدو
والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا
الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم
لا يعلم به حتى يخبر وكثير ما حدث الثقات بعجائب يشهدونها من انوار ونجوم
طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها واخرج الطحاوي
في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال عليه السلام اللهم انه كان في طاعتك وطاعة
رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد
ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان
ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي
لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة وروى

يونس بن بكير في زيادة المغازي بروايته عن ابن اسحاق لمّا اُسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء قال فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولّى النهار ولم تجيء فدعا عليه الصلوة والسلام فزيد له في النهار ساعة وحُبست عليه الشمس **فصل** في نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته عليه الصلوة والسلام قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا وروى حديث نبع الماء من بين اصابعه عليه السلام جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود نا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله تعالى بقراءتي عليه قال نا القاضي عيسى بن سهل نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو عمر بن الفخار نا ابو عيسى نا يحيى نا مالك عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وحانت صلوة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فأتي بماء فصبّه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية

ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها واقبل الناس نحوه قالوا ليس
عندنا ماء الا في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء
يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا
كنا خمس عشرة مائة وروى مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي
رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث
بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه
وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر
ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال
بسم الله كما امره قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت
حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره باداوة ماء و
قيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها في الماء
وجعل الناس يجيئون ويتوضؤن ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين
ومثل هذا في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به
لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه نفوسهم من ذلك ولانهم كانوا
ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له
ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار
كتصديق جميعهم له فصل ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وابتعاثه
بمسه ودعوته فيما روى مالك في الموطا عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم
وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع

في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه ثم اعاده فيها فجرت العين بماء كثير
فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحاق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم
قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملئ جنانا وفي حديث
البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها
لا تروي خمسين شاة فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم على جباها قال البراء واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلو منها فبصق فدعا
وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا وانفسهم وركابهم وفي غير هاتين
الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهما من كنانته
فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة
وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره
فدعا بالميضأة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم انفث فيها ام لا فشرب الناس
حتى رووا وملأوا كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين
رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل
الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج لهم مددا لاهل مؤتة عند ما بلغه قتل الامراء
وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وايات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم
يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضأة قال والقوم زهاء ثلاث مائة وفي كتاب مسلم
انه قال لابي قتادة احفظ علي ميضأتك فانه سيكون لها نبأ عظيم وذكر نحوه ومن
ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش
في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امرأة بمكان
كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم
فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين

ثم مجت عزاليهما وامر الناس فملؤا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملؤه قال عمران و
يخيل الي انهما لم تزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمراة من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي
فانا لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع
قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة
فافرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث
عمر في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه
فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما
حتى قالت السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من انية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن
شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي
ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث
في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه **فصل** ومن معجزاته
تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
نا العذري نا الرازي نا الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا سلمة بن شبيب نا
الحسن بن اعين نا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال ياكل منه وامراته وضيفه حتى كاله فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك
حديث ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من
اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء
الله ان يقول وحديث جابر في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل
من صاع شعير وعناق وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا
لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين

والبركة وبارك ورواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار
وامراة ولم يسمهما قال وجيء بمثل الكف فجعل يبسطها رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الاناء ويقول ما شاء الله فاكل منه من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلا
ممن قدم معه عليه السلام لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الاناء وحديث
ابي ايوب انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما
يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار فدعاهم
فاكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا
حتى تركوه وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة
وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب اتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم
فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد اخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن
بن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن
صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة
الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين
فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله
لسلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم فذكروا مخمصة اصابت
الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء
الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه
على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش
وعاء الا ملؤه وبقي منه وعن ابي هريرة رضي الله عنه امرني النبي صلى الله عليه
وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة
فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع وعن

علي بن ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب
وكانوا اربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام
فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب
وقال انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره
ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم اليهم
تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم
يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم احدا واثنين وسبعين
وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة وانهم
اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت وفي حديث
جعفر بن محمد عن ابيه عن علي رضي الله عنه ان فاطمة طبخت قدرا لغدائهما
ووجهت عليا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت
منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له صلى الله عليه وسلم ولعلي ثم لها ثم رفعت
القدر وانها لتفيض قال فاكلنا منها ما شاء الله وامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ان يزود اربعمائة راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع فقال اذهب
فذهب فزودهم منها وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية
دكين الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه
الا انه قال اربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين ابيه بعد
موته وكان قد بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها كفاف دينهم
فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدادها وجعلها بيادر في اصولها
فمشى فيها ودعا فاوفى منها جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل
سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فتعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة

اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من
التمر في المزود قال فائتني به فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع
عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ
ما جئت به وادخل يدك وكل منه ولا تكبه فقبضت على اكثر
مما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر الى
ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من
وسق في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة
تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة حين اصابه الجوع فاستتبعه صلى الله عليه وسلم
فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره ان يدعو له اهل الصفة قال فقلت ما هذا
اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله
عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الآخر
حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد
فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك
بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث
خالد بن عبد العزى انه اجزر للنبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا
يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه
الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا و
افضلوا ذكره الدولابي ومن حديث الآجري في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم
عليا فاطمة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة
ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة
ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه

ثم قال كلوا واطعموا من خلفكم وفي حديث انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته
وذكر انهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا
فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري
حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى
حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم
من لا يعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة ولا يمكن التحدث عنها
الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر فصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة
واجابتها دعوته حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن
ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القاسم البغوي ثنا احمد بن عمران الاخنسي
ثنا ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى
خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده و
رسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي
فادعها فانها تجيبك قال فدعاها فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها
ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة سال اعرابي النبي صلى الله
عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال
فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد
الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقالت

السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها
في ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ايذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد
لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال فأذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له و
في الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي
حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى احدهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت
معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا
كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا وفي رواية اخرى فقال
يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى
اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر و
جلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد
افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة فقلت
ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأمركن ان تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت
ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن
حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي
بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر

ويحيى ايضا وفي رواية اشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال عليه الصلوة والسلام انها استاذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا اتحب ان اريك اية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيه جبريل قال اللهم ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه عليه السلام لتكذيب قومه وطلبه الاية لهم لا له وذكر ابن اسحاق ان النبي صلى الله عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن انه عليه السلام شكى الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وسأله

ايته يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى الله اليه ان ائت وادى كذا فيه شجرة فادع
غصنا منها يأتيك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء
ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت ان لا مخافة على ونحوه عن عمر وقال
فيه ارنى اية لا ابالى من كذبنى بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس انه عليه الصلوة
والسلام قال لاعرابى ارايت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد انى رسول الله
قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذى وقال
هذا حديث صحيح **فصل** فى قصة حنين الجذع وبعض هذه الاخبار حديث انين
الجذع وهو فى نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من
الصحابة بضعة عشر منهم ابى بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن
عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدرى وبريدة وام سلمة و
المطلب بن ابى وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذى وحديث انس صحيح
قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع النخل فكان النبى صلى الله عليه وسلم
اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت
العشار وفى رواية انس حتى ارتج المسجد بخواره وفى رواية سهل وكثر بكاء الناس لما
راوا به وفى رواية المطلب حتى تصدع وانشق حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع
يده عليه فسكت زاد غيره فقال عليه الصلوة والسلام ان هذا بكى لما فقد من الذكر
وزاد غيره والذى نفسى بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر هكذا
فى حديث المطلب وسهل بن سعد واسحاق عن انس وفى بعض الروايات عن سهل
فدفن تحت المنبر او جعلت فى السقف وفى حديث ابى فكان اذا صلى النبى صلى الله
عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابى فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد

رُغَاناً وذكر الاسفرايني ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض بالبزمة ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فيأكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال عليه السلام قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن رضي الله عنه اذا حدث بهذا الحديث بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه رواه عن جابر بن حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وايمن وابو نضرة وابن المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن وثابت واسحاق بن ابي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الوداك عن ابي سعيد وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه قال المؤلف رحمه الله فهذا حديث كما تراه خرجه اهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره ومن دون هذه العدة يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي نا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط نا المهلب بن ابي القاسم نا ابو الحسن القابسي نا المروزي نا الفربري نا البخاري نا محمد بن المثنى نا ابو احمد الزبيري نا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود

كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال انس اخذ
النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا
التسبيح ثم صبهن في يد ابى بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو ذر وذكر انهن
سبحن في كف عمر وعثمان رضي الله عنهما وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا قال له السلام عليك يا رسول الله
وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام قال انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قيل انه الحجر
الاسود وعن عائشة لما استقبلنى جبريل عليه السلام بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر
الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت اسكفة الباب و
حوائط البيت امين امين وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم
فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منها عليه السلام فسبح وعن انس صعد النبي
صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي
وصديق وشهيدان في مثله عن ابي هريرة في حراء وزاد فيه ومعه علي وطلحة والزبير و
قال فانما عليك نبي او صديق او شهيد والخبر في حراء ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة
من الصحابة انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن
زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روى انه حين طلبته قريش قال له
ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال له حراء
الي يا رسول الله وروى ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما
قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر
حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس كان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم مثبتة

الارجل بالرصاص فى الحجارة فلما دخل عليه الصلوة والسلام المسجد عام الفتح جعل يشير
بقضيب فى يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الاية فما اشار الى وجه صنم
الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم وفى حديث ابن مسعود
وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب
فى ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه ابى طالب وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج و
جعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه
الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر
ساجدا له ولا تسجد الا لنبى وذكر القصة ثم قال فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فى الشجرة فلما جلس مال
الفىء اليه صلوات الله عليه **فصل فى الايات وضروب الحيوانات** حدثنا سراج
بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ ثنا ابى ثنا القاضى يونس ثنا ابو الفضل الصقلى ثنا ثابت
قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا ثنا ابو العلاء احمد بن عمران ثنا محمد بن فضيل ثنا يونس
بن عمرو ثنا مجاهد عن عائشة رضى الله عنها قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء
وذهب وروى عن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى محفل من
اصحابه فجاءه اعرابى قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال
الاعرابى واللات والعزى لا امنت بك او يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدى النبى صلى الله
عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا
لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة فقال من تعبد فقال الذى فى السماء عرشه
وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه قال فمن انا قال
رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وقد خاب من كذبك فاسلم

الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهور فعن ابى سعيد الخدرى بينا راع يرعى
غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعى منه فاقعى الذئب وقال للراعى الا تتقى الله حلت
بيني وبين رزقى قال الراعى العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك باعجب
من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بانباء ما قد سبق فاتى
الراعى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبى صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال
صدق والحديث فيه قصة وفى بعضه طول وروى حديث الذئب عن ابى هريرة وفى بعض الطرق
عن ابى هريرة فقال الذئب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم
منه عنده قدرا وقد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم
وما بينك وبينه الا الشعب فتصير فى جنود الله تعالى قال الراعى من لى بغنمى قال الذئب
انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده
النبى صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها
بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب
هذه القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب هذه القصة
ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابى سعيد وقد روى بن وهب مثل هذا انه جرى لابى سفيان
بن حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب
فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة
وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا
وقد روى مثل هذا الخبر وانه جرى لابى جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس لما
تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذى ذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم فاذا
طائر سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن

رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم
يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف لي بالغنم قال احصب في وجوهها فإن الله سيؤدي عنك
أمانتك ويردها إلى أهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت إلى أهلها وعن أنس دخل
النبي صلى الله عليه وسلم حائط أنصاري وأبو بكر وعمر ورجل من الأنصار وفي الحائط غنم
فسجدت له فقال أبو بكر نحن أحق بالسجود لك منها الحديث وعن أبي هريرة دخل النبي صلى الله
عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر
بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شد
عليه الجمل فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم عليه دعاه فوضع مشفره في الأرض
وبرك بين يديه فخطمه وقال صلى الله عليه وسلم ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي
الجن والإنس ومثله عن عبد الله بن أبي أوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل أن النبي صلى الله
عليه وسلم سألهم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه وفي رواية أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لهم إنه شكا كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية إنه شكا إلي أنكم أردتم
ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء
وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم وتعرفها له بنفسها ومبادرة العشب إليها في الرعي
وتجنب الوحوش عنها وندائهم لها إنك لمحمد صلى الله عليه وسلم وأنها لم تأكل ولم
تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الإسفرايني وروى ابن وهب أن حمام مكة أظلت
النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن أنس وزيد بن أرقم
والمغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر الله تعالى شجرة فنبتت
تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث
آخر أن العنكبوت نسجت على بابه فلما أتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه
أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي عليه الصلاة والسلام يسمع كلامهم فانصرفوا

وعن عبد الله بن قرط قرّب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس او ست او
سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بأيتهن يبدأ وعن ام سلمة كان النبي صلى الله عليه
وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي
ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع وقال وتفعلين قالت
نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله الك حاجة
قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا
الله واشهد ان محمدا رسول الله ومن هذا الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه
مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد
فقلت انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على
الطريق واخذ عليه الصلوة والسلام باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه
ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابراهيم بن
حماد بسنده من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه
النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى دور الصحابة فيضرب عليهم
الباب برأسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى الحمار في بئر
جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم
لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي العنز التي اتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلاثمائة فحلبها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها وما اراك تملكها
فوجدها قد انطلقت وروى ابن قانع وغيره فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان الذئب جاء بها هو الذي ذهب بها وقال لفرسه عليه السلام وقد قام الى الصلوة فى بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلوتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلحق بهذا ما رواه الواقدى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك فخرج ستة نفر منهم فى يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذى بعثه اليهم والحديث فى هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه فى كتب الائمة رضى الله عنهم اجمعين

فصل فى احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة عليه السلام حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتى عليه والقاضى ابو الوليد محمد بن رشد والقاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى وغير واحد سماعا واذنا قالوا نا ابو على الحافظ نا ابو عمر الحافظ نا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى نا احمد بن سعيد نا ابن الاعرابى نا ابو داود نا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة ان يهودية اهدت للنبى صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتنى انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذى صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث انس وفيه قالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا الا نقتلها قال لا وكذلك روى عن ابى هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواها ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتنى به هذه الذراع قال فلم يعاقبها وفى رواية الحسن ان فخذها كلمتنى انها مسمومة وفى رواية ابى سلمة بن عبد الرحمن فقالت انى مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحاق وفيه فتجاوز عنها وفى الحديث الاخر عن انس انه قال فما زلت اعرفها فى لهوات

رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعادني فالان اوان قطعت ابهري وحكى ابن اسحاق ان كان المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله تعالى به من النبوة وقال بن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر وفي رواية بن عباس انه دفعها لاولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله الذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا وقد روى الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال فاخرج بسط يده وقال كلوا باسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر احدا منا قال المؤلف رحمه الله وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله في الشاة الميتة او الشجرة او الحجر وحروف واصوات يحدثها الله تعالى فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله تعالى وآخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة بها اولا ثم الكلام بعده وحكى هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين سائر المتكلمين الفرق في احالة وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصا والجذع والذراع وقال ان الله تعالى خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا وآلة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به اكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية

شيئاً من ذلك فذلك من سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر والله الموفق وروى
وكيع رفعه عن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بصبي قد شب لم يتكلم قط
فقال من انا فقال رسول الله وروى عن معرض بن معيقيب رأيت من النبي صلى الله عليه
وسلم عجباً جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة
اسم راويه وفيه فقال له عليه السلام صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم
بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع
وعن الحسن اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية له في وادي كذا
فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة احيي باذن الله فخرجت وهي تقول
لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما فقالت
لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيراً لي منهما وعن انس ان شاباً من الانصار توفي و
له ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني فقلنا نعم قالت اللهم ان كنت
تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه
المصيبة فما برحنا ان كشفنا الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروى عن عبد الله بن
عبيد الله الانصاري قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة
فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان
البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتاً
في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله
يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي خاتم النبيين
كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم
ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتاً كما كان فسبحان
الذي لا اله الا هو صلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً فصل

في ابراء المرضى وذوي العاهات حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف في ما اجازنيه وقرأته
على غيره قال نا ابو اسحاق الحبال قال نا ابو محمد النحاس نا ابو الورد عن البرقي عن ابن هشام
عن زياد البكائي عن محمد بن اسحاق نا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم
بقصة أحد بطولها قال وقالوا قال سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
عن قوسه حتى اندقت سيتها وأصيبت يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه واحدهما وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن
قتادة ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على اثر سهم في وجه ابي قتادة في
يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا
رسول الله ادع الله ان يكشف عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل
اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف
عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي ان ابن ملاعب
الاسنة اصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض
فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على
شفا فشربها فشفاه الله تعالى وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فريك ان اباه
ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه
فابصر فرأيته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره فبصق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه فبرئ وتفل في شجة عبد الله بن انيس فلم تقح وتفل في عيني علي يوم خيبر
وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت
وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرئت
وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه وشتكى

علي بن ابي طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه
برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل
يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن
روايته ايضاً ان حبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح
واتته امراة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها
اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرئ الغلام وعقل عقلاً يفضل عقول الناس وعن ابن
عباس جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو
الاسود فشفي وانكفات القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له
وتفل فيه فبرئ لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف
وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم
يبق لها اثر وسالته جارية طعاماً وهو ياكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء
فقالت انما اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسال
شيئاً فيمنعه فلما استقر في جوفها القي عليها من الحياء ما لم تكن امراة بالمدينة اشد حياء
منها صلى الله على سيدنا محمد واله وسلم فصل في اجابة دعائه عليه السلام وهذا
باب واسع جداً واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر
على الجملة ومعلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي
بقراءتي عليه نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن القابسي نا ابو زيد المروزي نا محمد
بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا عبد الله بن ابي الاسود نا حرمي نا شعبة عن قتادة
عن انس قال قالت امي ام سليم يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر

ماله وولده وبارك له فيما آتيته ومن رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالي لكثير وان
ولدي وولد ولدي ليتعادون اليوم نحو المائة وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش
ما اصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه
لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلقد رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته
ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤس حتى مجلت فيه الايدي واخذت
كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها
في مرضه على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية في حياته
وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه
تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها ودعا لمعاوية بالتمكين
في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن ابي وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا
استجيب له ودعا بعز الاسلام بعمر او بابي جهل فاستجيب له في عمر وقال ابن مسعود ما زلنا
اعزة منذ اسلم عمر واصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا
فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه المطر
فدعا فصحوا وقال لابي قتادة افلح وجهك اللهم بارك في شعره وبشره فمات وهو ابن
سبعين سنة وكانه ابن خمسة عشرة وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت
له سن وفي رواية فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش
عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل
فسمي بعد الحبر وترجمان القران ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما
اشترى شيئا الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله
لعروة ابن ابي الجعد فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا
وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة ايضا

وندت له ناقة فدعا فجاء بها اعصار حتى ردها عليه ودعا لام ابي هريرة فاسلمت ودعا
لعلي ان يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء
ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته ان لا يجيعها قالت فما جعت بعد وساله الطفيل
بن عمرو اية لقومه فقال اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا
مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فاقحطوا
حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم
تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلاة
ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل راه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال
لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فاكله الاسد وقال لامراة اكلك الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية عبد الله
بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث
والدم وسماهم قال فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم ابن ابي العاص وكان يختلج
بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم فراه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان
مات ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته
مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة والصد جانب الوادي وجحده رجل بيع
فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد على النبي صلى
الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية
برجلها اي رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به والله عز وجل اعلم فصل في
كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان فيما لمسه او باشره حدثنا احمد بن محمد ابو
ذر الهروي اجازة وثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
وغيرهما قالوا ثنا ابو الوليد القاضي ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحاق وابو الهيثم قالوا

نا الفربري نا البخاري نا يزيد بن زريع نا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك ان اهل
المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او
قطاف وقال غيره يبطئ فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس جمل
جابر وكان قد اعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك لفرس لجعيل الاشجعي
خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك راسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا
وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره
عليه الصلوة والسلام في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفي
الصحيح عن اسما بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها وثنا القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم
بن مامون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها
الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسره على
ركبته فصاح الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه
عليه السلام في بئر قباء فما نزفت بعد وبصق في بئر كانت في دار انس فلم يكن بالمدينة
اعذب منها ومر عليه الصلوة والسلام على ماء فسال عنه فقيل له اسمه بيسان
وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتي له بدلو من ماء زمزم فمج فيه
فصار اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا
فسكتا وكانت لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها عليه
السلام ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها بنوها يسالونها الادم
وليس عندهم شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان عليه
الصلوة والسلام يتفل في افواه الصبيان المراضع فيجزئهم ريقه الى الليل ومن ذلك
بركة يده صلى الله عليه وسلم فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على

ثلاثمائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام عليه الصلوة
والسلام فغرسها له بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها
النبي صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة
فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة
الدجاجة من ذهب بعد ان اداره على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي
عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
شربة من سويق شربت اولها وشربت آخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها
اذا عطشت وبردها اذا ظمئت واعطى قتادة ابن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة
مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا
فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه به حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء
له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل
حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة
ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال
اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب
سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته عليه السلام في درور الشياه الحوائل بالالبان
الكثير كقصة شاة ام معبد اعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته و
شارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده
اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلوة نزلوا فحلوه فاذا به
لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرك فمات
وهو ابن ثمانين فما شاب ويروى مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد
ومدلوك وكان يوجد لعتبة ابن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عايذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له
غرة كغرة الفرس ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك بن مائة سنة ورأسه
ابيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان يدعى الاغر وروي
مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه اخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة
بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده على رأس حنظلة بن
حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع
على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة
من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها ومسح على رأس
صبي به عاهة فبرى واستوى شعره وروى مثله في خبر مطلب بن قبالة
وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبرءوا واتاه رجل به ادرة فامره
ان ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرئ وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم
باحد به مس فصك في صدره الا ذهب المس والمس الجنون ومج في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح
منها ريح المسك واخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه
فانصرفوا يمسحون القذى عن اعينهم وشكى اليه ابو هريرة النسيان فامره ان يبسط ثوبه و
غرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا الباب كثير وضرب
صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب
واثبتهم ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة
ففرع الرجال طولا وتماما فصل ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث
في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة
على القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على
الغيب حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراءة على غيره قال ابو بكر ثنا

ابو علي التستري نا ابو عمر الهاشمي نا اللؤلؤي نا ابو داود نا عثمان بن ابي شيبة نا جرير
عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما
فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه
قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل
اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري أنسي اصحابي ام تناسوا والله ما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة
فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله
وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به
صلى الله عليه وسلم اصحابه مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس
واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المرأة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله
وان المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يد علي في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا
ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف
والاهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها
واحدة وانها ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين يديه
صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث وانتم اليوم خير
منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله بأسهم
بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس
حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات
قرون الى آخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم
وظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فاري
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها فكذلك كان امتدت في المشارق

وللمغارب ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك عالم تملكه امة من الامم ولم يتمدد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث آخر من رواية ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم امر الله وهو كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بني امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من رأسه وانه قسيم النار يدخل اولياءه الجنة واعداءه النار فكان ممن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينسب اليه من الروافض كفروه وقال يقتل عثمان وهو يقرأ في المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة رضي الله عنها عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار فكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه فاني رأيت الملائكة تغسله فسألوها فقالت انه خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد ورأينا رأسه تقطر ماء وقال الخلافة في قريش ولن يزال

هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار
وانّ مسيلمة يعقره الله وانّ فاطمة اول اهله لحوقا به وانذر بالردة وبانّ الخلافة بعده
ثلاثون ثم يكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي وقال انّ هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم
يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الامة و
اخبر بشأن اويس القرني وبامراء يؤخرون الصلوة عن وقتها وسيكون في امته ثلاثون
كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث اخر ثلاثون دجالا كذابا اخرهم الدجال الكذاب كلهم
يكذب على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم
ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون
ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون وقال لا يأتي زمان الا والذي بعده شر منه وقال
هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش قال ابو هريرة راويه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان
وبنو فلان واخبر بظهور القدرية والرافضة وسب اخر هذه الامة اولها وقلة الانصار
حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون
بعده اثرة واخبر بشأن الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان سيماهم التحليق وترى
رعاء الغنم رؤس الناس والحفاة العراة يتبارون في البنيان وان تلد الامة ربها وان
قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح
بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة وان
الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت ريح في غزاته فقال
هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس
احدكم في النار مثل احد قال ابو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وانما بقيت انا ورجل فقتل
مرتدا يوم اليمامة واعلمهم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة

ومن ضلت ناقته حين ضلت كيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشان كتاب حاطب الى اهل مكة
وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما
جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه
غيري وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي لهب انه ياكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال وقال في الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله
بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون واخبر بقتل اهل
مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر
فيروز اذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما تحقق فيروز القصة
اسلم واخبر ابا ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه
فقال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وموته وحده و
اخبر ان اسرع ازواجه به لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر
بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان يسبقه
عضو منه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال صلى الله عليه وسلم في الذين كانوا معه على حراء اثبت فانما عليك
نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف
بك اذا لبست سواري كسرى فلما اتي بهما عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى
والبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى اليها خزائن الارض
يخسف بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه
الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر
في سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابي بكر
يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال

سالما دهيت وتبشيره بالكية انك تقتل ويصيبه القرح فوجدت هذه الامور كلها في حياته وبعد

موته كما قال عليه السلام الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من

اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه

اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه بصفة السحر الذي

سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في بئر

ذروان فكان كما قال عليه الصلوة والسلام ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا باكل

الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها عليه وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها

كل اسم الله فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين

كذبوه في خبر الاسراء ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه و

انذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال عليه السلام الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون

ولم تات بعد ومنها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب

خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ومن اشراط الساعة وآيات حلولها وذكر

النشر والحشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل

ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي

ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة رحمهم الله تعالى فصل في عصمة الله

تعالى له من الناس وكفايته من اذاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى

واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا

اعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين

كفروا الاية حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي بقراءتي عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن

عبد الله المعافري قالا اخبرنا ابو الحسين الصيرفي قال نا ابو يعلى البغدادي نا ابو علي السنجي

نا ابو العباس المروزي نا ابو عيسى الحافظ نا عبد بن حميد نا مسلم بن ابراهيم نا الحارث بن عبيد

عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة وقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الاية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفى عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روي انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحارث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده والزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم الاية وقيل كان عليه الصلوة والسلام يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاة وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطاها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحاق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت النبي صلى الله عليه وسلم

وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم ترا الا ابا بكر
واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني
انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله
عليه وسلم حتى اذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا
فما افقنا حتى قضى صلوته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رأيناه جاءت
الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح وقرأ الحاقة ما الحاقة الى قوله
فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات
اسلام عمر ومن ذلك العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما اخافته قريش واجمعت على
قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذر
التراب على رؤسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله تعالى له
من الآيات والعنكبوت التي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم
فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار
فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم
حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا
قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام
فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر
يلتفت فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى
ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له
النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره
النبي صلى الله عليه وسلم الا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ههنا وقيل

بن قال لهما اذا كما دعوتما على فادعوا لى فدعوا فنجا ووقع فى نفسه ظهور النبى صلى الله عليه وسلم وفى خبر اخر ان داعيا عرف خبرها فخرج يشتد ليعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدرى ما يصنع ونسى ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن اسحاق وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون اليه ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم ساله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن راه ليدمغنه فسالوه عن شانه فذكر انه عرض لى دونه فحل ما رايت قط مثله هم بى ان ياكلنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل لو دنا لاخذه وذكر السمرقندى ان رجلا من بنى المغيرة اتى النبى صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبى صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر ان فى هاتين القصتين نزلت إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا الايتين ومن ذلك ما ذكره ابن اسحاق وغيره فى قصته اذ خرج الى بنى قريظة فى اصحابه فجلس الى جدار بعض اطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحا فقام النبى صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ الاية فى هذه القصة نزلت وحكى السمرقندى انه خرج الى بنى النضير يستعين فى عقل الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن امية فقال له حيى بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سالتنا فجلس النبى صلى الله عليه وسلم مع ابى بكر وعمر وتواعد حيى معهم على قتله فاعلم جبريل النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كانه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير معنى الحديث عن ابى هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لئن راى محمدا يصلى ليطان رقبته فلما صلى النبى صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوء نارا كدت اهوى فيه

وأبصرت هولاً عظيماً وخلقاً أجنحة قد ملأت الأرض فقال عليه الصلاة والسلام تلك
الملائكة لو دنا لاختطفته عضواً عضواً ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا إن الإنسان
ليطغى إلى آخر السورة ويروى أن شيبة بن عثمان الحجبي أدركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل
أباه وعمه فقال اليوم أدرك ثأري من محمد فلما اختلط بالناس أتاه من خلفه ورفع سيفه
ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع إلي شواظ من نار أسرع من البرق فوليت هارباً وأحس بي
النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق إلي فما رفعها إلا وهو أحب
الخلق إلي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسي ولو لقيت أبي تلك الساعة
لأوقعت به دونه وعن فضالة بن عمرو أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف
بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك
واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلي منه
ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان عامر قال له أنا أشغل عنك وجه محمد صلى الله عليه وسلم فاضربه أنت فلم يره فعل شيئاً
فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت أن أضربه إلا وجدتك بيني وبينه أفأضربك و
من عصمته له تعالى أن كثيراً من اليهود والكهنة أنذروا به وعينوه لقريش وأخبروهم بسطوته
بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه أمره ومن ذلك نصره بالرعب أمامه مسيرة
شهر كما قال عليه السلام **فصل** ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم
وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين
دينه وسياسة عباده ومصالح أمته وما كان في الأمم قبله وقصص الأنبياء والرسل
والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم عليه السلام إلى زمنه وحفظ شرائعهم و
كتبهم ووعي سيرهم وسرد أنبائهم وأيام الله فيهم وصفات أعيانهم واختلاف آرائهم
والمعرفة بمددهم وأعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة

من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك
وغيره الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ
لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال
الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع
الذي لاتناقض فيه ولاتخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الاداب
وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل
جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة
برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم
واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار آجلا مما لا يعلم ولا يقوم به ولا
ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة بعض هذا الى الاحتواء على ضروب
العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم
مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه الصلوة والسلام فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله
عليه الصلوة والسلام الرؤيا لاول عابر وهي على رجل طائر وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا حق و
رؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا
المؤمن تكذب وقوله اصل كل داء البردة وما روي عنه في حديث ابي هريرة من قوله
المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا لانصححه لضعفه و
كونه موضوعا تكلم به الدارقطني وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي
وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة اشفية
وقوله ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطن الى قوله فان كان لابد فثلث للطعام وثلث
للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سبأ ارجل هو ام امرأة ام ارض فقال رجل ولد
عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم منهم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة

وغير ذلك مما احضرت العرب على سمائها بالنسبة الى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله
خير رأس لعرب نزارها ومذحج هامتها وغلصمها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها
وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وقوله في الحوض
زواياه سواء وقوله في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان والف
وخمسمائة في الميزان وقوله وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق و
المغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على
اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه عليه الصلوة والسلام كان لا يكتب ولكنه اوتي علم
كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم
الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الآخر الذي يروى
عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه السلام فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم
الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية
انه عليه الصلوة والسلام كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه
عليه الصلوة والسلام بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على
بعضه في اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث سنه سنه وهي
حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث ابي هريرة اشكنب درد
اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من
مارس الدروس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى امي
لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من
هذه الامور ولا عرف قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب و
لا تخطه بيمينك الآية انما كانت غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما
حصل لهم ذلك بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة

من يعلمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد المحل لشيء مما ذكرناه ولا وجدت الكفرة حيلة في
دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله تعالى قولهم بقوله لسان الذي
يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة للعيان فان الذي نسبوا
تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن
وظهور ما لا يعد من الآيات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم
واختلف في اسمه وقيل بل كان عليه السلام يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان و
هم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم
وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي او يعيش او جبر او
يسار على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم يكلمونهم مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء
من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بشيء من ذلك وما
منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا فيأخذ عنه ايضا
ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به
من اخبار كتبه ولا غاب النبي عليه السلام عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتاب
فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم
لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل
فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة
مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء
ما اتى به من معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل امر

فصل ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر آياته انباؤه مع الملائكة والجن وامداد
الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا
عليه فان الله هو مولاه وجبريل الآية وقال اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم الآية

وقال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم الايتين وقال واذ صرفنا اليك نفرا من
الجن الاية حدثنا سفيان العاص الفقيه بسماعى عليه نا ابو الليث السمرقندى قال نا عبد الغافر
الفارسى نا ابو احمد الجلودى نا ابن سفيان نا مسلم نا عبيد الله بن معاذ نا ابى نا شعبة عن سليمان
الشيبانى سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى جبريل
فى صورته له ستمائة جناح والخبر فى محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهما من الملائكة و
ما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور وقد راهم بحضرته جماعة
من صحابه فى مواطن مختلفة فراى اصحابه جبريل عليه السلام فى رجل يسأله عن الايمان و
الاسلام وراى ابن عباس واسامة وغيرهما عنده جبريل فى صورة دحية وذكر ابن سعد ان
مصعب بن عمير قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته فكان النبى صلى الله عليه وسلم
يقول تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه ملك وراى سعد على يمينه و
على يساره جبريل وميكائيل فى صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم
زجر الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم راى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب
وراى ابو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما يقوم
لها شىء وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين وارى النبى صلى الله عليه وسلم حمزة
جبريل فى الكعبة فخر مغشيا عليه وراى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم و
شبههم برجال الزط وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس
مع النبى صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم
فرد عليه وقال نغمة الجن من انت قال انا هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقى
نوحا ومن بعده فى حديث طويل وان النبى صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القران وذكر
الواقدى قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التى خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها
باسيفه واعلم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له تلك العزى وقال عليه السلام ان شيطانا

تفلّت لي البارحة ليقطع عليّ صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه الى سارية
من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان ربّ اغفر لي وهب لي ملكا
لا ينبغي لأحد من بعدي الآية فردّه الله خاسئا وهذا باب واسع **فصل** ومن دلائل
نبوته وعلامات رسالته صلى الله عليه وسلم ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأحبار
وعلماء أهل الكتاب من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه
وما وجد من ذلك في أشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبّع والأوس بن حارثة
وكعب بن لؤي وسفيان بن مجاشع وقسّ بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم
وما عرف به من أمره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود
وشامول عالمهم صاحب تبّع من صفته وخبره وما ألفي من ذلك في التوراة والانجيل
مما قد جمعه العلماء وبيّنوه ونقله عنهما الثقات ممن أسلم منهم مثل ابن سلام وبني سعية
وابن يامين ومخيريق وكعب وأشباههم ممن أسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور الحبشة صاحب
بصرى وضغاطر وأسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة ووهب بن منبه
وأساقف نجران وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة
عالما النصارى ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن أخطب
وأخوه وكعب بن أسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة
على البقاء على الشقاء والأخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرّع أسماع يهود والنصارى بما ذكر
أنه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم
وذمّهم بتحريف ذلك وكتمانه وليّهم ألسنتهم ببيان أمره ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب
فما منهم الا من نفر عن معارضته وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره ولو وجدوا خلاف
قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال وتخريب الديار ونبذ القتال وقد
قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين الى ما أنذر به الكهان مثل شافع بن

كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي
وسعد بن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على ألسنة الاصنام من نبوته
وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب واجواف الصور وما وجد
من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم
ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور **فصل** ومن ذلك ما ظهر من
الآيات عند مولده وما حكته امه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا رأسه عند ما وضعته
شاخصا ببصره الى السماء وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما رأته اذ ذاك
ام عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفاء
ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لي
ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت به حليمة وزوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها له
ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته صلى الله عليه وسلم وما جرى من العجائب
ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف
عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا واذا غاب فاكلوا
في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح هو صلى الله عليه وسلم صقيلا
دهينا كحيلا قالت ام ايمن حاضنته ما رأيته صلى الله عليه وسلم شكى جوعا ولا عطشا
صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم من
استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله
من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه
ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك فقال اني
نهيت عن التعري ومن ذلك اظلال الله تعالى له بالغمام في سفره وفي رواية ان خديجة و
نساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه رأى ذلك منذ

خروجه معه في سفره وقد روي ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وروي ذلك عن اخيه
من الرضاعة ومن ذلك انه عليه السلام نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة
فاعشوشب ما حولها واينعت هي فاشرقت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة
اليه في الخبر الآخر حتى اظلته وما ذكر من انه صلى الله عليه وسلم كان لا ظل لشخصه في
شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب
الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته
ان بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه
حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلوة الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها و
استئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله ونداءهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا
عنه القميص عند غسله وما روي من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على
اصحابه من كراماته وبركاته في حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير احد بذريته

فصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة
وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا
واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث و
غريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد في جمهورها
طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة
ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من معجزات سائر الرسل عليهم السلام بوجهين احدهما
كثرتها وانه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على
ذلك فان اردته فتامل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء تقف على ذلك
ان شاء الله تعالى واما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض
ائمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر او آية في قدرها وذهب بعضهم الى ان كل آية منه

كيف كانت معجزة وزاد آخرون أن كل جملة منتظمة منه معجزة وإن كانت من كلمة أو كلمتين
والحق ما ذكرناه أولا لقوله تعالى فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ فهو أقل ما تحدّاهم به مع ما ينصر
هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه وإذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة و
سبعين ألف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ عشر كلمات فتجزّأ
القرآن على نسبة عدد إنا أعطيناك الكوثر أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في
نفسه ثم إعجازه كما تقدم بوجهين من طريق بلاغته وطريق نظمه فصار كل جزء من هذا
العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه إعجاز أُخر من الإخبار بعلوم
الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن أشياء الغيب كل خبر
منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة أخرى ثم وجوه الإعجاز الأخر التي ذكرناها توجب
التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العدد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم
الأحاديث الواردة والأخبار الصادرة عنه عليه السلام في هذه الأبواب وعمّا دلّ على أمره
مما أشرنا إلى جُمَلٍ منه تبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم
فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان
زمن موسى عليه السلام غاية علم أهله السحر بعث الله إليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدّعون
قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم وكذلك زمن
عيسى أغنى ما كان الطب وأوفر ما كان أهله فجاءهم أمر لا يقدرون عليه وأتاهم ما لم يحتسبوه
من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الأنبياء
ثم إن الله تعالى بعث محمدا عليه السلام وجملة معارف العرب وعلومها أربعة البلاغة و
الشعر والخبر والكهانة فأنزل الله تعالى عليه القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصاحة
والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا
في المنظوم إلى طريقه ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه ومن الإخبار عن الكوائن والحوادث

والأسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان
اعدى العدو فابطل الكهانة التى تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب و
رصد النجوم وجاء من الأخبار عن القرون السالفة وانباء الانبياء والأمم البائدة والحوادث
الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التى بسطناها وبينا المعجز فيها ثم
بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الأخر التى ذكرناها فى معجزات القرآن
ثابتة الى يوم القيامة بينة الحجة لكل امة تاتى لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه
اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذا السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه
بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة
زيادة فى اليقين والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عنده
حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله
عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه السلام بقوله فيما
حدثنا القاضى الشهيد ابو على نا القاضى ابو الوليد نا ابو ذر نا ابو محمد وابو اسحاق و
ابو الهيثم قالوا نا الفربرى نا البخارى نا عبد العزيز بن عبد الله نا الليث عن سعيد عن
ابيه عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء نبى الا اعطى من الايات
ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذى اوتيت وحيا اوحاه الله الى فارجو انى اكثرهم تابعا
يوم القيامة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شاء الله تعالى وذهب
غير واحد من العلماء فى تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا عليه السلام الى معنى آخر
من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه وان غيرها من
معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا فى التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة
حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر او يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر
فى التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر

ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص وارفع
وفي هذا التاويل الثاني تغميض الحق عليه وتغطية وجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان
المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان
بمثله من جنس مقدورهم ولكنه لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله تعالى لم يقدرهم
ولا يقدرهم عليها وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم
او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال
وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين آية للعجز عن
الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم والى
هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة
في انفسها كقلب العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدءا ان ذلك من اختصاص
صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي
للخلائق مئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر
الدواعي على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي ان يمنع الله
القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان
ذلك من ابهر آية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور
آيته على سائر آيات الانبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء البابها
ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من
القبط وبني اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة
بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا
المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءهم من الآيات الباهرة
البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى

ترى الله جهرة ولم يعبد واعلى المنّ والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من آمن ووحده قبل الرسول عليه السلام بدليل عقله وسبقه لبّه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا آباءهم واولادهم في نصرته واتى في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرجه لو اخبح اليه وحقق لكنا قدمنا في بيان معجزة نبينا وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها ان شاء الله تعالى والله المستعان

تم طبع القسم الاول

بتوفيق الملك المتعالي ويتلوه طبع القسم الثاني بكرمنا لختم طبعه من انزل على نبيه الكريم القران والسبع المثاني

ط ط

هذا

الجزء الثاني

من كتاب الشفا

بتعريف حقوق

المصطفى

صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلوة عليه والتسليم وزيارة قبره عليه الصلوة والسلام

الباب الاول

في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وقال إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وقال فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الاية فالايمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا حدثنا ابو محمد الخشني الفقيه

بقرأتي عليه انبانا الامام ابو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا ابن عمرويه نا ابن سفيان
نا ابو الحسين نا امية بن بسطام نا يزيد بن زريع نا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب
عن ابيه عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى
يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم و
اموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى قال القاضي ابو الفضل فالايمان به عليه السلام هو
تصديق نبوته ورسالته وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب
بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا اجتمع التصديق به بالقلب و
النطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية
عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده
وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم ساله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام
به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال المذمومة فالشهادة باللسان
دون تصديق بالقلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي كاذبون في قولهم ذلك
عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه اذ لم يكن معهم
ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان في
احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه
من علامات الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه والفرق بين العقد

والقول ما صح في حديث جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان
بين هذين احداهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط
بعضهم ان من تمام الايمان القول بالشهادة ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه
الصلوة والسلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب
وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية ان
يصدق بقلبه ويطول مهلة وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره
ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو
عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشاء عقد
والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح
وهذا نبذ يفضي الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان
وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد
يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة
ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرنا غنية فيما
قصدنا ان شاء الله تعالى **فصل** واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما
جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول وقال واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال من
يطع الرسول فقد اطاع الله وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
وقال ومن يطع الله والرسول الاية وقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل
تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد
على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة
الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا ما ارسل الله من رسول الا

على من أرسله اليه وقال من يطع الرسول في سننه يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله
عن شرائع الاسلام فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال أطيعوا الله في فرائضه والرسول
في سننه وقيل أطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية
والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا محمد بن عتاب بقراءتي عليه نا حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن
خلف اخبرنا محمد بن احمد نا محمد بن يوسف نا البخاري عن عبدان اخبرنا عبد الله نا يونس عن الزهري
قال نا ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع اميري فقد أطاعني ومن عصى
اميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله إذ الله أمر بطاعته فطاعته امتثال لما أمر الله به و
طاعة له وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا
أطعنا الله وأطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه الصلوة والسلام
إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة عنه
عليه السلام كل امتي يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة
ومن عصاني فقد أبى وفي الحديث الآخر الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل ما بعثني الله به
كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم اني رأيت الجيش بعيني واني أنا النذير العريان فالنجاء
فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم
الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق
وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي
دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار
الجنة والداعي محمد عليه السلام فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله
ومحمد فرق بين الناس فصل وأما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد
قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية وقال فآمنوا بالله ورسوله

النبي الأمي الآية. وقد قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الآية إلى قوله تسليما أي ينقادوا
لحكمك يقال سلم واستسلم وأسلم إذا انقاد. وقال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة الآية قال
محمد بن علي الترمذي الأسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل
وقال غير واحد من المفسرين بمعناه، وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه. وقال سهل في قوله تعالى صراط
الذين أنعمت عليهم قال بمتابعة السنة فأمرهم الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه
لأن الله تعالى أرسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط
مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الآية الأخرى ومغفرته إذا اتبعوه وآثروه على أهوائهم وما تجنح
إليه نفوسهم وأن صحة إيمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه. وقد
روي عن الحسن أن قوما قالوا يا رسول الله إنا نحب الله فأنزل الله تعالى قل إن كنتم تحبون
الله فاتبعوني الآية. وروي أن الآية نزلت في كعب بن الأشرف وغيره وإنهم قالوا نحن أبناء
الله وأحباؤه ونحن أشد حبا لله فأنزل الله الآية. وقال الزجاج معناه إن كنتم تحبون الله أن
تقصدوا طاعته وافعلوا ما أمركم به إذ محبة العبد لله وللرسول طاعته لهما ورضاه بما
أمرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته. ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق
ومن العباد طاعة كما قال القائل ~ تعصي الإله وأنت تظهر حبه . هذا لعمري في القياس
بديع . لو كان حبك صادقا لأطعته . إن المحب لمن يحب مطيع . ويقال محبة العبد
لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وإرادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه
وثنائه عليه. قال القشيري فإذا كان بمعنى الرحمة والإرادة والمدح كان من صفات
الذات. وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى. حدثنا أبو إسحاق إبراهيم
بن جعفر الفقيه قال أنبأنا أبو الأصبغ عيسى بن سهل ونا أبو الحسن يونس بن مغيث
الفقيه بقراءتي عليه قالا نا حاتم بن محمد نا أبو حفص الجهني نا أبو بكر الآجري قال نا
إبراهيم بن موسى الجوزي نا داود بن رشيد نا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن

سعدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمی وحجر الکلاعی عن العرباض بن ساریة فی حدیثه فی موعظة النبی صلی الله علیه وسلم انه قال فعلیکم بسنتی وسنة الخلفاء الراشدین المهدیین عضوا علیها بالنواجذ وایاکم ومحدثات الامور فان کل محدثة بدعة وکل بدعة ضلالة زاد فی حدیث جابر بمعناه وکل ضلالة فی النار وفی حدیث ابی رافع عنه علیه الصلوة والسلام لا الفین احدکم متکئا علی اریکته یأتیه الامر من امری مما امرت به او نهیت عنه فیقول لا ادری ما وجدنا فی کتاب الله اتبعناه وفی حدیث عایشة رضی الله عنها صنع رسول الله صلی الله علیه وسلم شیئا ترخص فیه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلک رسول الله صلی الله علیه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال اقوام یتنزهون عن الشئ اصنعه فوالله انی لاعلمهم بالله واشدهم له خشیة وروی عنه علیه السلام انه قال القرآن صعب مستصعب علی من کرهه وهو الحکم فمن استمسک بحدیثی وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحدیثی خسر الدنیا والاخرة امرت امتی ان یاخذوا بقولی ویطیعوا امری ویتبعوا سنتی فمن رضی بقولی فقد رضی بالقرآن قال الله تعالی وما اتاکم الرسول فخذوه الایة وقال علیه السلام من اقتدی بی فهو منی ومن رغب عن سنتی فلیس منی وعن ابی هریرة عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال ان احسن الحدیث کتاب الله وخیر الهدی هدی محمد صلی الله علیه وسلم وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال النبی صلی الله علیه وسلم العلم ثلاثة فما سوی ذلک فهو فضل آیة محکمة او سنة قائمة او فریضة عادلة وعن الحسن بن ابی الحسن قال علیه السلام عمل قلیل فی سنة خیر من عمل کثیر فی بدعة وقال علیه السلام ان الله یدخل العبد الجنة بالسنة تمسک بها وعن ابی هریرة رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم قال المتمسک بسنتی عند فساد امتی له اجر مائة شهید وقال علیه السلام ان بنی اسرائیل افترقوا علی اثنتین وسبعین فرقة وان امتی تفترق علی ثلاث وسبعین کلها فی النار الا واحدة قالوا ومن هو یا رسول الله قال الذی انا علیه الیوم واصحابی وعن انس قال علیه السلام من احیی سنتی فقد احیانی

ومن احياها كان معي عن عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث
من احيى سنة من سنتي قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص
من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها
لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا **فصل** واما ما ورد عن السلف والائمة من اتباع
السنة والاقتداء بهديه وسيرته **فحدثنا** الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابي الوليد
الفقيه سماعا عليه قال نا ابو عمر الحافظ قال نا سعيد بن نصر نا قاسم بن اصبغ ووهب بن
مسرة قالا نا محمد بن وضاح قال نا يحيى بن يحيى قال نا مالك عن ابن شهاب عن رجل من
آل خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلوة الخوف و
صلوة الحضر في القرآن ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا
صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله و
استكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في راي من
خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل
المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن
عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم
قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا السنة والفرائض
واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن
اعلم بكتاب الله وفي خبر حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي حين قرن فقال له عثمان تراني انهى الناس عنه وتفعله
فقال له لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وفي سنن الدارقطني
لست بتاركها ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت

قائلا يقول لى يا احمد ابشر فان الله قد عمرك باستماع
لم ار ولم اخبر فرايت ثلثة قلت من انت قال جبريل **فصل** ومخالفة امره و
السنة وجعلك اماما ما نقص متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى
تبديل سنته ضلال وبدعة عن امره ان تصيبهم فتنة الآية وقال ومن يشاقق الرسول
فليحذر الذين يخالفون الهدى الآية حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابى جعفر وعبد الرحمن بن عتاب
من بعد ما تبين قالا نا ابو القاسم حاتم بن محمد قال نا ابو الحسن القابسى نا ابو الحسن بن مسرور
نا احمد بن سليمان نا سحنون بن سعيد نا ابو القاسم نا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن
عن ابيه عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث
فى صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم
الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا وروى انس ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال من رغب عن سنتى فليس منى وقال من ادخل فى امرنا ما ليس منه فهو رد
وروى ابن ابى رافع عن ابيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا
على اريكته ياتيه الامر من امرى مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادرى ما وجدنا فى
كتاب الله اتبعناه زاد فى حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
ما حرم الله وقال عليه السلام وجئ بكتاب فى كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا
عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك
الكتب يتلى عليهم الآية وقال عليه الصلوة والسلام هلك المتنطعون وقال ابو بكر
رضى الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت
به انى اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ

الباب الثانى

فى لزوم محبته عليه السلام قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم

وعشيرتكم واموال اقترفتموها الاية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته
ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرع الله تعالى من كان
ماله وولده واهله احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله تعالى فتربصوا حتى
يأتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم بانهم ممن ضل ولم يهده الله تعالى حدثنا ابو علي
الغساني الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قال نا سراج بن عبد الله القاضي
نا ابو محمد الاصيلي نا المروزي نا ابو عبد الله محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا يعقوب
بن ابراهيم نا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس
اجمعين وعن ابي هريرة نحوه وعن انس عنه عليه الصلوة والسلام ثلاث من كن فيه
وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه
الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه
فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم في
جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه لا يذوق حلاوة الايمان لان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث فصل في ثواب محبته
عليه الصلوة والسلام حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه نا ابو القاسم حاتم بن محمد
نا ابو الحسن علي بن خلف نا ابو زيد المروزي نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا
عبدان نا ابي نا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس ان رجلا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من

كثير صلوة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن صفوان
بن قدامة قال هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك
فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك فقال المرء مع من احب روى هذا اللفظ عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس وعن ابي ذر معناه وعن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين فقال من احبني
واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء
فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين
وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم الاية فدعا به فقرأها عليه وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم
ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بابي انت وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيامة
رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية وفي حديث انس من احبني كان معي في الجنة فصل
فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم للنبي عليه الصلوة والسلام وشوقهم له حدثنا
القاضي الشهيد نا العذري نا الرازي نا الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم نا قتيبة نا يعقوب بن
عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد
امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله ومثله عن ابي ذر وقد تقدم
حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة
في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة
بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد ياوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي
واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروي عن ابي بكر

رضی الله عنه انه قال للنبی صلی الله علیه وسلم والذی بعثک بالحق لاسلام ابی طالب کان اقر
لعینی من اسلامه یعنی اباه ابا قحافة وذلک ان اسلام ابی طالب کان اقر لعینک من اسلامه
ونحوه عن عمر بن الخطاب رضی الله عنه قاله للعباس ان تسلم احب الی من ان یسلم الخطاب
لان ذلک احب الی رسول الله وعن ابن اسحق ان امرأة من الانصار قتل ابوها وزوجها واخوها
یوم احد مع رسول الله صلی الله علیه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلی الله علیه وسلم قالوا
خیرا هو بحمد الله کما تحبین قالت ارنیه حتی انظر الیه فلما رأته قالت کل مصیبة بعدک
جلل وسئل علی بن ابی طالب رضی الله عنه کیف کان حبکم لرسول الله صلی الله علیه وسلم
قال کان والله احب الینا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا ومن الماء البارد
علی الظمأ وعن زید بن اسلم قال خرج عمر لیلة یحرس فرأی مصباحا فی بیت واذا عجوز
تنفش صوفا وتقول ؏ علی محمد صلوة الابرار ۔ صلی علیه الطیبون الاخیار ۔ قد کنت
قواما بکا بالاسحار ۔ یا لیت شعری والمنایا اطوار ۔ هل تجمعنی وحبیبی الدار ۔ تعنی
النبی صلی الله علیه وسلم فجلس عمر یبکی وفی الحکایة طول وروی ان عبد الله بن عمر خدرت
رجله فقیل له اذکر احب الناس الیک یزل عنک فصاح یا محمداه فانتشرت ولما احتضر
بلال نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا القی الاحبة محمدا وحزبه ویروی ان امرأة
قالت لعائشة رضی الله تعالی عنها اکشفی لی قبر رسول الله صلی الله علیه وسلم فکشفته
لها فبکت حتی ماتت ولما اخرج اهل مکة زید بن الدثنة من الحرم لیقتلوه قال له ابو سفیان
بن حرب انشدک الله یا زید اتحب ان محمدا الان عندنا مکانک یضرب عنقه وانت فی اهلک
فقال زید والله ما احب ان محمدا الان فی مکانه الذی هو فیه ان تصیبه شوکة وانی جالس
فی اهلی فقال ابو سفیان ما رأیت من الناس احدا یحب احدا کحب اصحاب محمد محمدا وعن
ابن عباس کانت المرأة اذا اتت النبی صلی الله علیه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض
زوج ولا رغبة بارض عن ارض ما خرجت الا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر علی ابن الزبیر

بما قاله فاستغفر له وقال كنت والله فيما علمت صوّاما قوّاما ما يحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن أصحابه أجمعين **فصل** في علامة محبته عليه الصلوة والسلام

اعلم أنّ من أحبّ شيئا آثره وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقا في حبّه وكان مدّعيا فالصادق في محبّة النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه وأوّلها الاقتداء به واستعمال سنّته واتّباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدّب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل إن كنتم تحبّون الله الآية وإيثار ما شرعه وحضّ عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله العظيم والّذين تبوّؤا الدّار والإيمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة ممّا أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وإسخاط العباد في رضى الله

حدثنا القاضي أبو علي الحافظ نا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا نا أبو يعلى البغدادي نا أبو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا أبو عيسى نا مسلم بن حاتم نا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنيّ إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غشّ لأحد فافعل ثم قال لي يا بنيّ وذلك من سنّتي ومن أحيا سنّتي فقد أحبّني ومن أحبّني كان معي في الجنّة فمن اتّصف بهذه الصفة فهو كامل المحبّة لله تعالى ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبّة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله عليه السلام للّذي حدّه في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحبّ الله ورسوله ومن علامات محبّة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن أحبّ شيئا أكثر ذكره ومنها كثرة شوقه إلى لقائه فكلّ حبيب يحبّ لقاء حبيبه وفي حديث الأشعريّين عند قدومهم المدينة أنّهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الأحبّة محمّدا وحزبه وقد تقدّم قول بلال ومثله قال عمّار حين قتل وما ذكرناه من قصّة خالد بن معدان ومن علا

مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه
صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق التجيبي كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه
الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل محبة له و
شوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن هو بسببه من ال بيته وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم وبغض من
ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحب وقد قال عليه الصلوة والسلام في الحسن والحسين
اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه وقال من احبهما فقد احبني
ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال صلى الله
عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك
ان ياخذه وقال في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال لعايشة رضي الله عنها
في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه وقال اية الايمان حب الانصار واية النفاق بغضهم وفي
حديث ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم فبالحقيقة من احب
شيئا احب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال
انس حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت احب
الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسالوها
ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجب النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية
ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله
ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل
امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من
حاد الله ورسوله وهولاء اصحابه عليه الصلوة والسلام قد قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم

دابنا هو في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن ابي ابن سلول لأتينك برأسه يعني اباه
ومنها ان يحب القرآن الذي اتى به عليه الصلوة والسلام وهدى به واهتدى وتخلق به حتى
قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه
ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة
حب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي عليه الصلوة والسلام
حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يأخذ
منها الا زادا وبلغة الى الآخرة وقال ابن مسعود لا يسأل احد عن نفسه الا القرآن فان كان
يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامات حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته
على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ودفع المضار عنهم كما كان عليه الصلوة والسلام
بالمؤمنين رؤفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وايثار الفقر واتصافه
به وقد قال عليه الصلوة والسلام لابي سعيد الخدري ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع
من السيل من اعلى الوادي او الجبل الى اسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله
عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلاث مرات قال ان
كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه **فصل** في معنى المحبة للنبي
صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم
وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال
فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه الصلوة والسلام كأنه التفت الى قوله تعالى قل ان
كنتم تحبون الله الاية وقال بعضهم محبة الرسول عليه السلام اعتقاد نصرته والذب عن
سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال اخر ايثار
المحبوب وقال اخر المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب يحب
ما يحب ويكره ما يكره وقال اخر المحبة ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى

ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباههما مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراك بحاسة عقله وقلبه معانى باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والماثور عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مائل الى التشعف بامثال هولاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في اخرى ما يؤدى الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه فقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت الى هذه الاسباب كلها في حقه صلى الله عليه وسلم فعلمت انه عليه الصلوة والسلام جامع لهذه المعانى الثلاثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه على امته فقد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رأفته لهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم في استنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه سراجا منيرا ويتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاى احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين واى افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك انه عليه الصلوة والسلام مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار وعادة وجبلة بما ذكرناه انفا لافاضة الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منح في دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة مدة التاذى بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا

من جذب الجميل اول بالحب اذ كان يحب بالطبع مالك لحسن سيرته او حاكم او وال معروف
طريقته او قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه اوكرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب
الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه في صفته عليه الصلوة و
السلام من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة رضي الله
عنهم انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم **فصل** في وجوب مناصحته
عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله
ورسوله الآية قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر
والعلانية **حدثنا** الفقيه ابو الوليد بقراءتي عليه نا حسين بن محمد نا يوسف بن عبد الله
نا ابن عبد المؤمن نا ابو بكر التمار نا ابو داود نا احمد بن يونس نا زهير نا سهيل بن ابي صالح
عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة
ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ورسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قال ائمتنا رحمهم الله النصيحة
لله ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير
للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت
العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به
الصلاح والملاءمة مأخوذة من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحق
الزجاج نحوه فنصيحة الله عز وجل صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله
وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه والاخلاص في عبادته
والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم
له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة
لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان وقال
ابو بكر موازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب والذب عنها

ونشرها والتخلق بأخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة وقال أبو إبراهيم إسحاق التجيبي نصيحة رسول الله
صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة
إلى الله وإلى كتابه وإلى رسوله وإليها وإلى العمل بها وقال أحمد بن محمد من مفروضات القلوب
اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر الآجري وغيره النصح له يقتضي نصحين
نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح أصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه
والسمع والطاعة له وبذل النفوس والأموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
الآية وقال تعالى وينصرون الله ورسوله الآية وأما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام
التوقير والإجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة أهل بيته
وأصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على أمته والبحث
عن تعرف أخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة إحدى ثمرات
المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الإمام أبو القاسم القشيري أن عمرو بن الليث
أحد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رؤي في النوم وقيل له ما فعل الله
بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فأشرفت على جنودي فأعجبتني كثرتهم
فتمنيت أني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك و
غفر لي وأما النصح لأئمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وأمرهم به وتذكيرهم
إياه على أحسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من أمور المسلمين وترك الخروج
عليهم وتضريب الناس وإفساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم
ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد
محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع إليهم

الباب الثالث

في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا

لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين
يدي الله ورسوله وقال يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم الآيات الثلاث
وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب الله تعزيره وتوقيره والزم اكرامه
وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش
تنصرونه وقال الطبري تعينونه وقرئ تعززوه بزاءين من العز ونهى عن التقدم بين
يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب
وقال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا
عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال او
غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به والى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك
والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم
قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته
انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول
كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مكي
اي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض
ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله
وهذا كقوله في الآية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
على احد التأويلين وقال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم
ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الآية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي
صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم
بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الآية الاولى في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت
في ثابت بن قيس بن شماس خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان
في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الاية اقام في منزله وخشي ان يكون حبط
عمله ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لقد خشيت ان اكون هلكت
نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت
اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي ان
ابا بكر لما نزلت الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها ابدا الا كاخي السرار وان
عمر كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه
الاية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ
الاية وقيل نزلت إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ في غير بني
تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه
اعرابي بصوت له جهوري يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك
قد نهيت عن رفع الصوت وقال تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا
قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم
وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعيهم
له بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم
بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظ
وقيل غير هذا والله اعلم

فصل

في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام واجلاله و
توقيره حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي بسماعي عليهما في اخرين قالوا نا
احمد بن عمر نا احمد بن الحسن نا محمد بن عيسى نا ابراهيم بن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا محمد بن مثنى وابو معن
الرقاشي واسحق بن منصور قالوا نا الضحاك بن مخلد نا حيوة بن شريح نا يزيد بن ابي حبيب

عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد
احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه اجلالا وما كنت اطيق ان املأ
عيني منه ما اطقت لاني لم اكن املأ عيني منه وروى الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع
احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويبتسمان اليه
ويبتسم اليهما وروى اسامة بن شريك قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
حوله كانما على رؤسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم
الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه له ما رأى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا
يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم
واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم
خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر
قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت ملكا
في قوم قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد
رأيت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق
يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت
قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية
ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة ان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه
ويوقرونه وسأله فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا
ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا

القرفصا ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فاؤخره سنين من هيبته فصل واعلم
ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته
وذلك عند ذكره عليه الصلوة والسلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته و
معاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن
متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته و
اجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا
القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما
اجازونيه قالوا نا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث نا ابو الحسن علي بن فهر نا ابو بكر محمد بن احمد
بن الفرج نا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب نا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل نا ابن حميد
قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك
يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى ادب قوما فقال لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي ومدح قوما فقال تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله
الاية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا كحرمته
حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم
عليه السلام الى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك الاية قال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني ما حدثتكم
عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان

اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه ولقد رأيت منه ما رأيت لاجلاله للنبي صلى الله
عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله وكان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت
لما انكرتم علي ما ترونه لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث
ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي
عليه السلام اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد
اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرأ
القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد
كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كأنه نزف منه
الدم وقد جف لسانه في فيه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت آتي عامر بن
عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه
دموع ولقد رأيت الزهري وكان من اهنى الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله
عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين
المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه
وروي عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس
قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا
ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي اذا قرأ حديث النبي صلى الله
عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتأول انه يجب له من
الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله صلى الله عليه وسلم **فصل**
في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا

الحسين بن محمد الحافظ نا ابو الفضل بن خيرون نا ابو بكر البرقانی وغیره نا ابو الحسن
الدارقطنی نا علی بن مبشر نا احمد بن سنان القطان نا یزید بن هارون نا المسعودی عن مسلم البطین عن عمرو
بن میمون قال اختلفت الی ابن مسعود سنة فما سمعته یقول قال رسول الله صلی الله علیه
وسلم الا انه حدث یوما فجری علی لسانه قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ثم علاه کرب حتی رأیت
العرق یتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله تعالی او فوق ذا او مادون ذا او ما هو
قریب من ذا وفی روایة فتربد وجهه وفی روایة وقد تغرغرت عیناه وانتفخت اوداجه وقال
ابراهیم بن عبد الله بن قریم الانصاری قاضی المدینة مر مالك بن انس علی ابی حازم وهو یحدث
فجازه وقال انی لم اجد موضعا اجلس فیه فكرهت ان اخذ حدیث رسول الله صلی الله علیه وسلم
وانا قائم وقال مالك جاء رجل الی ابن المسیب فسأله عن حدیث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له
الرجل وددت انك لم تتعن فقال انی کرهت ان احدثك عن رسول الله صلی الله علیه وسلم
وانا مضطجع وروی عن محمد بن سیرین انه قد یكون یضحك فاذا ذکر عنده حدیث رسول الله
صلی الله علیه وسلم خشع وقال ابو مصعب کان مالك بن انس لا یحدث بحدیث رسول الله صلی الله
علیه وسلم الا وهو علی وضوء اجلالا له وحکی مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال ابو مصعب بن عبد الله
کان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلی الله علیه وسلم توضأ وتهیأ ولبس ثیابه ثم یحدث
قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حدیث رسول الله صلی الله علیه وسلم قال مطرف کان
اذا اتی الناس مالكا خرجت الیهم الجاریة فتقول لهم یقول لكم الشیخ تریدون الحدیث
او المسائل فان قالوا المسائل خرج الیهم وان قالوا الحدیث دخل مغتسله واغتسل وتطیب
ولبس ثیابا جددا ولبس ساجة وتعمم ووضع علی رأسه رداءه وتلقی له منصة فیخرج فیجلس
علیها وعلیه الخشوع ولا یزال یتجمر بالعود حتی یفرغ من حدیث رسول الله صلی الله علیه وسلم
قال غیره ولم یكن یجلس علی تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلی الله علیه وسلم و
قال ابن ابی اویس فقیل لمالك فی ذلك فقال احب ان اعظم حدیث رسول الله صلی الله علیه وسلم

ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا قال وكان يكره أن يحدث في الطريق أو هو قائم أو مستعجل و
قال أحب أن أفهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرار بن مرة كانوا يكرهون أن يحدثوا
على غير وضوء ونحوه عن قتادة وكان الأعمش إذا أحب أن يحدث على غير وضوء تيمم وكان قتادة
لا يحدث إلا على طهارة ولا يقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على وضوء قال عبد الله
بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ستة عشر مرة وهو يتغير لونه ويصفر
ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له
يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا قال نعم إنما صبرت إجلالا لحديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك إلى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي
كنت في عيني أجل من أن تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأله جرير
بن عبد الحميد بن عبد الله القاضي عن حديث وهو قائم فأمر بحبسه فقيل له إنه قاض فقال القاضي
أحق من أدب وذكر أن هشام بن الغاز سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين
سوطا ثم أشفق عليه فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا قال
عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث إلا وهما طاهران وكان قتادة يستحب
أن لا يقرأ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على وضوء ولا يحدث إلا على طهارة وكان
الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم. فصل ومن توقيره صلى الله عليه
وسلم وبره بر آله وذريته وأمهات المؤمنين كما حض عليه الصلوة والسلام وسلكه السلف
الصالح رضي الله عنهم أجمعين قال الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا وقال تعالى وأزواجه أمهاتهم أخبرنا الشيخ أبو محمد بن أحمد العدل
من كتابه وكتبت من أصله نا أبو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني أم القاسم بنت الشيخ
أبي بكر الخفاف قالت حدثني أبي نا حاتم هو ابن عقيل نا يحيى هو ابن إسمعيل نا يحيى هو الحماني
نا وكيع عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله

صلی اللہ علیہ وسلم انشدکم اللہ واہل بیتی ثلاثا قلنا لزید من اہل بیتہ قال آل علی وآل جعفر وآل عقیل
وآل عباس وقال علیہ الصلوٰۃ والسلام انی تارک فیکم ما ان اخذتم بہ لن تضلوا کتاب اللہ
وعترتی اہل بیتی فانظروا کیف تخلفونی فیہما وقال علیہ الصلوٰۃ والسلام معرفۃ آل محمد براءۃ
من النار وحب آل محمد جواز علی الصراط والولایۃ لآل محمد امان من العذاب قال بعض
العلماء معرفتہم ھی معرفۃ مکانہم من رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم واذا عرفہم بذلک
عرف وجوب حقہم وحرمتہم بسببہ وعن عمر بن ابی سلمۃ لما نزلت انما یرید اللہ لیذہب
عنکم الرجس اہل البیت ویطہرکم تطہیرا وذلک فی بیت ام سلمۃ دعا فاطمۃ وحسنا و
حسینا فجللہم بکساء وعلی خلف ظہرہ ثم قال اللہم ھؤلاء اہل بیتی فاذہب عنہم الرجس
وطہرہم تطہیرا وعن سعد بن ابی وقاص لما نزلت آیۃ المباہلۃ دعا النبی صلی اللہ علیہ
وسلم علیا وحسنا وحسینا وفاطمۃ وقال اللہم ھؤلاء اہلی وقال النبی صلی اللہ علیہ وسلم فی
علی من کنت مولاہ فعلی مولاہ اللہم وال من والاہ وعاد من عاداہ وقال فیہ لا یحبک الا مؤمن
ولا یبغضک الا منافق وقال للعباس رضی اللہ عنہ والذی نفسی بیدہ لا یدخل قلب رجل الایمان
حتی یحبکم للہ ولرسولہ ومن اذی عمی فقد اذانی وانما عم الرجل صنو ابیہ وقال للعباس
اغد علی یا عم مع ولدک فجمعہم وجللہم بملاءتہ وقال ھذا عمی وصنو ابی وھؤلاء اہل بیتی
فاسترہم من النار کستری ایاہم فامنت اسکفۃ الباب وحوائط البیت آمین آمین وکان
یاخذ اسامۃ بن زید والحسن ویقول اللہم انی احبہما فاحبہما وقال ابو بکر رضی اللہ عنہ
ارقبوا محمدا فی اہل بیتہ وقال ایضا والذی نفسی بیدہ لقرابۃ رسول اللہ صلی اللہ علیہ
وسلم احب الی ان اصل من قرابتی وقال علیہ السلام احب اللہ من احب حسنا وحسینا وقال من
احبنی واحب ھذین واشار الی حسن وحسین واباہما وامہما کان معی فی درجتی یوم القیامۃ
وقال علیہ الصلوٰۃ والسلام من اہان قریشا اہانہ اللہ وقال قدموا قریشا ولا تقدموہا
وقال علیہ الصلوٰۃ والسلام لام سلمۃ لا تؤذینی فی عائشۃ وعن عقبۃ بن الحارث رأیت

أبا بكر وحمل الحسن على عنقه وهو يقول بأبي شبيه بالنبي صلى الله عليه وسلم ليس شبيها بعلي وعلي
يضحك وروي عن عبد الله بن حسن بن حسين قال أتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي إذا كانت لك حاجة
فأرسل إلي أو اكتب فإني أستحيي من الله أن يراك على بابي وعن الشعبي قال صلى زيد بن ثابت على جنازة
أمه ثم قربت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا أن
نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم ورأى ابن عمر محمد بن أسامة بن زيد فقال ليت هذا
عبدي فقيل له هو محمد بن أسامة فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده الأرض وقال لو رآه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأحبه وقال الأوزاعي دخلت بنت أسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى إليها حتى
جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه وجلس بين يديها
وما ترك لها حاجة إلا قضاها رضي الله عنه وأرضاه وقدس سره ونور ضريحه ولما فرض
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله في ثلاثة آلاف ولأسامة بن زيد في ثلاثة آلاف
وخمسمائة قال عبد الله لأبيه لم فضلته فوالله ما سبقني إلى مشهد فقال له لأن أباه زيدا كان
أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك وأسامة أحب إليه منك فآثرت حب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية أن كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه وأقطعه المرغاب لشبهه
صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي أن مالكا رحمه الله تعالى لما ضربه جعفر بن سليمان
ونال منه ما نال حمل مغشيا عليه فدخل عليه الناس فأفاق فقال أشهدكم أني جعلت ضاربي
في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت أن أموت فألقى النبي صلى الله عليه وسلم فأستحيي منه
أن يدخل بعض آله النار بسببي وقيل إن المنصور أقاده من جعفر فقال له أعوذ بالله والله
ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه

وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي في حاجة لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولئن اخر من السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما
وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه
الساعة فقال اليس قال عليه الصلوة والسلام اذا رايتم اية فاسجدوا واي اية اعظم من ذهاب
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه
وقضى حاجتها فلما توفي وفدت على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فصنعا بها مثل ذلك **فصل**
ومن توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم و
حسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب
عن اخبار المورخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم و
ان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم
اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر حسناتهم
وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه الصلوة والسلام اذا ذكر
اصحابي فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه الى اخر السورة وقال والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الاية وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا القاضي ابو علي نا
ابو الحسين وابو الفضل بن خيرون نا ابو يعلى نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب المروزي نا الحسن
بن الصباح نا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن
حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي
كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم

فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن
آذى الله يوشك ان يأخذه وقال لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد
احدهم ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل
الله منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث جابر ان الله اختار اصحابي
على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا
فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد
ابغضني قال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق
ونزع باية الحشر والذين جاءوا من بعدهم الاية وقال من غاظه اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا
فيه نجا الصدق وحب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايوب السختياني من احب
ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور
الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع منافق مخالف للسنة و
السلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه لهم
سليما وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي
بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وعن طلحة والزبير
وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان الله قد غفر لاهل
بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم
بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيامة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران عمر بن عبد العزيز افضل
من معاوية فغضب وقال لا يقاس احد باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم معاوية صاحبه
وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل

عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال عليه الصلوة والسلام فی الانصار اعفوا عن
مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظونی فی اصحابی واصهاری فانه من حفظنی فيهم حفظه
الله فی الدنيا والاخرة ومن لم يحفظنی فيهم تخلی الله عنه ومن تخلی الله عنه يوشك ان ياخذه
وعنه عليه الصلوة والسلام انه قال من حفظنی فی اصحابی كنت له حافظا يوم القيامة و
قال من حفظنی فی اصحابی ورد علی الحوض ومن لم يحفظنی فی اصحابی لم يرد علی الحوض ولم يرنی
الا من بعيد قال مالك هذا النبی عليه الصلوة والسلام مودب الخلق الذی هدانا الله به
وجعله رحمة للعالمين يخرج فی جوف الليل الی البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك
امره الله تعالی وامر النبی بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروی عن كعب ليس احد
من اصحاب محمد الا له شفاعة يوم القيامة وطلب رجل من المغيرة بن نوفل ان يشفع له
يوم القيامة قال سهل بن عبد الله التستری لم يومن بالرسول من لم يوقر اصحابه و
لم يعز اوامره صلی الله عليه وسلم فصل ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه
واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه الصلوة والسلام
او عرف به وروی عن صفية بنت نجدة قالت كان لابی محذورة قصة فی مقدم راسه
اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذی يحلقها وقد مسها
رسول الله صلی الله عليه وسلم بيده وكانت فی قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره
صلی الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته فی بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب
النبی صلی الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته
من شعر النبی صلی الله عليه وسلم لئلا اسلب بركتها وتقع فی ايدی المشركين ورئی ابن عمر
واضعا يده علی مقعد النبی صلی الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها علی وجهه ولهذا كان
مالك رحمه الله تعالی لا يركب دابة بالمدينة وكان يقول استحيی من الله ان اطا تربة فيها
رسول الله صلی الله عليه وسلم بحافر دابة وروی انه وهب للشافعی كراعا كثيرا كان عنده فقال

الى التلعقى مسك منهادانه فلما به بنل اهذ للرواب قد حكى ابو عبد الرحمن السلمى عن الشيخ ابى الحسين بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية يضرب ثلاثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه عليه الصلوة والسلام قال في المدينة من احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكى ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال عليه الصلوة والسلام من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل باكيا منشدا

نظم

ولما راينا رسم من لم يدع لنا	فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة	لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وحكى عن بعض المريدين رضي الله عنهم انه لما اشرف على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم انشا يقول متمثلا

نظم

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر	قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا	فظهورهن على الرحال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى	فلها علينا حرمة وذمام

وحكى عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق لا ياتي الى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي قال القاضي رضي الله عنه وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من

دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما انتشر مدارس اياتٍ ومساجد صلوت ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدراتها وانشد نظم

يا دار خير المرسلين ومن به	هدى الانام وخص بالايات
عندى لاجلك لوعة وصبابة	وتشوق متوقد الجمرات
وعلى عهد ان ملأت محاجرى	من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن مصون شيبى بينها	من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادى والاعادى زرتها	ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن ساهدى من حفيل تحيتى	لقطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة	تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكى الصلوات	ونوامى التسليم والبركات

الباب الرابع

فى حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى ان الله وملئكته يصلون على النبى يايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ۝ قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبى وقيل ان الله يترحم على النبى وملائكته يدعون له قال المبرد اصل الصلوة الترحم فهى من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله وقد ورد فى الحديث صفة صلوة الملائكة على من جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيرى الصلوة من الله تعالى لمن دون النبى صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبى صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلوة الله ثناءه عليه عند الملائكة وصلوة الملائكة الدعاء قال القاضى ابو الفضل وقد فرق

النبي صلى الله عليه وسلم حيث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل على
انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه
الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا
ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام
عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك ومعك وتكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة
والثاني السلام على حفظك ورعايتك متولٍّ له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم
الله تعالى الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فصل اعلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض
على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب
واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله
فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة
له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي
ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض
عليه ان يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض
الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب
ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم
من اهل العلم الى ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان
لا يتعين في الصلوة وان من صلى عليه مرة واحدة في عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب
الشافعي الفرض منها الذي امر الله به ورسوله عليه الصلوة والسلام هو في الصلوة وقالوا
واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلوة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري و

الطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة على ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخر وقبل السلام فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم يجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلوة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزئة في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جل اهل العلم وحكي عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد الاخير مسيء وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلوة الاعادة واوجب اسحاق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن المواز ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلوة وقاله محمد بن الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن مواز يراها فريضة في الصلوة كقول الشافعي وحكى ابو يعلى العبدي المالكي ان المذهب فيها ثلاثة اقوال في الصلوة الوجوب والسنة والندب وقد خالف الخطابي من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسئلة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه في هذه المسئلة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي

صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن أبي سعيد وقال ابن عمر كان
أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه أيضا على المنبر عمر بن الخطاب
وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة أو لمن لم يصل علي في عمره مرة وضعف
أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث أبي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه وقد روي موقوفا من قبل ابن مسعود
قال الدارقطني الصواب أنه قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم أصل فيها
على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم وروايته عن أبي جعفر جابر
الجعفي وهو ضعيف **فصل** في المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي
أبو علي رحمه الله تعالى بقراءتي عليه قال نا الإمام أبو القاسم البلخي نا الفارسي عن أبي القاسم
الخزاعي عن أبي سعيد الهيثم بن كليب عن أبي عيسى الحافظ قال نا محمود بن غيلان نا عبد الله بن
يزيد المقرئ نا حيوة بن شريح نا أبو هانئ الخولاني أن عمرو بن مالك الجنبي أخبره أنه سمع فضالة
بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره إذا صلى أحدكم
فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء و
يروى من غير هذا السند بتحميد الله وهو أصح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الدعاء
والصلاة معلق بين السماء والأرض لا يصعد إلى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله
عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد
وروي أن الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود
إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم يسأل فإنه أجدر أن ينجح وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب
شربه او الى الوضوء توضأ والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه واخره وقال ابن
عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته
طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة
والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه عن الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته
الاسحار واسبابه الصلوة على محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلوتين لا يرد
وفي حديث اخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلوة على صعد الدعاء وفي دعاء
ابن عباس رضي الله عنه الذي رواه عنه حنش فقال في اخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم فتقول اللهم اني اسئلك ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك
افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين امين ومن مواطن الصلوة عليه عند ذكره وسماع
اسمه او كتابه او عند الاذان وقد قال عليه الصلوة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل
علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب
وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما
الا الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله
على محمد لم يكن تسمية له مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل الصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة عليه
يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة والسلام عليه دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعلى اله ويبارك عليه وعلى اله ويسلم
تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل
موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم
تحية من عند الله مباركة طيبة قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله تعالى

وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته وقال ابن عباس
المراد بالبيوت ههنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة قال اذا دخلت
المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب
اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه عليه الصلوة والسلام كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر
بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم والاختلاف في الفاظه
ومن مواطن الصلوة عليه ايضا الصلوة على الجنائز وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن
من مواطن الصلوة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى اله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند ولاية بني هاشم
فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم بها ايضا الكتب وقال عليه الصلوة والسلام
من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن
السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلوة حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرئ
الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمة بنت محمد بن حاتم قالت نا ابو الهيثم نا ابو يوسف نا محمد بن اسمعيل
نا ابو نعيم نا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله و
بركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد لله صالح
في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد وقد روى مالك عن ابن
عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان
يسلم بمثل هذا قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عائشة وابن عمر رضي الله
عنهما انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام

علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان عند سلامه كل عبد
صالح في السماء والارض من الملائكة وبني ادم والجن قال مالك في المجموعة واحب للمأموم اذا سلم
امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم **فصل** في كيفية الصلوة عليه والتسليم حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر
الفقيه بقراءتي عليه نا القاضي ابو الاصبغ نا ابو عبد الله بن عتاب نا ابو بكر بن واقد وغيره
نا ابو عيسى نا عبيد الله نا يحيى نا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن
سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال
قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وازواجه
وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري
قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على
آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل
على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك
حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وفي رواية
ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله
التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا نا ابو عبد الله
ابن سعدون الفقيه نا ابو بكر المطوعي قال نا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ
عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي
بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال عدهن
في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند رب العزة
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد

وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي قال كان علي يعلمنا الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ جيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك لطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وابهج موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنئات له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم ومنه ايضا في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وملئكته يصلون على النبي الاية لبيك اللهم ربي وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام

المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام
وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام
المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما
محمودا يغبطه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وال ابراهيم انك
حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وال ابراهيم انك حميد مجيد
كان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل
اللهم صل على محمد وعلى اله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره
وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن
عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا واته سؤله في الاخرة
والاولى كما اتيت ابراهيم وموسى وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سألك
واعط محمدا افضل ما سألك لنفسه واعط محمدا افضل ما انت مسؤل له الى يوم القيامة وعن ابن مسعود
انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلوة عليه فانكم لا تدرون
لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة
اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على
ابراهيم انك حميد مجيد ومما يؤثر في تطويل الصلوة وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم كثير
قوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد علي رضي الله عنه السلام على
نبي الله السلام على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب

تشهد ومن تشهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا
وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
فجاء في هذا الحديث عن علي الدعاء للنبي عليه الصلوة والسلام بالغفران وفي حديث الصلوة عليه
ايضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب
ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلوة
والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالمغفرة والرحمة وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد في الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم وآل ابراهيم ولم يأت هذا
في حديث صحيح وحجته قوله عليه الصلوة والتسليم في السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته **فصل** في فضيلة الصلوة والتسليم عليه والدعاء له صلى الله عليه وسلم

حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه نا القاضي يونس بن مغيث نا ابو بكر بن معاوية
نا النسائي نا سويد بن نصر نا عبد الله بن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع
عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي مرة
واحدة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد
الله تعالى وارجو ان اكون انا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى انس بن
مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلوة صلى الله عليه عشر صلوات وحط
عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه عليه
الصلوة والسلام ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك مرة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر
درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه الصلوة والسلام لقيت جبريل فقال لي
اني ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه
من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب

سمعت النبی صلی الله علیه وسلم یقول من قال اللهم صل علی محمد وانزله المنزل المقرب عندك یوم القیامة وجبت له شفاعتی وعن ابن مسعود اولی الناس بی یوم القیامة اکثرهم علی صلوة وعن ابی هریرة عنه علیه الصلوة والسلام من صلی علی فی کتاب لم تزل الملائکة تستغفر له ما بقی اسمی فی ذلك الکتاب وعن عامر بن ربیعة سمعت النبی صلی الله علیه وسلم یقول من صلی علی صلوة صلت علیه الملائکة ما صلی علی فلیقلل من ذلك عبد او لیکثر وعن ابی بن کعب کان رسول الله صلی الله علیه وسلم اذا ذهب ربع اللیل قام فقال یا ایها الناس اذکروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فیه فقال ابی بن کعب یا رسول الله انی اکثر الصلوة علیك فکم اجعل لك من صلوتی فقال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خیر قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خیر قال الثلثین قال ما شئت وان زدت فهو خیر قال یا رسول الله فاجعل صلوتی کلها لك قال اذا تکفی همك ویغفر ذنبك وعن ابی طلحة دخلت علی النبی صلی الله علیه وسلم فرأیت من بشره وطلاقته مالم اره قط فسألته فقال وما یمنعنی وقد خرج جبرئیل انفا فاتانی ببشارة من ربی ان الله تعالی بعثنی الیك ابشرك انه لیس احد من امتك یصلی علیك الا صلی الله علیه وملائکته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال علیه الصلوة والسلام من قال حین یسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة ات محمد الوسیلة والفضیلة وابعثه مقاما محمودا الذی وعدته حلت له الشفاعة یوم القیامة وعن سعد بن ابی وقاص من قال حین یسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شریك له وان محمدا عبده ورسوله رضیت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دینا غفرله وروی ابن وهب ان النبی صلی الله علیه وسلم قال من سلم علی عشرا فکانما اعتق رقبة وفی بعض الاثار لیردن علی اقوام ما اعرفهم الا بکثرة صلوتهم علی وفی اخر ان انجاکم یوم القیامة من اهوالها ومواطنها اکثرکم علی صلوة وعن ابی بکر الصدیق رضی الله عنه الصلوة علی النبی صلی الله علیه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام علیه افضل من

من عتق الرقاب صلى الله عليه وسلم فقط باب في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكر
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا نا ابو يعلى
نا السنجي نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى نا احمد بن ابراهيم الدورقي نا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن
اسحق عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل
ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل
ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي حديث
آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال امين ثم صعد فقال امين ثم صعد فقال
امين فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل عليه السلام اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه
فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل امين فقلت امين وقال فيمن ادرك رمضان
فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي
بن ابي طالب رضي الله عنه عنه عليه الصلوة والسلام انه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل
علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده
فلم يصل علي اخطئ طريق الجنة وعن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القاسم صلى الله
عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى الله
عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة من
نسي الصلوة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه عليه الصلوة والسلام من الجفاء ان
اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر بن عبد الله عنه عليه الصلوة والسلام ما جلس قوم
مجلسا ثم تفرقوا على غير صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة
وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي
صلى الله عليه وسلم الا كانت عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى ابو

الترمذی عن بعض اهل العلم قال اذا صلی الرجل علی النبی صلی اللہ علیہ وسلم مرۃ فی المجلس اجزأ عنہ ما کان فی ذلک المجلس صلی اللہ علیہ وسلم **فصل** فی تخصیصہ علیہ الصلوٰۃ والسلام بتبلیغ صلوٰۃ من صلی علیہ او سلم من الانام حدثنا القاضی ابو عبد اللہ التمیمی نا الحسین بن محمد نا ابو عمر الحافظ نا ابن عبد المؤمن نا ابن داسۃ نا ابو داود نا ابن عوف نا المقرئ نا حیوۃ عن ابی صخر حمید بن زیاد عن یزید بن عبد اللہ بن قسیط عن ابی ہریرۃ ان رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قال ما من احد یسلم علی الا رد اللہ علی روحی حتی ارد علیہ السلام وذکر ابو بکر بن ابی شیبۃ عن ابی ہریرۃ قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم من صلی علی عند قبری سمعتہ ومن صلی علی نائیا بلغتہ وعن ابن مسعود ان للہ ملائکۃ سیاحین فی الارض یبلغونی عن امتی السلام ونحوہ عن ابی ہریرۃ وعن ابن عمر اکثروا من السلام علی نبیکم کل جمعۃ فانہ یؤتی بہ منکم فی کل جمعۃ وفی روایۃ فان احدا لا یصلی علی الا عرضت صلوٰتہ علی حین یفرغ منہا وعن الحسن عنہ علیہ الصلوٰۃ والسلام حیث ما کنتم فصلوا علی فان صلوٰتکم تبلغنی وعن ابن عباس لیس احد من امۃ محمد صلی اللہ علیہ وسلم یسلم علیہ ویصلی علیہ الا بلغہ وذکر بعضہم ان العبد اذا صلی علی النبی صلی اللہ علیہ وسلم عرض علیہ اسمہ وعن الحسن بن علی اذا دخلت المسجد فسلم علی النبی صلی اللہ علیہ وسلم فان رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قال لا تتخذوا بیتی عیدا ولا تتخذوا بیوتکم قبورا وصلوا علی حیث کنتم فان صلوٰتکم تبلغنی حیث کنتم وفی حدیث اوس اکثروا علی من الصلوٰۃ یوم الجمعۃ فان صلوٰتکم معروضۃ علی وعن سلیمان بن سحیم رأیت النبی صلی اللہ علیہ وسلم فی النوم فقلت یا رسول اللہ ہؤلاء الذین یأتونک فیسلمون علیک أتفقہ سلامہم قال نعم وارد علیہم وعن ابن شہاب قال بلغنا ان رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قال اکثروا علی من الصلوٰۃ فی اللیلۃ الزہراء والیوم الازہر فانہما یؤدیان عنکم وان الارض لا تاکل اجساد الانبیاء وما من مسلم یصلی علی الا حملہا ملک حتی یؤدیہا الی ویسمیہ حتی انہ لیقول ان فلانا یقول کذا وکذا **فصل** فی الاختلاف فی الصلوٰۃ علی غیر النبی

صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام قال القاضي ابو الفضل وفقه الله عامة اهل العلم متفقون على
جواز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس انه لا يجوز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي
عنه لا تنبغي الصلوة على احد الا النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان
يصلى على احد من الانبياء سوى محمد عليه الصلوة والسلام وهذا غير معروف من مذهبه و
قد قال مالك في المبسوط ليحيى بن اسحق اكره الصلوة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى
ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا بأس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج
بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلوة عليه وفيه وعلى ازواجه
وعلى آله وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفاسي روي عن ابن عباس كراهة الصلوة على
غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فان الله
بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم
والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي
عليكم وملائكته الآية وقال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية وقال
تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على
آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلوة اللهم
صل على محمد وعلى ازواجه وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل آل بيته
وقيل الاتباع والرهط والعشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت
عليهم الصدقة وفي رواية انس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي
ويجيء على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد محمد نفسه فانه كان يقول في صلاته على النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه لانه كان لا يخل
بالفرض ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله به هو الصلوة على محمد نفسه وهذا مثل قوله

عليه الصلوة والسلام لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود وفي حديث
أبي حميد الساعدي في الصلوة اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته وفي حديث ابن عمر أنه كان
يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى الأندلسي
والصحيح من رواية غيره ويدعو لأبي بكر وعمر وروى ابن وهب عن أنس بن مالك كنا ندعو لأصحابنا
بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم أبرار الذين يقومون بالليل
ويصومون بالنهار قال القاضي وفقه الله تعالى والذي ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله
مالك وسفيان رحمهما الله تعالى وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء
والمتكلمين أنه لا يصلى على غير الأنبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الأنبياء توقيرا لهم
وتعزيرا كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشارك فيه غيره كذلك
يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء بالصلوة والتسليم ولا يشارك
فيه سواهم كما أمر الله به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الأئمة و
غيرهم بالغفران والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا
بالإيمان الآية وقال والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم وأيضا فهو أمر لم يكن معروفا في الصدر
الأول كما قال أبو عمران وإنما أحدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الأئمة فشاركوهم عند
الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وأيضا فإن التشبه
بأهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلوة على الآل والأزواج
مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والإضافة إليه لا على التخصيص قالوا وصلوة
النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم
والتوقير قالوا وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك
يجب أن يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الإمام أبي المظفر الإسفرايني
من شيوخنا وأبي عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى **فصل** في حكم زيارة قبره عليه الصلوة

السلام وفضل من زاره وسلم عليه كيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه الصلوة والسلام
سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي حدثنا القاضي ابو علي نا ابو الفضل بن خيرون
نا الحسين بن جعفر نا ابو الحسن علي بن عمر الدارقطني نا القاضي المحاملي نا محمد بن عبد الرزاق نا
موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فذكره وعن انس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيامة
وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله
عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله عليه الصلوة و
السلام لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار
قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا
ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم
ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى قال ابو عمر وانما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي
صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله
عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ واحب ان يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم
وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد الرحال الى قبره صلى الله عليه وسلم يريد
بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافته
الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله
عليه الصلوة والسلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا
قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة
وحسما للباب والله اعلم قال اسحق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة
والقصد الى الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره

وعليه وبالامس يده ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبرائيل الوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية ان الله وملئكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقرأه مني السلام قال غيره كان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رايت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على راسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رايته مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي حفص ثم ينصرف وروي واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه وعن ابن قسيط العتبي كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا خلا المسجد جسوا برمانة المنبر التي على القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعو لابي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعو

النبي صلى الله عليه وسلم يليه الصلاة ولأبي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الحلاب وقال
ابن حبيب ويقول إذا دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله السلام عليك
السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك
واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد إلى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر واركع فيها ركعتين
قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما وتسأله تمام ما خرجت إليه والعون عليه وإن كانت ركعتاك
في غير الروضة أجزأتاك وفي الروضة أفضل وقد قال عليه الصلاة والسلام ما بين بيتي و
منبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا
فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو لهما وأكثر من الصلاة في مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء قال مالك في
كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك
قال محمد وإذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب
عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
إذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب
رحمتك وإذا خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
أبواب فضلك وفي رواية أخرى فليسلم مكان فليصل فيه ويقول إذا خرج اللهم إني أسألك
من فضلك وفي أخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم وعن محمد بن سيرين قال كان
الناس يقولون إذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك أيها النبي ورحمة
الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون إذا خرجوا مثل
ذلك وعن فاطمة أيضا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال صلى الله عليه وسلم
ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لى ابواب رحمتك ويسر لى ابواب رزقك وعن ابى هريرة
اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبى صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لى وقال مالك فى
المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء
وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم
فيصلى عليه ويدعو له ولابى بكر وعمر فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر
ولا يريدونه يفعلون ذلك فى اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا فى الجمعة او فى الايام المرة او
المرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغنى هذا عن احد من اهل الفقه
ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغنى عن اول هذه الامة
وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القاسم ورايت
اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيى قال الباجى ففرق
بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من
اجل القبر والتسليم وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم
اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبرى عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندى فيمن
وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفى العتبية يبدأ بالركوع قبل
السلام فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبى صلى الله عليه
وسلم حيث العمود المخلق واما فى الفريضة فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب الى من
التنفل فى البيوت والله اعلم فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم من
الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلوة فيه وفى مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل
سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه
روى ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل اى مسجد هو قال مسجدى هذا وهو قول ابن المسيب
وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم وعن ابن عباس انه مسجد قباء حدثنا

هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه نا الحسين بن محمد الحافظ نا ابو عمر النمري نا ابو محمد بن عبد
المؤمن نا ابو بكر بن داسة نا ابو داود نا مسدد نا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام و
مسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت الآثار في الصلوة والتسليم على النبي صلى الله عليه
وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم
وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن
انت فقال رجل من ثقيف فقال لو كنت من هاتين القريتين لأدبتك ان مسجدنا لا يرفع فيه
الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان
ينزه عما يكره قال القاضي ابو الفضل حكى ذلك كله القاضي اسماعيل في مبسوطه في باب
فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد
هذا الحكم قال القاضي اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلوتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره
رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة رضي الله عنه
عليه الصلوة والسلام صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في
المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة
اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلوة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الصلوة
في سائر المساجد بالف صلوة الا المسجد الحرام فان الصلوة في مسجد الرسول عليه الصلوة و
السلام افضل من صلوة فيه بدون الالف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
صلوة في المسجد الحرام خير من مائة صلوة فيما سواه فتأتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله

عليه وسلم عليه بتسعمائة وعلى غيره بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه
وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل
مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب اصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا
الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة في المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث
عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلوة في المسجد
الحرام افضل من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلوة وروى قتادة مثله فيأتي فضل الصلوة
في المسجد الحرام على هذا على الصلوة في سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان موضع
قبره افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم
مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما
هو في صلوة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة
خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة
وغيرها حديثا نحوه وقال عليه الصلوة والسلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض
الجنة ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد وزادا ومنبري على حوضي وفي حديث اخر ومنبري على ترعة
من ترع الجنة وقال الطبري فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع
انه روي ما بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم
في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني
الروايات ولم يكن بينها خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل
يحتمل ان منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو الظاهر والثاني ان يكون له هناك منبر والثالث
ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب
منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك
وان الدعاء والصلوة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف

والثانی ان تلک البقعة قد ینقلها الله فتکون فی الجنة بعینها قاله الداودی وروی ابن عمر و جماعة من الصحابة ان النبی صلی الله علیه وسلم قال فی المدینة لا یصبر علی لاوائها وشدتها احد الا کنت له شهیدا او شفیعا یوم القیامة وقال فیمن تحمل عن المدینة والمدینة خیر لهم لو کانوا یعلمون وقال انما المدینة کالکیر تنفی خبثها وینصع طیبها وقال لا یخرج احد من المدینة رغبة عنها الا ابدلها الله خیرا منه وروی عنه علیه الصلوة والسلام انه قال من مات فی احد الحرمین حاجا او معتمرا بعثه الله یوم القیامة لا حساب علیه ولا عذاب وفی طریق آخر بعث من الآمنین یوم القیامة وعن ابن عمر من استطاع ان یموت بالمدینة فلیمت بها فانی اشفع لمن یموت بها وقال تعالی ان اول بیت وضع للناس للذی ببکة مبارکا الآیة الی قوله آمنا قال بعض المفسرین آمنا من النار وقیل کان یامن من الطلب من احدث حدثا فی الجاهلیة ولجأ الیه وهذا مثل قوله تعالی واذ جعلنا البیت مثابة للناس وامنا علی قول بعضهم وحکی ان قوما اتوا سعدون الخولانی بالمنستیر فاعلموه ان کتامة قتلوا رجلا واضرموا علیه النار طول اللیل فلم تعمل فیه وبقی ابیض البدن فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادی فرضه ومن حج ثانیة داین ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره و بشره علی النار ولما نظر رسول الله صلی الله علیه وسلم الی الکعبة قال مرحبا بک من بیت ما اعظمک واعظم حرمتک وفی الحدیث عنه علیه الصلوة والسلام ما من احد یدعو الله عند الرکن الاسود الا استجاب الله له وکذلک عند المیزاب وعنه علیه الصلوة والسلام من صلی خلف المقام رکعتین غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر یوم القیامة من الآمنین قال الفقیه القاضی ابو الفضل قرأت علی القاضی الحافظ ابی علی رحمه الله حدثنا ابو العباس العذری قال نا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروی نا الحسن بن رشیق قال سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد یقول سمعت ابا بکر محمد بن ادریس یقول سمعت الحمیدی قال سمعت سفیان بن عیینة قال سمعت عمرو بن دینار قال سمعت ابن عباس یقول

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي وقال سفيان وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي قال الحميدي وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله تعالى في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن بن راشد وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة وما اذكر ان الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الآخرة قال العذري وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وانا ارجو الله تعالى من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها قال القاضي ابو الفضل ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله تعالى الموفق للصواب

القسم الثالث

فيما يجب للنبي عليه الصلاة والسلام وما يستحيل او يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية وقال تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقال تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء من البشر ارسلوا الى البشر

ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخالطتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون اى لما كان الا فى صورة البشر الذين يمكنكم مخالطتهم اذ
لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال قل لو كان فى الارض
ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اى لا يمكن فى سنة الله تعالى
ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء
والرسل فالانبياء والرسل وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده
ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم
وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الاعراض والاسقام والفناء
والموت ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة
بالملأ الاعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية
ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن
الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالطتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم
وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه
مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن
جهة الارواح والبواطن مع الملائكة كما قال عليه الصلوة والسلام لو كنت متخذا من امتى
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام
عيناى ولا ينام قلبى وقال انى لست كهيئتكم انى اظل يطعمنى ربى ويسقينى فبواطنهم منزهة عن
الآفات مطهرة عن النقائص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفى بمضمونها كل ذى همة بل الاكثر
يحتاج الى بسط وتفصيل على ما نأتى به بعد هذا فى البابين بعون الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل

الباب الاول

فيما يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة نبينا محمد عليه الصلوة و
السلام وسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام قال القاضى ابو الفضل رحمه الله اعلم ان الطوا

من التغيرات والآفات على أجساد البشر لا يخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد واختيار كالأمراض والأسقام أو تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى ثلاثة أنواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه إن شاء الله تعالى فيما نأتي به من التفاصيل والله المستعان

فصل

في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله وإياك توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله تعالى وصفاته والإيمان به وبما أوحى الله إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع إجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول إبراهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي إذ لم يشك إبراهيم في إخبار الله تعالى له بإحياء الموتى ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء فحصل له العلم الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني أن إبراهيم عليه السلام إنما أراد اختبار منزلته عند ربه وعلم إجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله أولم تؤمن أي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث أنه سأل ربه زيادة يقين وقوة طمأنينة وإن لم يكن في الأول شك إذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فأراد الانتقال من النظر أو الخبر إلى المشاهدة والترقي من علم اليقين إلى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع أنه لما احتج على المشركين بأن ربه تعالى يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا

الوجه الخامس قال بعضهم هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن
قلبي عن هذه الامنية الوجه السادس انه ارى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد
قربه وقول نبينا عليه السلام نحن احق بالشك من ابراهيم نفي لان يكون ابراهيم شك و
ابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابراهيم اي نحن موقنون بالبعث واحياء الله الموتى فلو
شك ابراهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب او ان يريد امته الذين يجوز عليهم
الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابراهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه
فان قلت فما معنى قوله فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الآيتين
فاحذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس وغيره
من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه
جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير و
الحسن وحكى قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسأل وعامة المفسرين على
هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ الآية قالوا وفي
السورة نفسها ما دل على هذا التأويل قوله قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي
وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ
الآية والخطاب له والمراد غيره ومثله فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ ونظيره كثير قال بكر بن
العلاء الا تراه يقول وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وهو عليه السلام كان
المكذَّب فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب
غيره ومثل هذه الآية قوله الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا المأمور هاهنا غير النبي صلى الله عليه وسلم
ليسأل النبي صلى الله عليه وسلم والنبي عليه الصلاة والسلام هو الخبير المسئول لا المستخبر السائل وقيل ان هذا الشك
الذي امر غير النبي بسؤال الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه الله تعالى من اخبار الامم لا فيما
دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا

الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قال القتبي وقيل معناه سلنا
عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون
على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسال الانبياء
ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فيروى انه قال لا أسأل
قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد
والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله اعلامه بما بعثت به الرسل صلوات
الله عليهم وانه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه
منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا
بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر في اول الآية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترى
يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الآية أفغير الله ابتغي حكما الآية وان
النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فاسأل تزدد طمأنينة
وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت في شك فيما شرفناك وفضلناك به فاسألهم عن
صفتك في الكتب ونشر فضائلك وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من
غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة
التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل
بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيئسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم
وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل
وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا
بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء

[illegible] أورد في حديث البدء ومبدأ الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه
الشك فيما آتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي أن لا تحتمل قوته مقاومة الملك وأعباء
الوحي فينخلع قلبه أو تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح أنه قاله بعد لقائه الملك أو يكون
ذلك قبل لقائه الملك وإعلام الله تعالى له بالنبوة لأول ما عرضت عليه من العجائب
وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث أن
ذلك كان أولاً في المنام ثم أري في اليقظة مثل ذلك تأنيساً له عليه الصلوة والسلام لئلا
يفجأه الأمر مشافهة ومشاهدة فلا يحتمله لأول حالة بنية البشرية وفي الصحيح عن عائشة
أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب إليه
الخلاء وقالت حتى جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس مكث النبي صلى الله
عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئاً وثمان
سنين يوحى إليه وقد روى ابن إسحاق عن بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال و
ذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وأنا نائم فقال اقرأ فقلت ما أقرأ وذكر نحو حديث عائشة
في غطه له وإقرائه اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي فكأنما
صورت في قلبي ولم يكن أبغض إلي من شاعر أو مجنون ثم قلت لا تحدث عني قريش بهذا
أبداً لأعمدن إلى حالق من الجبل فلأطرحن نفسي منه فلأقتلنها فبينما أنا عامد لذلك
إذ سمعت منادياً ينادي من السماء يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي
فإذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا أن قوله لما قال وقصده
لما قصد إنما كان قبل لقاء جبريل عليهما السلام وقبل إعلام الله تعالى له بالنبوة و
إظهاره واصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل أنه عليه الصلوة والسلام
قال لخديجة إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله أن يكون هذا لأمر ومن رواية
حماد بن سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة إني لأسمع صوتاً وأرى ضوءاً

واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث ان الابعد

شاعر او مجنون والفاظ يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما راٰه وانه كان كله في ابتداء

امره وقبل لقاء الملك له واعلام الله له انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح

طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك

فيما القي اليه وقد روى ابن اسحاق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

يرقى عليه من العين قبل ان ينزل عليه فلما انزل عليه القراٰن اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت

له خديجة اوجه اليك من يرقيك فقال اما الآن فلا وحديث خديجة واختبارها امر جبريل

بكشف رأسها الحديث انما ذلك في حق خديجة لتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وان الذي يأتيه ملك ويزول الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ولتختبر

هو حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه

عن عائشة ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك وفي حديث اسماعيل بن ابي حكيم انها

قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك

قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث الى آخره وفيه فقالت

ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وآمنت به فهذا يدل على انها مستثبتة

بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة

الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس

شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته

ولا من حدث به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة

النبي صلى الله عليه وسلم مع انه يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما احرجه

من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث

اسفا ويصحح معنى هذا التاويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن

عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شان النبي صلى الله عليه وسلم
واتفق رأيهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد عليه ذلك فتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبرئيل
فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر وخاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان تكون عقوبة
من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد نهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس
عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب في قوله تعالى في يونس
فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه
مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه
ما اصابه قد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد
معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي ان يجهل صفة من
صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم هو قول ابن عباس
والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله تعالى كفر لا يليق
بالمؤمنين فكيف بالانبياء وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد
في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله تعالى به على لسان نبي آخر فقال له
يونس غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان ارسال يونس عليه السلام ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الآية بقوله تعالى فنبذناه
بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ويستدل
ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين
فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله عليه الصلوة والسلام انه
ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة
فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه الصلوة
والسلام بل اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السماء

وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره الغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق
الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه
مائة مرة او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر
الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات
قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه
وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي
والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في هذا كله في طاعة
ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله تعالى مكانة واعلاهم
درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله
بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه رأى عليه الصلوة والسلام حال فترته عنها و
شغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى
وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه فيه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب
ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات و
الغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة
المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه في
حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته عليه الصلوة
والسلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قال وقد يكون الغين هنا على
قلبه السكينة التي تغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره عليه
الصلوة والسلام عندها اظهارا للعبودية والافتقار قال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا
تعريف للامة يحملهم على الاستغفار قال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن و
قد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله تعالى

وملازمة لعبوديته كما قال فى ملازمة العبادة أفلا أكون عبدًا شكورًا وعلى هذا الوجه
الاخيرة يحمل ما روى فى بعض طرق هذا الحديث عنه عليه الصّلوة والسّلام إنه ليغان على
قلبى فى اليوم اكثر من سبعين مرّة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه الصلوة
والسّلام وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدٰى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجٰهِلِيْنَ وقوله تعالى لنوح فَلَا تَسْئَلْنِ
مَا لَيْسَ لَكَ بِهٖ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَنْ تَكُوْنَ مِنَ الْجٰهِلِيْنَ فاعلم انه لا يلتفت فى ذلك الى قول من
قال فى اية نبينا عليه الصّلوة والسّلام لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفى اية
نوح لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ اذ فيه اثبات الجهل بصفة
من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا فى امورهم
بسمات الجاهلين كما قال إنى أعظك وليس فى اية منهما دليل على كونهم على تلك الصفة التى نهاهم
عن الكون عليها فكيف واية نوح قبلها فَلَا تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهٖ عِلْمٌ فحمل ما بعدها على ما
قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد تجوز اباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه
الله ان يسأله عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله
نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله إِنَّهٗ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهٗ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ حكى معناه مكى كذلك
امر نبينا فى الاية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال
الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد اى فلا تكونوا
من الجاهلين حكاه ابو محمد مكى وقال مثله فى القرآن كثير فبهذا الفضل وجب القول
بعصمة الانبياء عليهم الصّلوة والسّلام منه بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم
من هذا وانه لا يجوز عليهم شئ من ذلك فما معنى اذًا وعيد الله لنبينا عليه الصّلوة
والسّلام على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله تعالى لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ الاية
وقوله وَلَا تَدْعُ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ الاية وقوله إِذًا لَّأَذَقْنٰكَ ضِعْفَ
الْحَيٰوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ الاية وقوله لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِيْنِ وقوله وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِى الْأَرْضِ يُضِلُّوْكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ

وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله
يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك انه عليه الصلوة والسلام
لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك به ولا ان يتقول على الله ما لا يجب
او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن الله تعالى يسر امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ
للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله تعالى والله يعصمك من الناس
كما قال عز وجل لموسى وهارون عليهما السلام لا تخافا لتشتد بصائرهم في الابلاغ واظهار
دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض
الاقاويل الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا و
جزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض
فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك
وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذا حال من اشرك والنبي
عليه الصلوة والسلام لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه
اطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية
وما كان طردهم وما كان من الظالمين فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة
فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله تعالى وصفاته
والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه
النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق نور المعارف ونفحات
الطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل
احد من اهل الاخبار ان احدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند
هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول
ان قريشا قد رمت نبينا عليه الصلوة والسلام بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها

بل لو امكن لنقلته مما انص الله عليه ونقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك
تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان
لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان
يعبد قبل أفظع وأقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم
من قبل ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلا إليه إذ لو كان
لنقل ولما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا
عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وقوله وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ
الى قوله لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قال فطهره الله في الميثاق وبعيد ان يأخذ منه الميثاق قبل
خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك
او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد
أتاه جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله
وملأه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدأ ولا يشبه عليك بقول ابراهيم في
الكوكب والقمر والشمس هٰذَا رَبِّي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر
والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى
انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد
الانكار والمراد أهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال تعالى أَيْنَ شُرَكَائِيَ اي
عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا أشرك بالله قط طرفة عين قول الله عز وجل عنه
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ثم قال أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ
فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ وقال إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ اي من الشرك وقوله وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ
نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ فان قلت فما معنى لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ قيل

اى انهم يؤيدني بمعونته اكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو معصوم في الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتي هذه اللفظة في كلام العرب لما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل كذلك ومثله قول الشاعر ع فعادا بعد ابوال وماكانا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري وقيل وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد قيل ضالا عن شريعتك اى لا تعرفها فهداك اليها والضلال هنا التحير ولهذا كان عليه الصلوة والسلام يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه و يتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام قال معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قال علي بن عيسى قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى اى بين امرك بالبراهين وقيل ووجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل المعنى ووجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل اى لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرأ الحسن بن علي ووجدك ضال فهدى اى اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اى محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال تعالى انك لفي ضلالك القديم اى محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله انا لنراها في ضلال مبين اى محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس الاية وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك

فهدى بك السعداء ولا احلم لمن المتحيرين قال فيها ضالا عن الايمان وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اى من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة، وقال الازهرى معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا فهدى اى ناسيا كما قال تعالى ان تضل احديهما فان قلت فما معنى قوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان والجواب ان السمرقندى قال معناه ما كنت تدرى قبل الوحى ان تقرأ القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضى نحوه قال ولا الايمان الذى هو الفرائض والاحكام قال فكان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التى لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا وهو احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله وان كنت من قبله لمن الغافلين واعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم عن اياتنا غافلون بل حكى ابو عبيد الهروى ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث الذى يرويه عثمان بن ابى شيبة بسنده عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا الحديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطنى يقال ان عثمان وهم فى اسناده والحديث فى الجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبى صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الى الاصنام وقوله فى الحديث الاخر الذى رواه ام ايمن حين كلمه عمه وآله فى حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لى رجل ابيض طويل يصيح بى وراءك لا تمسه فما شهد لهم بعد عيدا او قوله فى قصة بحيرا حين استحلف النبى صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام فى سفرته مع عمه ابى طالب وهو صبى ورأى فيه علامات النبوة فاخبره بذلك فقال له

النبی صلی الله علیه وسلم لا تسألنی عنهما فواللہ ما ابغضت شیئا قط بغضهما فقال له بحیرا فبالله الا ما اخبرتنی عما اسالك عنه فقال سل عما بدا لك وکذلك المعروف من سیرته علیه الصلوة والسلام وتوفیق الله تعالی له انه کان قبل نبوته یخالف المشرکین فی وقوفهم بمزدلفة فی الحج فکان یقف هو بعرفة لانه کان موقف ابراهیم علیه السلام **فصل** قال القاضی ابو الفضل قد بان بما قدمناه عقود الانبیاء فی التوحید والایمان والوحی وعصمتهم فی ذلك علی ما بیناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انها مملوءة علما ویقینا علی الجملة وانها قد احتوت من المعرفة والعلم بامور الدین والدنیا ما لا شیء فوقه ومن طالع الاخبار واعتنی بالحدیث وتامل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه فی حق نبینا علیه الصلوة والسلام فی الباب الرابع اول قسم من هذا الکتاب ما ینبه علی ما وراءه الا ان احوالهم فی هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنیا فلا یشترط فی حق الانبیاء العصمة من عدم معرفة الانبیاء ببعضها او اعتقادها علی خلاف ما هی علیه ولا وصم علیهم فیه اذ همتهم متعلقة بالاخرة وانبائها وامر الشریعة وقوانینها وامور الدنیا تضادها بخلاف غیرهم من اهل الدنیا الذین یعلمون ظاهرا من الحیوة الدنیا وهم عن الاخرة هم غافلون کما سنبین هذا ان شاء الله تعالی فی الباب الثانی ولکنه لا یقال انهم لا یعلمون شیئا من امر الدنیا فان ذلك یؤدی الی الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا الی اهل الدنیا وقلدوا سیاستهم وهدایتهم والنظر فی مصالح دینهم ودنیاهم وهذا لا یکون مع عدم العلم بامور الدنیا بالکلیة واحوال الانبیاء وسیرهم فی هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك کله مشهورة واما ان کان هذا العقد مما یتعلق بالدین فلا یصح من النبی صلی الله علیه وسلم الا العلم به ولا یجوز علیه جهله جملة لانه لا یخلو ان یکون حصل عنده عن وحی من الله تعالی فهو ما لا یصح الشك منه فیه علی ما قدمناه فکیف الجهل بل حصل له العلم الیقین او یکون فعل ذلك باجتهاده فیما لم ینزل

عليه فيه شيء بل القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى
حديث ام سلمة انه انما اقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه اخرجه الثقات كقصة أسرى
بدر والاذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا
وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه ممن اجاز عليه الخطأ في الاجتهاد
اي لو قام عليه دليل لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا و
لا على القول الآخر بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في
الاجتهاد في الشرعيات لان القول في تخطئة المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع
ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له
قبل هذا فيما عقد عليه النبي صلى الله عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر
النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئا فشيئا حتى استقر علم جملتها
عنده اما بوحي من الله او اذن له ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي
في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استقر علم جميعها عنده عليه الصلوة والسلام وتقررت
معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفى الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل
بشيء من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اليه اذ لا يصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق
بعقده من ملكوت السموات والارض وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى وآياته الكبرى
وامور الآخرة واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان وما يكون مما
لم يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه ولا يأخذه فيما اعلم به منه شك ولا ريب
بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من
علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله
ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول موسى للخضر هل اتبعك
على ان تعلمني مما علمت رشدا وقوله عليه الصلوة والسلام اسألك باسمائك الحسنى ما علمت

منها ومالم اعلم وقوله اسألك بكل اسم سميت به نفسك او استأثرت به في علم الغيب عندك وقد
قال تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله تعالى وهذا ما لا خفاء
فيه اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد
والشرع والمعارف الالهية والامور الدينية **فصل** واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله
عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس
وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي رحمه الله تعالى قال انا ابو الفضل بن خيرون العدل حدثنا
ابو بكر البرقاني وغيره نا ابو الحسن الدارقطني نا اسمعيل الصفار نا عباس الترقفي نا محمد بن يوسف
نا سفيان عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه من
الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد غيره
عن منصور فلا يأمرني الا بخير وعن عائشة رضي الله عنها بمعناه وروي فاسلم بضم الميم
اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي فاسلم يعني القرين انه انتقل
عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يأمر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم
فاستسلم قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط
على كل احد من بني آدم فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه و
قد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه
وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلوته فأخذه
النبي صلى الله عليه وسلم واسره ففي الصحاح قال ابو هريرة رضي الله عنه عليه الصلوة والسلام
ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلوة فامكنني
الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول
اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب فرده الله

فأما في حديث أبي الدرداء عنه عليه الصلوة والسلام انّ عدوّ الله ابليس جاء
بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة وذكر تعوّذه بالله منه و
لعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح موثقاً يتلاعب به ولدان اهل المدينة و
كذلك في حديثه في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلّمه جبريل ما يتعوّذ به منه ذكره
في الموطأ ولمّا لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبّب بالتوسّط الى عداه كقضيته مع قريش في
الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوّره في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة
يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زيّن لهم الشيطان اعمالهم الاية و
مرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه ضره وشره وقد
قال عليه الصلوة والسلام ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته
حين ولد فطعن في الحجاب وقال عليه الصلوة والسلام حين لُدّ في مرضه وقيل له خشينا ان تكون
بك ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطها عليّ فان قيل فما معنى قوله
وامّا ينزغنّك من الشيطان نزغ الاية فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله فاستعذ بالله واعرض عن الجاهلين
ثم قال واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي يستخفنّك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم
فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى انه متى تحرك
عليه غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه ما لم يجعل
له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من
التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له
الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك
دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم ان ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة
إمّا بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهر لديه لتتم كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا

لا مبدل لكلماته فإن قيل فما معنى قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا
تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية فاعلم أن الناس في معنى هذه الآية أقاويل منها السهل و
الوعث والسمين والغث وأولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين أن التمني ههنا التلاوة
وإلقاء الشيطان فيها إشغاله بخواطر وأذكار من أمور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم و
النسيان فيما تلاه أو يدخل غير ذلك على أفهام السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله
الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم آياته وسيأتي الكلام على هذه الآية بعد بأشبع من هذا إن شاء
الله تعالى وقد حكى السمرقندي إنكار قول من قال بتسليط الشيطان على ملك سليمان وغلبته
عليه وأن مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال إن الجسد هو الولد
الذي ولد له وقال أبو محمد مكي في قصة أيوب عليه السلام وقوله إني مسني الشيطان بنصب
وعذاب إنه لا يجوز لأحد أن يتأول أن الشيطان هو الذي أمرضه وألقى الضر في بدنه ولا يكون
ذلك إلا بفعل الله وأمره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقد قيل إن الذي أصابه الشيطان
ما وسوس به إلى أهله فإن قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما أنسانيه إلا الشيطان
أن أذكره وقوله تعالى عن يوسف فأنساه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه الصلاة
والسلام حين نام عن الصلاة يوم الوادي إن هذا واد به شيطان وقول موسى في وكزته هذا
من عمل الشيطان فاعلم أن هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في
وصفهم كل قبيح من شخص أو فعل بالشيطان أو فعله كما قال تعالى كأنه رؤوس الشياطين و
قال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فإنما هو شيطان وأيضا فإن قول يوشع لا يلزمنا الجواب
عنه إذ لم تثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى وإذ قال موسى لفتاه والمروي
أنه إنما نبئ بعد موت موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن
وقصة يوسف قد ذكر أنها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله فأنساه الشيطان
قولين أحدهما أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه أحد صاحبي السجن وربه الملك أي أنساه

أن يذكر ثم ملك شأن يوسف وأيضاً فإن مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلّط على يوسف ويوشع بوسوسة ونزغ وإنما هو بشغل خواطرهما بأمور أخر وتذكيرهما من أمورهما ما ينسيهما ما نسيا وأما قوله عليه الصلاة والسلام إن هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل إن كان بمقتضى ظاهره فقد بيّن أمر ذلك الشيطان بقوله إن الشيطان أتى بلالاً فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم أن تسلط الشيطان في ذلك الوادي إنما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا إن جعلنا قوله إن هذا واد به شيطان تنبيهاً على سبب النوم عن الصلاة وأما إن جعلناه تنبيهاً على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن أسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع إشكاله

فصل وأما قوله عليه الصلاة والسلام فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً أما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله تعالى صدق عبدي فيما قال اتفاقاً وبإطباق أهل الملة إجماعاً وأما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة الإجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي أبي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه إجماع المسلمين أنه لا يجوز عليه خلف في القول في إبلاغ الشريعة والإعلام بما أخبر به عن ربه وما أوحاه إليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حالي الرضى والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أكتب كل ما أسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقاً ولنزد ما أشرنا إليه من دليل المعجزة عليه بياناً فنقول إذا قامت المعجزة على

صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله تعالى الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله
تعالى صدقت فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم و
ابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر
بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق
بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحاق **فصل** وقد توجهت
ههنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ
سورة والنجم وقال افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتها لترتجى ويروى لترتضى وفي رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع
الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد
وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان
القاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه
وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل
جاءه فعرض عليه هذه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي
صلى الله عليه وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية و
قوله وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام على
مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه اما الماخذ الاول
فيكفيك ان هذا الحديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع
به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم
وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء و

النفس وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده
واختلاف كلماته فقائل يقول إنه في الصلاة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين نزلت
عليه السورة وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر يقول
إن الشيطان قالها على لسانه وإن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل عليه السلام
قال ما هكذا أقرأتك وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها
فلما بلغ النبي عليه الصلوة والسلام ذلك قال والله ما هكذا نزلت إلى غير ذلك من اختلاف
الرواة ومن حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا
رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم فيها واهية ضعيفة والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي
بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه
وسلم كان بمكة وذكر القصة قال أبو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره
يرسله عن سعيد بن جبير وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فقد بين لك
أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه
عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز
الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح
أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون و
الإنس والجن هذا توهينه من طريق النقل وأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت
الأمة على عصمته عليه الصلوة والسلام ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة قبل النبوة إما من تمنيه
أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو أن يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه
القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس
منه حتى ينبهه عليه جبريل عليهما السلام وذلك كله ممتنع في حقه عليه الصلوة والسلام

او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم
من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته عليه الصلوة والسلام من جريان الكفر
على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون
للشيطان عليه سبيل او يتقول على الله تعالى لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال الله تعالى
ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقال اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الاية

ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتيام
متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التاليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم
ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى
متامل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث انه
قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم
من اول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين
والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة
ولم يحك احد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك
لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوه مكابرة في
قصة الاسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة القضية و
لا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة
لو امكنت وما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها
واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس والجن على بعض مغفلي المحدثين
ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت وان
كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك الايتين وهاتان الايتان تردان الخبر الذي
رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته الله تعالى لكاد يركن اليهم

نص في هذا ومفهومه ان الله تعالى عصمه من ان يفترى وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف
كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وانه قال
عليه الصلوة والسلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح
فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في الآية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم
ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون
قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب واكاد اخفيها ولم يفعل قال
القشيري القاضي ولقد طالبته قريش وثقيف اذ مر بآلهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه
الايمان به ان فعل فما فعل وما كان ليفعل قال ابن الانباري ما قارب الرسول ولا ركن
وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير اخر وما ذكرناه من نص الله تعالى على عصمة رسوله يرد
سفسافها فلم يبق في الآية الا ان الله تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار
وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم
الآية واما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته
ولكن على كل حال فقد اجاب عن ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها
ما رواه قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند قراءته هذه
السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبي صلى الله
عليه وسلم مثله في حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في
نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو وقد قال عليه الصلوة و
السلام ان عيني تنام ولا ينام قلبي وفي قول الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث
نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال
وسها فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه الصلوة
والسلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم

قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم هذا ربي على احد التاويلات
وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته و
هذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره
القاضي ابو بكر ولا يعترض على هذا بما روي انه كان في الصلوة فقد كان الكلام قبل فيها
غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي في تلاوته تفصيلا
كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من
تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي عليه الصلوة والسلام بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار
فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ
السورة قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان
وعيبها ما عرف عنه وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها
وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي
صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال تعالى وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الاية فمعنى تمنى تلى قال الله تعالى لا يعلمون
الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس
به ويحكم الله آياته وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو
اذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الاية انه حدث نفسه وقال اذا تمنى اي
حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس
طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن اسقاط
آية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره
في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تاويله ايضا ان مجاهدا روى هذه

القصة وبغرانقة العلى ما ان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرآناً والمراد بالغرانيق
العلى وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة
وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم
في هذه السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة
من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم الشيطان
ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوة
تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلاً للالباس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت
تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي
من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض
والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك
فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الاية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة
وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتي بشيء من ذمها
فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا
عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل
الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم
قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الاية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن واحكم اياته
ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه الله تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون

ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه بالعذاب من ربه فلما
تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذاباً ابداً فذهب مغاضباً فاعلم اكرمك الله
ان ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلككم وانما

فيه أنه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم إن العذاب
مصبحكم وقت كذا ولو كان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى إلا قوم يونس
لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الآية وروي في الأخبار أنهم رأوا دلائل العذاب ومخايله قاله
ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فإن قلت فما معنى
ما روي من أن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا
وصار إلى قريش فقال لهم إني كنت أصرف محمدا حيث أريد كان يملي علي عزيز حكيم فأقول
أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث آخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم
اكتب كذا فيقول أكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول له اكتب عليما حكيما فيقول أكتب
سميعا بصيرا فيقول اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن أنس أن نصرانيا كان يكتب للنبي
صلى الله عليه وسلم بعد ما أسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت له فاعلم ثبتنا
الله وإياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل إلينا سبيلا أن مثل هذه
الحكاية أولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا إذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم
المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو أعظم من هذا والعجب لسليم
العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين على الله ورسوله
ولم يرد عن أحد من المسلمين ولا ذكر أحد من الصحابة أنه شاهد ما قاله وافتراه على رسول الله
وإنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون وما وقع من ذكرها في حديث أنس و
ظاهر حكايتها فليس فيه ما يدل على أنه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه
ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن أنس قال وأظن حميدا إنما سمعه
من ثابت قال القاضي أبو الفضل ولهذا والله أعلم لم يخرج أهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد
والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن أنس الذي خرجه أهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن
أنس قول شيء من ذلك من قبل نفسه إلا من حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة

لما كان فيها قادح ولا توهم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط
عليه والتحريف فيما بلّغه ولا طعن في نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صحّ اكثر من ان
الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه بكلمة او كلمتين
مما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما أملاه الرسول
يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته
كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدأ الكلام الحسن الى ما يتم به
ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا في سورة وكذلك قوله عليه الصلوة و
السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآي وجهان وقراءتان وأنزلتا
جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فأملى احديهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى
الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم فصوّبها النبي صلى الله عليه وسلم كما
قدمناه فصوّبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله تعالى من ذلك ما احكم ونسخ ما
نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله تعالى إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ
تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ هذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا
الجمهور وثبتا في المصحف مثل وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ونُنْشِرُهَا ويَقُصُّ الْحَقَّ ويَقْضِي الْحَقَّ وكل
هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا
يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القرآن فيصف الله
في ذلك ويسميه كيف شاء **فصل** هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله
البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي
بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم

من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق
السلف وإجماعهم عليه وذلك أنا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم إلى تصديق
جميع أحواله والثقة بجميع أخباره في أي باب كانت وعن أي شيء وقعت وأنه لم يكن لهم
توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو أم لا
ولما احتج ابن أبي الحقيق اليهودي على عمر حين أجلاهم من خيبر بإقرار رسول الله صلى الله
عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك إذا أخرجت من خيبر
فقال اليهودي كانت هزيلة من أبي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو الله وأيضا فإن أخباره
وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه
عليه السلام لغلط في قول قاله أو اعترافه بوهم في شيء أخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل
من قصته رجوعه صلى الله عليه وسلم عما أشار به على الأنصار في تلقيح النخل وكان ذلك
رأيا لا خبرا وغير ذلك من الأمور التي ليست من هذا الباب كقوله صلى الله عليه وسلم والله
لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله صلى الله
عليه وسلم إنكم تختصمون إلي الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير حتى يبلغ الماء
الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده إن شاء الله تعالى مع أشباهها
وأيضا فإن الكذب متى عرف من أحد في شيء من الأخبار بخلاف ما هو على أي وجه كان
استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون
والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته و
أيضا فإن تعمد الكذب في أمور الدنيا معصية والإكثار منه كبيرة بإجماع مسقط
للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل
بصاحبها وتزري بقائلها لاحقة بذلك وأما فيما لا يقع هذا الموقع فإن عددناها من
الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن

قليله وكثيره سهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي
وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز
على الانبياء خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح
في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل
النبوة ولا الاتسام به في امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر
القلوب عن تصديقهم بعد وانظر احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش و
غيرها من الامم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف
واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم عنه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه في
الباب الثاني من الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه **فصل** فان قلت فما معنى قوله
صلى الله عليه وسلم في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابراهيم بن جعفر قال
القاضي ابو الاصبغ بن سهل نا حاتم بن محمد نا ابو عبد الله بن الفخار نا ابو عيسى نا عبيد الله
نا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة
يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال
يا رسول الله اقصرت الصلوة ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن و
في الرواية الاخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفي الحالتين وانهما لم
تكن وقد كان احد ذلك كما قال له ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا
الله واياك ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف
والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول
البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب من يمنع
السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق
في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسن

لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه في الاقوال وتجويزه السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق وصدق ظاهرا وباطنا واما النسيان فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا ووجه ثان ان قوله ولم انس راجع الى السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم اسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلوة وما نسيت هذا ما رأيت فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل اللفظ على بعد بعضها وتعسف الآخر منها قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله صلى الله عليه وسلم لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله صلى الله عليه وسلم بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله صلى الله عليه وسلم في بعض روايات الحديث الآخر لست انسى ولكني أنسى فلما قال له السائل اقصرت الصلوة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سأل غيره فتحقق انه نسي واجري عليه ذلك ليسن فقوله صلى الله عليه وسلم على هذا لم انس ولم تقصر اي كل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه آخر استثيره من كلام بعض المشائخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو شغل قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلوته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن

(Margin notes:)
اي ترك بعض الشرع
تنبيها لحصل النسيان
لان اصل النسيان الترك بلا اختيار
اي ترك بلا تذكر
ان قصد الرجل ترك باختيار منه

وقوله صلى الله عليه وسلم ما نُسّيتُ ولا نَسِيتُ خلفٌ وقيل عنه ان قوله ما نسيت رد ما نسيت الترك الذي هو بمعنى النسيان اراد والله اعلم انه لم يسلم من ركعتين تاركا كمال الصلوة ولكن نُسّيت لم يكن ذلك من تلقاء نفسي والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح اني لانسى او أُنسّى لأسُنّ ولما قصة كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة في الحديث انها الكذبات الثلاث المنصوصة في القرآن منها اثنتان قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قُدّر علي من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرّض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله وقد قدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية فانه علّق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله أختي فقد بُيّن في الحديث وقال فانك أختي في الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلث كذبات وقال صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق

ابراهيم بمؤاخذته بها واما الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورّى
بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو ستر لمقصده لئلا يأخذ عدوّه حذره وكتّم وجه
ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا
الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر
يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اي الناس اعلم
فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ لم يردّ العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع
البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبأنا الله انه ليس كذلك فاعلم انه قد وقع في هذا الحديث
من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على
علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فمحمله على ظنه و
معتقده كما لو صرّح به لان حاله في النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك فيكون اخباره
بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله وانا اعلم
بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون
الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله تعالى من علوم غيبه كالقصص
المذكورة في خبرهما فكان موسى اعلم بالجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اُعلم
ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء
انكار هذا القول عليه لانه لم يردّ العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه
لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه
وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من
الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نُزّه عن هذه الرذائل الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها
ودرك نيلها الا من عصمه الله تعالى فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال
عليه الصلوة والسلام تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا

خلاف وقد احتج القائلون بنبوة الخضر بقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي
واما الانبياء فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل على انه بوحي ومن قال
انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي اخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن موسى نبي
غيره الا اخاه هارون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم
منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص في قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة
الخضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع
اليه من موسى وقال اخر انما الجئ موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم فصل واما
ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه
الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع
المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور في ذلك
الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع
وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحاق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من
كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان ذلك تقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع
على ذلك من الكافة والجمهور قائل بانهم معصومون من ذلك من قبل الله تعالى معتصمون
باختيارهم وكسبهم الا حسينا النجار فانه قال لا قدرة لهم على المعاصي اصلا واما الصغائر فجوزها
جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء و
المحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف
وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة
اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من
الكبائر قالوا لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك وقول
ابن عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي الصغير منها بالاضافة الى

ما هو اكبر منه ومخالفة الناس في اي امر كان يجب كونه كبيرة قال ابو محمد عبد الوهاب
لا يمكن ان يقال ان في معاصي الله تعالى صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر
ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء والمشيئة في
العفو عنها الى الله تعالى وهو قول القاضي ابي بكر وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء
وقال بعض ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها
اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروءة واوجبت
الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط المنصب المتسم
به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما
كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد ذهب
بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم
من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء
على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم
وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداذ وابو الفرج عن مالك التزام ذلك
وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن
سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت
طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة
ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء
بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة والاباحة او الحظر
او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل
على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز الصغائر
ومن نفاها عن نبينا صلى الله عليه وسلم مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول او فعل

وانه متى رأى شيئاً فسكت عنه عليه الصلوة والسلام دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله

في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه

كما قيل إذ الحظر او الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضاً فقد

علم من دين الصحابة قطعاً الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي

كل فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع نعله

واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالساً لقضاء حاجته مستقبلاً بيت المقدس واحتج غير واحد منهم

في غير شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال

عليه الصلوة والسلام هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صائم وقالت عائشة رضي الله عنها محتجة

كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب عليه الصلوة والسلام على الذي

اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده

والآثار في هذا اكثر من ان نحيط بها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله و

اقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن

ذلك ولما انكر عليه الصلوة والسلام على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات

فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطة

عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا

به من تعلق بالهم بالله والدار الآخرة لا يأخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون

به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه السبيل التحق طاعة

وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب طرفاً في خصال نبينا عليه السلام فبان لك فضل الله على نبينا وعلى سائر الانبياء عليهم الصلوة

والسلام بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية **فصل**

وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون والصحيح

ان شاء الله تعالى تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسألة

تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال
نبينا عليه الصلوة والسلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعة
لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في
حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت
حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر
بن الطيب الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان
ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من
سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر به شيء من ذلك جملة وقد
ذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا
هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي
ابي بكر اولى واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره عليه الصلوة والسلام وترك قطع
الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق
النقل وهو مذهب ابي المعالي رضي الله عنه وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا
بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم
وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم
وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله على جميعهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر
فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل
كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى عليه الصلوة والسلام اخر الانبياء فلزمت
شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة
الا لنبينا عليه الصلوة والسلام ولا حجة ايضا للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم
حنيفا وللاخرين في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل هذه الاية على اتباعهم

في التوحيد كقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم
من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول
وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الآية شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل على
ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع
هذا القول في سائر الانبياء غير نبينا عليه الصلوة والسلام او يخالفون بينهم اما من منع
الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال
بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله فيلزمه بمساق حجته في كل نبي فصل
هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف
واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم
تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال الانبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم
سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه
فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو
في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم
وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طروء
المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطروء هذه العوارض
عليها يوجب التشكيك ويسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها
بعد هذا ان شاء الله تعالى والى هذا مال ابو اسحاق وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان
المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائزة عليه كما تقرر
من احاديث السهو في الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على
الصدق في القول ومخالفة ذلك تناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في
النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال عليه الصلوة والسلام

انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه
عليه الصلوة والسلام سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه الصلوة والسلام انى لانسى
او انسى لاسن بل قد روى لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام
عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص واغراض الطعن فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون
ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم
وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الآخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام
من افعاله عليه الصلوة والسلام ومما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع
فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات و
الغفلات بقلبه وذلك لما كلفه من مقاساة الخلق وسياسة الامة ومعاناة الاهل وملاحظة
الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه الصلوة
والسلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض
معجزته وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه عليه الصلوة و
السلام جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث
مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله تعالى

فصل في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو
منه عليه الصلوة والسلام قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو وما يمتنع
واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية على
الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث
الواردة في سهوه عليه الصلوة والسلام في الصلوة ثلاثة احاديث اولها حديث ذي اليدين
في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان
النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي
قررناه وحكمة الله فيه ليستن به في البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال و

شرطهم ان لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه
وان السهو والنسيان فى حقه عليه الصلوة والسلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح فى التصديق
وقد قال عليه الصلوة والسلام انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى و
قال رحم الله فلانا لقد اذكرنى كذا وكذا اية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال عليه الصلوة
والسلام انى لانسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوى وقد روى انى لا انسى
ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار الى انه ليس بشك وان معناه التقسيم
اى انسى انا او ينسينى الله قال القاضى ابو الوليد الباجى يحتمل ما قالاه ان يريد انى انسى فى
اليقظة وانسى فى النوم او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشئ والسهو او انسى مع
اقبالى عليه وتفرغى له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الاخر
عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعانى والكلام على الحديث الى ان النبى
صلى الله عليه وسلم كان يسهو فى الصلوة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وافة قال والنبى
عليه الصلوة والسلام منزه عنها والسهو شغل فكان عليه الصلوة والسلام يسهو فى صلوته
ويشغله عن حركات الصلوة ما فى الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله فى الرواية الاخرى
انى لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه الصلوة والسلام كان
عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف
يكون متعمدا ساهيا فى حال ولا حجة لهم فى قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله انى
لانسى او انسى فقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر
مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفراينى
ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين فى قوله انى لا انسى ولكن انسى
اذ ليس فيه نفى حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفى لفظه وكراهة لقبه كقوله بئس ما لاحدكم
ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسى او نفى الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلوة عن قلبه لكن

شغل بها عنها ونسي تحريمها ببعضها كما ترك الصلوة يوم الخندق فيسمى مغربه وقتها واشتغل بالتحرز من العدو عنها فاشتغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلوة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه عليه الصلوة والسلام عن الصلوة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء في ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر منه عليه الصلوة والسلام غير ذلك كما يندر غيره خلاف عادته ويصحح هذا التأويل قوله عليه الصلوة والسلام في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها وقول بلال ما القيت على نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده الله من اثبات حكم وتأسيس سنة واظهار شرع كما قال في الحديث الاخر فلو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث اخر فكيف وفي اخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب قد قال عليه الصلوة والسلام ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح فقيل في الجواب انه كان من شانه عليه الصلوة والسلام التغليس بالصبح ومراعاة اول الفجر ولا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه

الصلوة والسلام عن ان يقول نسيت وقد قال عليه الصلوة والسلام اني انسى كما تنسون فاذا نسيت
فذكروني وقال لقد ذكرني كذا وكذا آية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله تعالى انه لا تعارض
في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن
اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من
سهو او غفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسي وقد قيل ان هذا منه عليه الصلوة
والسلام على سبيل الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه والآخر على طريق الجواز لاكتساب
العبد فيه واسقاطه عليه الصلوة والسلام لما اسقط من هذه الآيات جائز عليه بعد بلاغ
ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها من امته او من قبل نفسه الا ما قضى
نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم
ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما
لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه

فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان
المجوزين للصغائر على الانبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين
احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى
تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف
المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف
ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت
الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن نأخذ في النظر فيها
ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله

سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى أن جاءه الأعمى الآية وما قص من قصص
غيره من الأنبياء كقوله وعصى آدم ربه فغوى وقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما
آتاهما وقوله عنه ربنا ظلمنا أنفسنا وقوله عن يونس سبحانك إني كنت من الظالمين
وما ذكر من قصته وقصة داود وقوله وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا
وأناب إلى قوله مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع إخوته وقوله عن
موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه
اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ونحوه من أدعيته عليه الصلوة والسلام
وذكر الأنبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله
وفي حديث أبي هريرة إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وقوله تعالى
عن نوح وإلا تغفر لي الآية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون وقال
عن ابراهيم والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى تبت إليك وقوله
ولقد فتنا سليمان إلى ما أشبه هذه الظواهر فاحتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف المفسرون فيه فقيل المراد ما كان قبل النبوة وما بعدها
وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع أعلمه الله أنه مغفور له وقيل المتقدم ما كان قبل النبوة و
المتأخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك أمته عليه الصلوة والسلام
وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم
لأبيك آدم وما تأخر من ذنوب أمتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي
قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك الآية قال مكي مخاطبة النبي عليه السلام ههنا هي مخاطبة لأمته
وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر أن يقول وما أدري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك
الكفار فأنزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وبمآل المؤمنين في الآية الأخرى
بعدها قاله ابن عباس فمقصد الآية أنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب أن لو كان قال بعضهم

المغفرة هنا تبرئة من العيوب واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف
من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته
منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره وحكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل
ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل اراد حططنا عنك ثقل ايام
الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك
حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ
عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام
النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا
وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت
لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية و
اعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر
لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله نهي فيعد معصية ولا عده الله عليه معصية
بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله تعالى من
ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه
وحي فكيف وقد قال الله تعالى فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع
عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس
عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق
ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن
ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي
انها تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك الله وحكى السمرقندي
ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي ان تكون له اسرى الآيتين فليس

الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه الصلوة والسلام احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الاية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله سبق واختلف المفسرون في معنى هذه الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقران وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان خير النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وقد روي عن علي قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على ان يقتل منهم في العام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري وقوله عليه الصلوة والسلام في هذه القصة لو نزل من السماء عذاب ما نجى منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه وراي من اخذ بماخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وق

الذي ذكر والخبر فهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص
فيه ولا دليل من نص ولا جعل الأمر فيه إليه وقد نزهه الله عن ذلك قال القاضي خرج هذا الخبر
أهل الصحيح وقال القاضي بكر بن العلاء أخبر به تعالى في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتب له من
إحلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي
بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بأزيد من عام فهذا كله
يدل على أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الأسارى كان على تأويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل
مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله أراد لعظم أمر بدر وكثرة أسراها والله أعلم إظهار نعمته و
تأكيد منته بتعريفهم ما كتب في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وإنكار
وتذنيب هذا معنى كلامه وأما قوله تعالى عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى الآيات فليس
فيها إثبات ذنب له عليه الصلوة والسلام بل إعلام الله له أن ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وأن
الصواب والأولى كان لو كشف له حال الرجلين اختيار الإقبال على الأعمى وفعل النبي صلى الله
عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستئلافا له كما شرعه
الله له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك إعلام بحال الرجلين وتوهين أمر
الكافر عنده والإشارة إلى الإعراض عنه بقوله وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وقيل المراد بعبس وتولى
الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله أبو تمام وأما قصة آدم عليه الصلوة و
السلام وقوله تعالى فأكلا منها بعد قوله وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ وقوله أَلَمْ
أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى أي جهل
وقيل أخطأ فإن الله تعالى قد أخبر بعذره بقوله وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ
عَزْمًا قال ابن زيد نسي عداوة إبليس له وما عهد الله إليه من ذلك بقوله إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ
لَكَ وَلِزَوْجِكَ الآية قيل نسي ذلك بما أظهر لهما وقال ابن عباس إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد
إليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف إبليس لهما إني لكما لمن

الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روي عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار وقال
ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم
نجد له عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الجزم والصبر وقيل كان عند
اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا
لم تكن معصية وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي
عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة و
دليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء
والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه
تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ
لا من المخالفة وقيل تأول ان الله لم ينهه عنها نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى
وعصى آدم ربه فغوى الآية وقال فتاب عليه وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه واني نهيت
عن اكل الشجرة فعصيت فسيأتي الجواب عنه وعن اشباهه مجملا آخر الفصل ان شاء الله تعالى
واما قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس نص على ذنب وانما فيها
أبق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول
العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا
وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم
الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله
أبق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء
في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير
اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم
يؤاخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا

ومثل هذا قول آدم وحواء ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما انفسهما غير الموضع
الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت
الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله
على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه فاستغفر
ربه الى قوله وحسن مآب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اي اختبرناه واواب قال قتادة مطيع
وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك
واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان
يعول عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى
السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه وقيل بل لما خشي
على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا والى نفي ما اضيف في الاخبار الى داود من
ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود واوريا
خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه رجلان في نتاج
غنم على ظاهر الآية وقيل بل لما خشي على نفسه وظن من الفتنة لما بسط له من الملك والدنيا واما قصة
يوسف واخوته عليهم السلام فليس على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم
الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القرآن عند ذكر الانبياء ليس صريحا في كونهم من اهل الانبياء قال المفسرون يريد من نبي
من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا
يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا
والله اعلم واما قول الله عز وجل ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه فعلى مذهب
كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليس سيئة لقول النبي صلى الله عليه وسلم
عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذا واما على مذهب
المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه

النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله تعالى هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الآية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف عليه السلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها وقال الله تعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الآية قيل في ربي انه الله تعالى وقيل الملك وقيل هم بها اي بزجرها ووعظها وقيل هم بها اي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم بدفعها وضربها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله تعالى فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه واما خبر موسى عليه السلام مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قال كان من القبط الذين كانوا على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا اخلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار يؤدي الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر

اخرجه ١٢ — مسلم ١٢

---

١ اى لما ذكرت النسوة قبرأته وشهدن له بالعصمة
٢ بكسر القاف واحد من اهل مصر ١٢
٣ لقوله تعالى فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولما ورد بمدين وصل اليه الايات فان النبوة كانت بعد مدة طويلة ١٢

الامرين في الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة
آدمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك
الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله تعالى فلما جاءه بعد واعلمه الله انه رسوله اليه
استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي وهو تاويل شيخنا
الامام ابي عبد الله المازري وقد تاوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين
حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف واما قصة سليمان وما حكى فيها اهل
التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد
في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت
بشق رجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا
في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي
عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل
لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه
وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض نسائه
ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه
وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء
من مثله وان سئل لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة ان شاء الله فعنه
اجوبة اسدها ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله والثاني انه
لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله تعالى هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان
غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك ما ذكره المفسرون ان لا يسلط
عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك

وقيل بل اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من انبياء الله
ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لداود واحياء الموتى
لعيسى عليه السلام واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح
عليه السلام فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى انا منجوك
واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي عنه من ذلك لا انه شك في وعد الله
فبين الله عليه انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد
اعلمه الله انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاوخذ بهذا التاويل وعوتب عليه و
اشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح فيما حكاه
النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى
ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح
من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم
تسبح فليس في هذا الحديث ما يقتضي ان هذا النبي اتى معصية بل فعل ما راه مصلحة وصوابا
بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة
فلما اذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب
معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال الله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها
من بقية النمل هناك ولم يات في كل هذا امر نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله اليه
بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه الصلاة
والسلام ما من احد الا ألم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال عليه الصلاة والسلام فالجواب
عنه كما تقدم من ذنوب الانبياء التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة فصل فان
قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف

ملخص كما رواه الشيخان وابو داود عن ابي هريرة ١٢

بلغ

وتأويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تقرر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء في رفعة والعلو والمعرفة بالله تعالى وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من المؤاخذة بها واتوها على وجه التأويل او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء اي آخره واذناب الناس رذالهم فكانت هذه ادنى افعالهم واسوأ ما يجري من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش بما تكون بالاضافة اليه هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو او تأويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطأ ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام قد اوخذ بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قيل انه انسي يوسف ذكر الله وقيل انسي صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم ياخذ الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته

بهم في أضعاف ما أتوا به من سوء الأدب فقد قال المحتج للفرقة الأولى على سياق ما قلناه إذا كان الأنبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم أرفع فحالهم إذاً في هذا أسوء حالاً من غيرهم فاعلم أكرمك الله أنا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول إنهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سبباً لمنماة رتبهم كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك وقال بعد قول موسى تبت إليك إني اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وإنابته فسخرنا له الريح إلى وحسن مآب قال بعض المتكلمين زلات الأنبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف وأشار إلى نحو مما قدمناه وأيضاً فلينبه غيرهم من البشر منهم أو ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع بأهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين وقال ابن عطاء لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت نقصاً له ولكن استزادة من نبينا عليه الصلوة والسلام وأيضاً فيقال لهم فإنكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف بعصمة الأنبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم فهي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها إذاً عندكم وخوف الأنبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما أجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بأفعال السهو والتأويل وقد قيل إن كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الأنبياء عليهم السلام على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكراً لله على نعمه كما قال عليه الصلوة والسلام وقد أمن من المؤاخذة بما تقدم وما تأخر أفلا أكون عبداً شكوراً وقال إني أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي قال الحارث بن أسد خوف الملائكة والأنبياء خوف إعظام وتعبد لله لأنهم آمنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم ويستن بهم أممهم كما قال لو تعلمون

ما اعلم لضحكتم قليلاً و لبكيتم كثيراً وايضاً فان في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفاً اشار
اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ
الْمُتَطَهِّرِينَ فاحداث الانبياء والرسل التوبة والاستغفار والانابة والاوبة في كل حين تستدعي
لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه بعد ان غفر له ما
تقدم من ذنبه وما تأخر لَقَدْ تَابَ اللّٰهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ الآية وقال فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ
إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً **فصل** قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه الصلوة
والسلام عن الجهل بالله تعالى او صفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله
جملة بعد النبوة عقلاً واجماعاً وقبلها سمعاً ونقلاً ولا بشيء مما قرره من امور الشرع و
اداه عن ربه من الوحي قطعاً وعقلاً وشرعاً وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله
تعالى وارسله قصداً او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعاً واجماعاً ونظراً وبرهاناً وتنزيهه عنه
قبل النبوة قطعاً وتنزيهه عن الكبائر اجماعاً وعن الصغائر تحقيقاً وعن استدامة السهو
والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضى
وغضب وجد ومزح فيجب لك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه
الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله
عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يأمن ان يعتقد في بعضها
خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط
في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار
ولهذا ما احتاط عليه الصلوة والسلام على الرجلين اللذين رأياه ليلاً وهو معتكف في المسجد
مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت
ان يقذف في قلوبكما شيئاً فتهلكا هذه اكرمكم الله احدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول
ولعل جاهلاً لا يعلم بجهله اذا سمع شيئاً منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم وان

السكوت أولى وقول باستثناء ان ذلك للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها
في اصول الفقه ويبتنى عليها مسائل لا تعد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء
في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير
من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلاغه و
انه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع
الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة
ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه
الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف
كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجترئ على
سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا او يضيع حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ولسبيل هذا
ما قد اختلف ارباب الاصول وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة **فصل** في القول
في عصمة الملائكة اجمع المسلمون بان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين ان
حكم المرسلين منهم حكم الانبياء سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء
والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى
عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقول الله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وبقوله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون الاية وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون الاية وقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله
يسجدون وقوله كرام بررة وقوله لا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة
اخرى الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار و
التفاسير نحن نذكرها ان شاء الله تعالى بعد ونبين الوجه فيها والصواب عصمة جميعهم
وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض

شيخنا اشار الى ان لا حاجة للفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء من الفوائد الثلاثة التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة ههنا فيما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقله المفسرون وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شئ لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما نذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله اول الاية من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنيع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله تعالى فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل على الملكين الاية وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين على ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه كفر يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان الناس السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما ماذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلاء فكيف لا ننزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقال خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين

قال نكبي هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا عليه على سليمان فاكذبهم
الله في ذلك بقوله ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت وقيل
هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين
بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن ابن ابزى بكسر اللام ولكنه قال
الملكان هنا داؤد وسليمان فتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل
فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فحمل الآية على تقدير ابي محمد
مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله تعالى
بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس وانه
كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى آخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله
فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ان آدم
ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر ابن حوشب كان من الجن الذين
طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب سائغ
وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار ان خلقا من الملائكة
عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكر
الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا تشتغل بها + + +

الباب الثاني

فيما يخصهم من الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا انه عليه الصلوة
والسلام وسائر الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من
الآفات والتغيرات والآلام والاسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس
بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد
كتب الله على اهل هذه الدار فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة

العير فقد مرض عليه السلام واشتكى وأصابه الحر والقر وأدركه الجوع والعطش ولحقه الغضب
والضجر وناله الإعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار و
كسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله
عليه وسلم ولحق بالرفيق الأعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص
عنها وأصاب غيره من الانبياء ما هو أعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير
ومنهم من وقاه الله ذلك وبعض الأوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا عليه الصلاة
والسلام من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم أحد ولا حجبه عن عيون عداه
عند دعوته أهل الطائف فلقد أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى ثور وأمسك عنه
سيف غورث وحجر أبي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الأعصم فلقد وقاه
ما هو أعظم من سم اليهودية وهكذا سائر أنبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر
شرفهم في هذه المقامات ويبين أمرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع
الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى
بعيسى وليكون في محنهم تسلية لأممهم ووفور لأجورهم عند ربهم تماما على الذي أحسن إليهم
قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود
بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس وأما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة
منه متعلقة بالملإ الأعلى والملائكة لأخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال عليه الصلاة
والسلام إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني
وقال لست أنسى ولكن أنسى ليستن بي فأخبر أن سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره و
أن الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره
من البشر في حكم الباطن لأن غيره إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه الصلاة و
السلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار أنه كان محروسا من

الحديث فی نومه لکون قلبه یقظان کما ذکرناه وکذلك غیره اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالکلیة جملته وهو علیه الصلوة والسلام قد اخبر انه لا یعتریه ذلك وانه بخلافهم لقوله علیه الصلوة والسلام لست کهیئتکم انی ابیت یطعمنی ربی ویسقینی وکذلك اقول انه فی هذه الاحوال کلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم یجر علی باطنه ما یخل به ولا فاض منه علی لسانه وجوارحه ما لا یلیق به کما یعتری غیره من البشر مما نأخذ بعد فی بیانه فصل فان قلت قد جاءت الاخبار الصحیحة انه علیه الصلوة والسلام سحر کما حدثنا الشیخ ابو محمد العتابی بقراءتی علیه قال نا حاتم بن محمد نا ابو الحسن علی بن خلف نا محمد بن احمد نا محمد بن یوسف اخبرنا البخاری اخبرنا عبید بن اسمعیل قال اخبرنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابیه عن عائشة رضی الله عنها قالت سحر رسول الله صلی الله علیه وسلم حتی انه لیخیل الیه انه فعل الشیء وما فعله وفی روایة اخری حتی کان یخیل الیه انه کان یأتی النساء ولا یأتیهن الحدیث واذا کان هذا من التباس الامر علی المسحور فکیف حال النبی فی ذلك وکیف جاز علیه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله وایاك ان هذا الحدیث صحیح متفق علیه وقد طعنت فیه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبیسها علی امثالها الی التشکیك فی الشرع وقد نزه الله الشرع والنبی عما یدخل فی امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل یجوز علیه کانواع الامراض مما لا ینکر ولا یقدح فی نبوته واما ما ورد انه کان یخیل الیه انه فعل الشیء وما فعله فلیس فی هذا ما یدخل علیه داخلة فی شیء من تبلیغه او شریعته او یقدح فی صدقه لقیام الدلیل والاجماع علی عصمته من هذا وانما هذا فیما یجوز طروءه علیه فی امور دنیاه التی لم یبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فیها عرضة للآفات کسائر البشر فغیر بعید ان یخیل الیه من امورها ما لا حقیقة له ثم ینجلی عنه کما کان وایضا فقد فسر هذا الفصل الحدیث الآخر من قوله حتی یخیل الیه انه یأتی اهله ولا یأتیهن وقد قال سفیان وهذا اشد ما یکون من السحر ولم یأت فی خبر منها انه نقل عنه فی ذلك قول بخلاف

ما كان اخبر انه فعله و لم يفعله وانما كانت خواطر و تخيلات فقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يخيل الشيء انه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد و اقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه من الاجوبة لا ئمتنا عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل اجلى وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب و عروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوه فاستخرجه من البئر وروى نحوه عن الواقدي عن عبد الرحمن بن كعب و عمر بن الحكم وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضي الله عنها خاصة سنة حتى انكر بصره وروى محمد بن سعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطئ نسائه وطعامه واضعف جسمه وامرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنى منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من اخذ واعترض ولعله لمثله اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه رأى شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره و لم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في

عقائد ... قال ... الشيء ... بصره ... قال ... رسول الله ... ان السحر ... بصره ... بجامعها

ببصره وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في ميزه وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به المعترض الملحد أنسا

فصل هذا حاله في جسمه فأما أحواله في أمور الدنيا فنحن نسبرها على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل أما العقد منها فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف أمور الشرع كما حدثنا أبو بحر سفيان بن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة قالوا أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر قال أخبرنا أبو العباس الرازي أخبرنا أبو أحمد بن عمرويه أخبرنا ابن سفيان أخبرنا مسلم أخبرنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري وأحمد المعقري قالوا أخبرنا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة أخبرنا أبو النجاشي قال أخبرنا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنفضت فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر وفي رواية أنس أنتم أعلم بأمر دنياكم وفي حديث آخر إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا وظنه من أحوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن إسحاق أنه عليه الصلوة والسلام لما نزل بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فإنه ليس بمنزل انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال أشرت بالرأي وفعل ما قاله وقد قال الله تعالى له وشاورهم في الأمر وأراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الأنصار فلما أخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة

ولا اعتقادها ولا تعلمها يجوز عليه فيها ما ذكرناه اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وانما
هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي مشحون القلب
بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية
ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة
الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه
الصلوة والسلام من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها
ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب **فصل** واما
ما يعتقده في امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم
المفسد من المصلح فبهذه السبيل لقوله عليه الصلوة والسلام انما انا بشر وانكم تختصمون
الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له من
حق اخيه بشيء فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار **حدثنا** الفقيه ابو الوليد
رحمه الله اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ اخبرنا ابو عمر اخبرنا ابو محمد اخبرنا ابو بكر اخبرنا
ابو داود نا محمد بن كثير اخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة
عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة
فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه صلى الله
عليه وسلم على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة
الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله تعالى في ذلك فانه تعالى لو شاء
لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة
الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به في افعاله
واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن
للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه

لا احد فى شريعته لانا لا نعلم ما اطلعه عليه هو فى تلك القضية من حكمه هو اذ ذاك بالمكنون
من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الامة فاجرى الله احكامه
على ظواهرهم التى يستوى فى ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به فى تعيين قضاياه
وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع
منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتاول وكان حكمه على الظاهر اجلى فى البيان
واوضح فى وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدى بذلك كله حكام
امته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطى ذلك عنه من علم الغيب الذى
استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما
شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا فى نبوته ولا يفصم عروة من عصمته فصل و
اما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا
ان الخلف فيها ممتنع عليه فى كل حال وعلى اى وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او
رضى او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله
الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه فى
الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره
وكما روى من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتاكيدا
فى تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة التى سألته عن
زوجها اهو الذى بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض
وقد قال عليه الصلوة والسلام انى لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه
غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهى فى الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه
ان يأمر احدا بشىء او ينهى احدا عن شىء وهو يبطن خلافه وقد قال عليه الصلوة والسلام
ما كان لنبى ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان تكون له خائنة القلب فان قلت فما معنى

قوله في قصة زيد إذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك الآية فاعلم أكرمك الله
ولا تسترب في تنزيه النبي عليه الصلاة والسلام عن هذا الظاهر وأن يأمر زيدا بإمساكها
وهو يحب تطليقه إياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما في هذا ما حكاه أهل التفسير
عن علي بن حسين أن الله تعالى كان أعلم نبيه أن زينب ستكون من أزواجه فلما شكاها إليه زيد قال له
النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى منه في نفسه ما أعلمه الله
من أنه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن
فائد عن الزهري قال نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه أن الله
يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي أخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله
بعد هذا وكان أمر الله مفعولا أي لا بد لك أن تتزوجها ويوضح هذا أن الله تعالى لم يبد
من أمره معها غير زواجه لها فدل أنه الذي أخفاه عليه الصلاة والسلام مما كان
أعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة
الآية فدل أنه لم يكن عليه حرج في الأمر قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما أحل مثال فعله
لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل أي من النبيين فيما أحل
لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند
ما أعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه أعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما
نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به
الأتقياء فكيف سيد الأنبياء عليهم السلام قال القشيري رضي الله عنه وهذا إقدام عظيم
من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد كثيرا وبفضله
وكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن
منه عليه الصلاة والسلام وهو زوجها لزيد وإنما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي
صلى الله عليه وسلم إياها لإزالة حرمة التبني وإبطال سنته كما قال ما كان محمد أبا أحد من

رِّجَالِكُمْ وقال تعالى لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ
أَدْعِيَائِهِمْ ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفائدة
في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله تعالى اعلم نبيه
صلى الله عليه وسلم انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم
تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله تعالى فلما طلقها زيد خشي قول
الناس بتزوج امرأة ابنه فامره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لامته
كما قال تعالى لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ
وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة ورد النفس عن هواها
وهذا اذا جوزنا عليه انه رآها فجاءة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما
طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها ثم قمع
نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل
والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن
عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول ابو بكر ابن فورك و
قال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه
وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك واظهار خلاف ما في نفسه وقد
نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ
لَهُ قال ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد اخطأ قال
وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاستحياء ان يستحيي منهم ان يقولوا
تزوج زوجة ابنه وان خشيته عليه الصلوة والسلام من الناس كانت من ارجاف
المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح
حلائل الابناء كما كان فعتبه الله تعالى على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله

كما جاء في مراجعته رضي الله عنه او دعائه في سورة التحريم بقوله تعالى لم تحرم ما أحل
الله لك الآية كذلك قوله تعالى ههنا وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقد روي عن
عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية لما فيها
من عتبه وتنبيه على ما أخفاه. فصل فان قلت قد تقررت عصمته عليه الصلاة والسلام
في أقواله في جميع أحواله وأنه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة
ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب فما معنى الحديث في وصيته عليه الصلاة
والسلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله قال أخبرنا القاضي أبو الوليد قال
حدثنا أبو ذر قال حدثنا أبو محمد وأبو الهيثم وأبو إسحاق قالوا أخبرنا محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن إسماعيل قال أخبرنا علي بن عبد الله قال أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري
عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما احتضر عليه الصلاة والسلام وفي البيت رجال
فقال النبي عليه الصلاة والسلام هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ائتوني أكتب لكم كتابا لن
تضلوا بعدي أبدا فتنازعوا فقالوا ما له أهجر استفهموه فقال دعوني فان الذي أنا فيه خير وفي
بعض طرقه إن النبي يهجر وفي رواية هجر ويروى أهجر ويروى أهجرا وفيه فقال عمر إن النبي عليه
الصلاة والسلام قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني
وفي رواية واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال أئمتنا في هذا الحديث النبي غير معصوم من
الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم
أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان
أو اختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر إذ معناه هذى يقال
هجر هجرا اذا هذى وأهجر هجرا اذا أفحش وأهجر تعدية هجر وانما الأصح والأولى أهجر على طريق

الانكار على من قال لا يكتب هكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث
الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا اضبطه الاصيلي بخطه في كتابه و
غيره من هذه الطرق وكذا ما رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد يحمل عليه
رواية من رواه هجر على حذف الف الاستفهام والتقدير أهجر او ان يحمل قول القائل هجر او أهجر دهشة
من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهده من حال الرسول وشدة وجعه وهول المقام
الذي اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى
الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته
والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية أهجرا وهي رواية ابي اسحاق
المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا
راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم اي جئتم باختلافكم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء
الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد امره
لهم عليه الصلوة والسلام بان يأتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه
وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه
الصلوة والسلام لبعضهم ما فهموا انه لم تكن منه عزيمة بل امر رده الى اختيارهم
ولبعضهم لم يفهموا ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم تكن عزيمة
ولما رأوه من صواب رأي عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي
صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وان تدخل عليه مشقة
من ذلك وكما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب
امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى ان الارفق بالامة في تلك الامور
سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ ماجورا وقد علم

عمر تقرر الشريعة وتأسيس الملة وان الله قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عليه الصلوة
والسلام اوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي
صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في
ذلك الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك
وقيل انه كان من النبي صلى الله عليه وسلم لهم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على
ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتداء بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه
فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول
العباس لعلي انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه و
كراهة علي هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل بقوله دعوني فالذي انا فيه خير اي
الذي انا فيه خير من ارسال الامر وترككم وكتاب الله وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي
طلب كتابه امر الخلافة بعده وتعيين ذلك **فصل** فان قيل فما وجه حديثه ايضا
الذي حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر
الفارسي اخبرنا ابو احمد الجلودي قال اخبرنا ابراهيم بن سفيان اخبرنا مسلم بن الحجاج
اخبرنا قتيبة اخبرنا الليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت
ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب
البشر واني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن آذيته او سببته او جلدته
فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وفي رواية
فايما احد دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية وايما رجل من المسلمين
سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له زكوة وصلوة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله
عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد او

يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله اولا
ليس لها باهل اي عندك يا ربي في باطن امره فان حكمه عليه الصلوة والسلام على الظاهر كما
قال والحكمة التي ذكرناها فحكم عليه الصلوة والسلام بجلده او اذيته بسبه او لعنه بما اقتضاه
عنده حال ظاهره ثم دعاه عليه الصلوة والسلام لشفقته على امته ورأفته ورحمته للمؤمنين
التي وصفه الله بها وحذره ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاءه وفعله له رحمة
فهو معنى قوله ليس لها باهل لانه عليه الصلوة والسلام يحمله الغضب ويستفزه الضجر
لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب
كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب
لله حمله على معاقبته بلعنه او سبه وانه كان مما يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير
بين المعاقبة فيه والعفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف
والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد
في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة
كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته
عليه الصلوة والسلام في غير حديث انه لم يكن عليه الصلوة والسلام فحاشا وقال انس
لم يكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله ترب جبينه فيكون
حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق عليه الصلوة والسلام من موافقة امثالها اجابة
فعاهد ربه كما جاء في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له زكوة ورحمة وقربة وقد يكون
ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من
لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون
ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك له كفارة
لما اصاب وتمحية لما اجترم وان تكون له عقوبته في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في

للحديث الآخر ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة فان قلت فما معنى حديث الزبير في
قول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصم مع الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير
حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي صلى الله
عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة امر يريب لكنه صلى الله عليه وسلم
ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك
الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري
على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوفى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا في
قضيته وفيه الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه و
انه وان نهي ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء لكونه
فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث
الصحيح وكذلك الحديث في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعدٍ حمله الغضب عليه بل وقع
في الحديث نفسه ان عكاشة قال له وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا ام اردت ضرب
الناقة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك بالله يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكذلك في حديثه الآخر مع الاعرابي حين طلب عليه الصلاة والسلام الاقتصاص
منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط
لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه
بعد ثلاث مرات وهذا منه عليه الصلاة والسلام لمن لم يقف عند نهيه صواب و
موضع ادب لكنه عليه الصلاة والسلام اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه
واما حديث سواد بن عمرو اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس

أصابه خط وشق بين بالقضيب في يد النبي صلى الله عليه وسلم فأوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه وإنما ضربه عليه الصلاة والسلام لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب إلا تنبيهه فلما كان منه إيجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه

فصل وأما أفعاله عليه الصلاة والسلام الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل إن هذا فيها على الندور إذ عامة أفعاله على السداد والصواب بل أكثرها أو كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه إذ كان عليه الصلاة والسلام لا يأخذ منها لنفسه إلا ضرورته وما يقيم به رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس أمته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه أو بر يوسعه أو كلام حسن يقوله أو يسمعه أو تألف شارد أو قهر معاند أو مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح أعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته وقد كان يخالف في أفعاله الدنيوية بحسب اختلاف الأحوال ويعد للأمور أشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي أسفاره الراحلة وقد يركب البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع وإجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر أحواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح أمته وكذلك يفعل الفعل من أمور الدنيا مساعدة لأمته وسياسة وكراهية لخلافها وإن كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الأمور الدينية مما له الخيرة في أحد وجهيه كخروجه من المدينة لأحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من أمرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لأن يقول الناس إن محمدا يقتل أصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد إبراهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين وأهله فقال لعائشة في الحديث الصحيح لولا حدثان

قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه
كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من امري ما استدبرت
ما سقت الهدي وينبسط وجهه للعدو والكافر رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار
الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في
منزله ما يتولاه الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه شيء من اطرافه
وحتى كان على رؤس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون
منه ويضحك مما يضحكون منه وقد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب و
لا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فان
قلت فما معنى قوله لعايشة في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل الان له القول و
ضحك معه فلما سألته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف
جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب ان فعله عليه الصلوة و
السلام كان استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه
ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة
الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة
قال صفوان لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي و
قوله فيه بئس ابن العشيرة غير غيبة بل هو تعريف لما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله
ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان
لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين
في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث
بريرة من قوله عليه الصلوة والسلام لعائشة وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها
الا ان يكون لهم الولاء فقال لها عليه الصلوة والسلام اشتريها واشترطي لهم الولاء

فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي
عليه الصلوة والسلام قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من
عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه الصلوة والسلام وهو قد
حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل
من هذا ولتنزيه النبي عليه الصلوة والسلام عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله
اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ قد يقع لهم
بمعنى عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال وان اسأتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم
الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء
لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله عليه الصلوة والسلام اشترطي لهم الولاء ليس على
معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه
وسلم لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال لها اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع
والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على
علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه
وبيني لهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو عليه الصلوة والسلام
مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه
السلام باخيه اذ جعل السقاية في رحل اخيه واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في
ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان الآية تدل على ان فعل
يوسف كان عن امر الله تعالى لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في
دين الملك الا ان يشاء الله الآية فاذا كان كذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا
فان يوسف كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من
وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك لما تقدم له

أيتها العير إنكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهة ولعل
قائله إن حسن له التأويل كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك
لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم أن نقول الأنبياء ما لم يثبت عنهم
قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم **فصل** فإن قيل
فما الحكمة في إجراء الأمراض وشدتها عليه وعلى غيره من الأنبياء على جميعهم السلام وما الوجه
فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كأيوب ويعقوب ودانيال ويحيى
وزكريا وعيسى وإبراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم وهم خيرته من
خلقه وأحباؤه وأصفياؤه فاعلم وفقنا الله وإياك أن أفعال الله تعالى كلها عدل وكلماته
جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم أيكم
أحسن عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلو أخباركم فامتحانه إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم وأسباب
لاستخراج حالات الصبر والرضا والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتأكيد لبصائر
هم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم ليتأسوا في
البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم
أو غفلات سلفت لهم ليلقوا الله طيبين مهذبين وليكون أجرهم أكمل وثوابهم أوفر
وأجزل حدثنا القاضي أبو علي الحافظ أخبرنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون
قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي قال أخبرنا أبو علي السنجي أخبرنا محمد بن محبوب أخبرنا أبو عيسى
الترمذي أخبرنا قتيبة أخبرنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن
أبيه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى
الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة
وكما قال تعالى وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير الآيات الثلاث وعن أبي هريرة ما يزال

البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس عنه
عليه الصلوة والسلام اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده
الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وفي حديث اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع
تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله
ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان انه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار و
المؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلوته اليه ويوسف
نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي وهما يضحكان
وكان لهما جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار و
لا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه
وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا ينادي على سطحه الا من
كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها وروي عن
الليث ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا له
الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه ومحنة سليمان لما ذكرناه من
نيته في كون الحق في جنبة اصهاره او العمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وشفى ه
فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها ما رايت
الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رايت النبي صلى الله
عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني
اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك وفي حديث
ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي
عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا
البلاء ان كان النبي صلى الله عليه وسلم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي

ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن انس عنه عليه الصلوة والسلام ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروي مثل هذا عن عائشة وابي وجاهد وقال ابو هريرة عنه عليه الصلوة والسلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عائشة ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما يحت ورق الشجر وحكمة اخرى ودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم ويخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجأة واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه الصلوة والسلام مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح تكفؤها فاذا سكنت اعتدلت كذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله مطاوع لذلك لين الجانب برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله تعالى عن المؤمن رياح البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدم من الآلام ومعرفته ما له فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقته وضعفه بتوالي المرض

وبنيته والكافر بخلاف هذا معافا في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالأرزة الصماء
حتى إذا أراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة وأخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته
أشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه أشد ألما وعذابا ولعذاب
الآخرة أشد كانجعاف الأرزة وكما قال تعالى فأخذتهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة
الله في أعدائه كما قال فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته
الصيحة الآية ففجأ جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة و
لهذا كره السلف موت الفجاءة ومنه في حديث إبراهيم كانوا يكرهون أخذة كأخذة الأسف أي
الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة ثالثة أن الأمراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف
من نزول الموت فيستعد من إصابته وعلم تعاهد ما للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا
الكثيرة الأنكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فينتصل من كل ما يخشى تباعته من قبل
الله تعالى ومن قبل العباد ويؤدي الحقوق إلى أهلها وينظر فيما يحتاج إليه من وصية فيمن يخلفه أو أمر يعهده
وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قد طلب التنصل في
مرضه ممن كان له عليه مال أو حق في بدن وأقاد من نفسه وماله وأمكن من القصاص
منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة وأوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته و
بالأنصار عيبته ودعا إلى كتب كتاب لئلا تضل أمته بعده إما في النص على الخلافة الله
أعلم بمراده ثم رأى الإمساك عنه أفضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين وأوليائه
المتقين وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لإملاء الله لهم ليزدادوا إثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون
قال تعالى ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في رجل مات فجأة سبحان الله كأنه على غضب المحروم
من حرم وصيته وقال موت الفجاءة رحمة للمؤمنين وأخذة أسف للكافر والفاجر وذلك
لأن الموت يأتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان أمره عليه كيف ما جاء

وتفضي الى راحة من نصب الدنيا واذاها كما قال عليه الصلوة والسلام مستريح ومستراح
منه وتأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم
بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شيء عليه وفراق
الدنيا افظع امر صدمه واكره شيء له والى هذا المعنى اشار عليه الصلوة والسلام بقوله
من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع

في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه الصلوة والسلام قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم
وما يتعين له من بر وتعظيم وتوقير واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى اذاه في كتابه واجمعت
الامة على قتل متنقصه عليه الصلوة والسلام من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان
الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول
الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده الاية وقال تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين آمنوا
لا تقولوا راعنا الاية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع
منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبيه بهم وقطع الذريعة
بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما
فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة
الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا
نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايتهم لهم وهو عليه السلام واجب
الرعاية بكل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا
تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم استجاب

لرجل ناداه یا اباالقاسم فقال له لم اعنك انما دعوت هذا فنهی حینئذ عن التکنی بکنیته
لئلا یتأذی باجابة دعوة غیره لمن لم یدعه و یجد بذلك المنافقون والمستهزءون ذریعة
الی اذاه والازراء به فینادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنیتا له واستخفافا
بحقه علی عادة المجان والمستهزئین فحمی علیه الصلوٰة والسلام حمی اذاه بکل وجه فحمل
محققو العلماء نهیه عن هذا علی مدة حیاته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس فی
هذا الحدیث مذاهب لیس هذا موضعها وما ذکرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله
تعالی وان ذلك علی طریق توقیره وتعظیمه وعلی سبیل الندب والاستحباب لا علی التحریم
ولذلك لم ینه عن اسمه لانه قد کان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول
بینکم کدعاء بعضکم بعضا وانما کان المسلمون یدعونه یا رسول الله صلی الله علیه وسلم ویا نبی الله و
قد یدعونه بکنیته ابا القاسم بعضهم فی بعض الاحوال وقد روی انس عنه علیه الصلوٰة
والسلام ما یدل علی کراهة التسمی باسمه وتنزیهه عن ذلك اذا لم یوقر فقال تسمون اولاد
کم محمدا ثم تلعنونهم وروی ان عمر کتب الی اهل الکوفة لا یسمی احد باسم النبی صلی الله
علیه وسلم حکاه ابو جعفر الطبری وحکی محمد بن سعد انه نظر الی رجل اسمه محمد
ورجل یسبه ویقول فعل الله بك یا محمد وصنع فقال عمر لابن اخیه محمد بن زید بن الخطاب
لا اری محمدا علیه الصلوٰة والسلام یسب بك والله لا تدعی محمدا ما دمت حیا وسماه عبد الرحمن
واراد ان یمنع لهذا ان یسمی احد باسماء الانبیاء اکراما لهم بذلك وغیر اسماءهم وقال لا تسموا
باسماء الانبیاء ثم امسك والصواب جواز هذا کله بعده علیه الصلوٰة والسلام بدلیل اطباق
الصحابة علی ذلك وقد سمی جماعة منهم ابنه محمدا وکناه بابی القاسم وروی ان النبی صلی الله
علیه وسلم اذن فی ذلك لعلی رضی الله عنه وقد اخبر علیه الصلوٰة والسلام ان ذلك اسم
المهدی وکنیته وقد سمی به النبی صلی الله علیه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن
ثابت بن قیس وغیر واحد وقال ما ضر احدکم ان یکون فی بیته محمد ومحمدان وثلاثة

وقد فصلنا الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمنا

الباب الأول

في بيان ما هو في حقه عليه الصلاة والسلام سب أو نقص من تعريض أو نص قال القاضي
أبو الفضل رضي الله عنه اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو
عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو دينه أو نسبه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو شبهه
بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه والعيب له فهو ساب
له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه إن شاء الله تعالى ولا نستثني فصلا من فصول هذا
الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان أو تلويحا وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو
تمنى مضرة له أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم أو عبث في جهته العزيزة
بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور أو عيره بشيء مما جرى من المحنة والبلاء
عليه أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله إجماع من
العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جرا قال القاضي أبو بكر
بن المنذر أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك
مالك بن أنس والليث وأحمد وإسحاق وهو مذهب الشافعي قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه وهو مقتضى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله
قال أبو حنيفة وأصحابه والثوري وأهل الكوفة والأوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة
وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري عن أبي حنيفة وأصحابه مثله فيمن تنقصه
صلى الله عليه وسلم أو برئ منه أو كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا
وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد أو كفر كما سنبينه في الباب الثاني إن شاء
الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الأمصار وسلف الأمة وقد ذكر غير
واحد الإجماع على قتله وتكفيره وأشار بعض الظاهرية وهو أبو محمد علي بن أحمد الفارسي

الى الخلاف فى تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء

ان شاتم النبى صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له و

حكمه عند الامة القتل ومن شك فى كفره وعذابه فقد كفر واحتج ابراهيم بن حسين

بن خالد الفقيه فى مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبى صلى الله

عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابى لا اعلم احدا من المسلمين اختلف فى وجوب

قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك فى كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية

وحكاه مطرف عن مالك فى كتاب ابن حبيب من سب النبى صلى الله عليه وسلم من المسلمين

قتل ولم يستتب قال ابن القاسم فى العتبية من سبه او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل و

حكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفى المبسوط عن عثمان

ابن كنانة من شتم النبى صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب

والامام مخير فى صلبه حيا او قتله ومن رواية ابى المصعب وابن ابى اويس سمعنا مالكا يقول

من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا

ولا يستتاب وفى كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبى صلى الله عليه وسلم

او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر

ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبى

صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبرى مثله عن اشهب عن مالك

وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء النبى صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبى

صلى الله عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من

دعا على نبى من الانبياء بالويل او بشىء من المكروه فانه يقتل بلا استتابة وافتى

ابو الحسن القابسى فيمن قال فى النبى صلى الله عليه وسلم الجمال يتيم ابى طالب بالقتل و

افتى ابو محمد بن ابى زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبى صلى الله عليه وسلم

اذ مرّ بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي صفة هذا المار في
خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان و
قال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل
وقال في رجل قيل له لا وحقّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فعل الله برسول الله كذا
وكذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال له اشد من كلامه الاول ثم قال
انما اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابي سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك
يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاءه التاويل في لفظ صراح لا يقبل لانه
امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه و
افتى ابو عبد الله ابن عتاب في عشار قال لرجل ادّ المكس واشك الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ان سألت او جهلت فقد جهل وسأل النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل و
افتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه من استخفافه
بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه
ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان
واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن
يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا
الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا عليه الصلوة والسلام فاحضر له القاضي يحيى
بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم انزل و
احرق بالنار وحكى بعض المؤرخين انه لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدي استدارت
وحولته عن القبلة فكان ذلك اية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى
بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه الصلوة والسلام انه قال
لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى الله

عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقيص له اذ لا يجوز ذلك عليه فى خاصته
اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروى مذهب مالك واصحابه
ان من قال فيه عليه الصلوة والسلام ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب
والسنة موجبان ان من قصد النبى صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا
وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا او نقصا يجب قتل قائله لم يختلف
فى ذلك متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا فى حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد
ان شاء الله تعالى وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان
او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه
او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء
فى ذلك ويأتى ما يدل عليه ان شاء الله تعالى **فصل** فى الحجة فى ايجاب قتل من سبه او
عابه عليه الصلوة والسلام فمن القرآن لعنة الله لمؤذيه فى الدنيا والاخرة وقرانه
تعالى اذاه باذاه ولا خلاف فى قتل من سب الله وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر
وحكم الكافر القتل فقال ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله الاية وقال فى قاتل
المؤمن مثل ذلك فمن لعنته فى الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا وقال فى المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزى فى الدنيا الاية وقد يقع
القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله اى لعنهم الله ولانه فرق
بين اذاهما واذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم مؤذى الله و
نبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم الاية فسلب اسم الايمان عمن وجد فى صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه
فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى
الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى واذا جاؤك

يحيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها الآية وقال تعالى ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو اذن ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم
وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم
قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله واما الاجماع فقد ذكرناه واما الآثار فحدثنا
الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة قال نا ابو الحسن
الدارقطني وابو عمر بن حيوة اخبرنا محمد بن نوح اخبرنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن
بن زبالة اخبرنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد
بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح امر
النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف فانه
يؤذي الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين
وعلل باذاه فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال البراء
وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح
بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه الصلاة والسلام وفي حديث
آخر ان رجلا كان يسبه عليه الصلاة والسلام فقال من يكفيني عدوي فقال خالد انا فبعثه
النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك امر بقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار
ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح
وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وروى البزار عن ابن عباس
ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال

الزبیر انا فبادرہ فقتلہ الزبیر وروی ایضا ان امراۃ کانت تسبہ علیہ الصلوۃ والسلام فقال
من یکفینی عدوتی فخرج الیہا خالد بن الولید فقتلہا وروی ان رجلا کذب علی النبی صلی اللہ
علیہ وسلم فبعث علیا والزبیر لیقتلاہ وروی ابن قانع ان رجلا جاء الی النبی صلی اللہ علیہ
وسلم فقال یا رسول اللہ سمعت ابی یقول فیک قولا قبیحا فقتلتہ فلم یشق ذلک علی النبی
صلی اللہ علیہ وسلم وبلغ المہاجر بن ابی امیۃ امیر الیمن لابی بکر رضی اللہ عنہ ان امراۃ
ہنالک فی الردۃ غنت بسب النبی صلی اللہ علیہ وسلم فقطع یدہا ونزع ثنیتہا فبلغ ذلک
ابا بکر فقال لہ ابو بکر لولا ما فعلت لامرتک بقتلہا لان حد الانبیاء لیس یشبہ الحدود
وعن ابن عباس ہجت امراۃ من خطمۃ النبی صلی اللہ علیہ وسلم فقال من لی بہا فقال رجل
من قومہا انا یا رسول اللہ فنہض فقتلہا فاخبر النبی صلی اللہ علیہ وسلم بذلک فقال
لا ینتطح فیہا عنزان وعن ابن عباس ان اعمی کانت لہ ام ولد تسب النبی صلی اللہ علیہ وسلم
فیزجرہا فلا تنزجر فلما کانت ذات لیلۃ جعلت تقع فی النبی صلی اللہ علیہ وسلم وتسبہ
فقتلہا واعلم ان لنبی صلی اللہ علیہ وسلم بذلک فاہدر دمہا وفی حدیث ابی برزۃ الاسلمی
کنت یوما جالسا عند ابی بکر فغضب علی رجل من المسلمین وحکی القاضی اسمعیل وغیر واحد
من الائمۃ فی ہذا الحدیث انہ سب ابا بکر ورواہ النسائی اتیت ابا بکر وقد اغلظ لرجل فرد علیہ
قال فقلت یا خلیفۃ رسول اللہ دعنی اضرب عنقہ فقال اجلس فلیس ذلک لاحد الا لرسول
اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قال القاضی ابو محمد بن نصر ولم یخالف علیہ احد فاستدل الائمۃ
بہذا الحدیث علی قتل من اغضب النبی صلی اللہ علیہ وسلم بکل ما اغضبہ او اذاہ او
سبہ ومن ذلک کتاب عمر بن عبد العزیز الی عاملہ بالکوفۃ وقد استشارہ فی قتل رجل
سب عمر فکتب الیہ عمر انہ لا یحل قتل امرء مسلم بسب احد من الناس الا رجلا سب رسول اللہ
صلی اللہ علیہ وسلم فمن سبہ فقد حل دمہ وسال الرشید مالکا فی رجل شتم النبی صلی اللہ
علیہ وسلم وذکر لہ ان فقہاء العراق افتوہ بجلدہ فغضب مالک وقال یا امیر المؤمنین

رواہ عبد الرزاق فی جامعہ ۱۲
عبد الباقی ۱۲
المخزومی ۱۲
وفی نسخۃ ثنیتہا ۱۲
عصماء بنت مروان ۱۲
تام ۱۲
رواہ ابو داود ۱۲
رواہ ابو داود ۱۲

ما بقاء لأمة بعد شتم نبيها من شتم الانبياء قتل ومن سب اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد من اصحاب
مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين
افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم
او من لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف
هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقتله لمالك على اصله والا فالاجماع
على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه
عليه الصلوة والسلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره ولهذا ما
حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري
وابي حنيفة والكوفيين والقول الآخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له
بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح
كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها
دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الاية قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد
حقا لنحن شر من الحمير وقيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن
كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ان قائل
مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال
عليه الصلوة والسلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم
في الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه الصلوة
والسلام القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره فصل فان قلت فلم لم يقتل
النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل

الاشتر الذي قال له ان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقد اوذي النبي صلى الله عليه وسلم
من ذلك وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا
يؤذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول
الاسلام يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم و
يداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا و
سكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان عليه الصلاة
والسلام يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من اذاهم
ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان
وبذلك امره الله فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم
واصفح الاية وقال ادفع بالتي هي احسن الاية وذلك لحاجة الناس للتألف اول الاسلام وجمع
الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله
بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم او غلبة
ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه كابن
الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك هدر صلى الله عليه وسلم دم جماعة سواهم
ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن اذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين
وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه الصلوة والسلام على الظاهر واكثر تلك
الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها
ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا في فيئهم ورجعتهم
الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه الصلوة والسلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولو العزم
من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله
بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار

وقد اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده عليه الصلوٰة
والسلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب
من صبي وعبد وامراة والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود في السلام
وانهم لووا به السنتهم فلم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عائشة رضي الله عنها ولو
كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه عليه الصلوٰة والسلام اصحابه على فعلهم
وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان
اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال
بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم
ولم يات انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم صلى الله عليه وسلم وايضا فان الامر كان سرا
وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار
والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين
في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وانصار
الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم
وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند
وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم
الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رايت
معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله ولهذا قال عليه الصلوٰة والسلام
لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا
بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء
الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه
وسلم وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته

المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الاية قال معناه اذا اظهروا
النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين نسخت ما كان قبلها وقال بعض مشائخنا لعل القائل هذه
قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم الطعن عليه
والتهمة له وانما رآها من وجه الغلط في الرأي وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها
فلم ير ذلك سبا ورأى انه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه
وكذلك يقال في اليهود اذا قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب لا دعاء الا بما لا بد
منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسأمون دينكم والسام و
السآمة الملال وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا
الحديث باب اذا عرض الذمي وغيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا
وليس هذا بتعريض بالسب انما هو تعريض بالاذى قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه صلى الله عليه وسلم سواء وقال القاضي ابو محمد بن
نصر رضي الله عنه مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث هل
كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحرب ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل
والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف والمداراة على الدين
لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال
الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر
عليه الصلوة والسلام لهم على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم
واذن له في قتل من حينه منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على
من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين و

كاشفهم بالسب فقال يا إخوة القردة والخنازير وحكّم فيهم سيوف المسلمين وأجلاهم
من جوارهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم ليكون كلمة الله هي العليا وكلمة
الذين كفروا السفلى فإن قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة أنه عليه الصلوٰة
والسلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم
أن هذا لا يقتضي أنه لم ينتقم ممن سبّه أو آذاه أو كذّبه فإن هذه من حرمات الله التي
انتقم منها وإنما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلّق بسوء أدب أو معاملة من القول
والفعل في النفس والمال مما لم يقصد فاعله به أذاه لكن مما جُبلت عليه الأعراب من
الجفاء والجهل أو جُبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الأعرابي رداءه حتى أثّر في عنقه و
كرفع صوت الآخر عنده وكجحد الأعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان
من تظاهر زوجيه عليه وأشباه هذا مما يحسن الصفح عنه أو يكون هذا مما أذاه كافر
رجاء بعد ذلك إسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الأعرابي الذي أراد قتله
وعن اليهودية التي سمّته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما بلغه من أذى أهل الكتاب والمنافقين
وصفح عنهم رجاء استئلافهم واستئلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق *

فصل قال الفقيه القاضي أبو الفضل رضي الله عنه تقدم الكلام في قتل القاصد لسبّه
عليه الصلوٰة والسلام والإزراء به وغمصه بأي وجه كان من ممكن أو محال فهذا
وجه بيّن لا إشكال فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو أن يكون القائل
لما قال في جهته صلى الله عليه وسلم غير قاصد للسب والإزراء ولا معتقداً له ولكنه
تكلم في جهته صلى الله عليه وسلم بكلمة الكفر من لعنه أو سبّه أو تكذيبه أو إضافة
ما لا يجوز عليه أو نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه الصلوٰة والسلام نقيصة مثل أن
ينسب إليه إتيان كبيرة أو مداهنة في تبليغ الرسالة أو في حكم بين الناس أو يغضّ من
مرتبته أو شرف نسبه أو وفور علمه أو زهده أو يكذّب بما اشتهر من أمور أخبر بها

عليه الصلوة والسلام وتواتر الخبر بما عنه عن قصد لرد خبره او يأتي بسفه من القول او
قبيح من الكلام ونوع من السب في حقه وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه
اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه او
عجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم (توقف) اذ لا يعذر احد
في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الا
من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور (الاسير) يسب النبي صلى الله
عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن محمد بن ابي زيد لا يعذر احد
بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم
في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر
كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لانه من شرب الخمر على علم من زوال
عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق
والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله
عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه ثمل (سكران) فانصرف
لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا
كما يحدث عن النوم وشرب الدواء المأمون **فصل** الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه
فيما قاله او اتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين
آخر غير ملته ام لا (اي سواء انتقل) فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه
اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا تسقط القتل عنه توبته
لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان
كان متسترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه

إن شاء الله تعالى قال أبو حنيفة وأصحابه من برئ من محمد أو كذب به فهو مرتد حلال الدم إلا أن يرجع
وقال ابن القاسم في المسلم إذا قال إن محمدا ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما
هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكره من المسلمين فهو
بمنزلة المرتد وكذلك من أعلن بتكذيبه فهو كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم أنه
يوحى إليه وقاله سحنون وقال ابن القاسم دعا إلى ذلك سرا أو جهرا قال أصبغ وهو كالمرتد لأنه
قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال أشهب في يهودي تنبأ أو زعم أنه أرسل إلى
الناس أو قال إن بعد نبيكم نبي أنه يستتاب إن كان معلنا بذلك فإن تاب وإلا قتل وذلك
لأنه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله في دعواه عليه الرسالة
والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله
فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الأمة القتل وقال أحمد
بن أبي سليمان صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم أسود قتل لم يكن عليه
الصلاة والسلام بأسود وقال نحوه أبو عثمان الحداد قال لو قال إنه مات قبل أن يلتحي
أو أنه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لأن هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه
كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة

فصل الوجه الرابع أن يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على
النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره أو يتردد في المراد به من سلامته من المكروه أو شره فههنا
متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول
وقتل المؤمن من الموبقات وقد اختلف أئمتنا في رجل أغضبه غريمه فقال له صل على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو

كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال الا اذا كان على
ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا للشتم وقال ابو اسحاق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل
لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله
عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله
عليه وسلم او شتم الملائكة ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده
الناس غير هؤلاء لاجل قول الآخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه
الآن لاجل امر الآخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه
وذهب الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسي
في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق
عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده وهل اراد اصحاب
الفنادق الآن فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه
العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء و
الرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه التاويلات
لا بد من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال
لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر انه لم يرد الانبياء وانما
اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال
لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبيع حاضر لباد ولعن ما
جاء به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفته بالسنن فعليه الادب الوجيع وذلك
ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه من الناس
على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسئلة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء
الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول

ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد من آبائه وأجداده جماعة من الانبياء ولعل بعض هذا
العدد منقطع الى آدم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب
فيه ولو علم انه قصد سب من في آبائه من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في مثل هذا
لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي
صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية النبي
صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسألتين تقتضي تخصيص بعض آبائه واخراج النبي
ممن سبه منهم وقد رأيت لأبي موسى ابن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى آدم انه ان
ثبت عليه ذلك قتل قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وقد كان اختلف شيوخنا رحمهم الله
فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الآخر الانبياء يتهمون فكيف انت
كان شيخنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد
بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال ظاهر اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من
الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله ابن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده
واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد
عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله محمد بن عيسى ايام قضائه اتي
برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون
قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من
يستراب بدينه فلما لم يجد عليه ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه فصل
الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه
او يستشهد ببعض احواله عليه الصلاة والسلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب
المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته
ليس على سبيل التأسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل

التمثيل وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه وسلم او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل
ان قيل في السوء فقد قيل في النبي صلى الله عليه وسلم وان كذبت فقد كذب الانبياء او
ان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبياء الله تعالى ورسله
او قد صبرت كما صبر اولوا العزم من الرسل او كصبر ايوب وقد صبر نبي الله من
عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي ؎ انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود
ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري ؎ كنت
موسى وافته بنت شعيب ٭ غير ان ليس فيكما من فقير على ان اخر البيت شديد وداخل
في باب الازراء والتحقير بالنبي وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله ؎ لولا انقطاع
الوحي بعد محمد ٭ قلنا محمد من ابيه بديل هو مثله في الفضل الا انه ٭ لم ياته برسالة جبريل
فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيه غير النبي في فضله بالنبي صلى الله
عليه وسلم والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر
استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو منه قول الاخر ؎ واذا ما رفعت راياته صفقت
بين جناحي جبرئين وكقول الاخر من اهل العصر ؎ فر من الخلد واستجار بنا ٭ فصبر الله
قلب رضوان وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف
بالمعتمد وفي وزيره ابي بكر بن زيدون ؎ كان ابا بكر ابو بكر الرضى وحسان حسان وانت محمد
الى امثال هذه وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل كثير
من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه
من الوزر وكلامهم فيه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما
الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري
بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد
اجبنا عنه وغرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها

وان لم يتضمن سبّاً ولا اضافة الى الملائكة والانبياء عليهم الصلوة والسلام نقصاً لست
اعني عجزي بيتي المعرّي ولا اقصد فانهما اذ ادرجه وشيئاً اما وقّر النبوة ولا عظّم الرسالة و
لا عزّر حرمة المصطفى ولا عزّز حظوة الكرامة حتى شبّه من شبّه في كرامة نالها او معرّة قصد
الانتفاء منها او ضرب مثلاً لتطييب مجلسه او اغلاءً في وصفٍ لتحسين كلامه بمن عظّم الله
خطره وشرّف قدره والزم توقيره وبرّه ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده
فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى
قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله او ندوره او قرينة كلامه او ندمه على ما سبق منه
ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله
سه فان يك باقي سحر فرعون فيكم ۔ فان عصا موسى بكف خصيب قال له يا ابن اللخناء
انت المستهزئ بعصا موسى وامر باخراجه من عسكره من ليلته وذكر القتيبي ان مما
اخذ عليه ايضاً وكفّر به او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه
وسلم حيث قال سه تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها ۔ خلقاً وخلقاً كما قدّ الشراكان
وقد انكروا عليه ايضاً قوله سه كيف لا يدنيك من امل ۔ من رسول الله من نفره لان
حق الرسول وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف فالحكم في امثال هذا
ما بسطناه في طريق الفتيا وعلى هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس و
اصحابه في النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عيّر رجلاً بالفقر فقال له تعيّرني بالفقر
وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مالك قد عرّض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدّب
قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطأت الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا
كاتباً يكون ابوه عربياً فقال كاتب له قد كان ابو النبي صلى الله عليه وسلم كافراً فقال
جعلت هذا مثلاً فعزله وقال لا تكتب لي ابداً وقد كره سحنون ان يصلّى على النبي صلى الله
عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب تعظيماً وتوقيراً له كما امرنا الله تعالى

وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان

فقال اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه

حين راه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد لانه جرى

مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب واقع

على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن النار

فقد جفا الذي ذكره عندما انكر من عبوس الاخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته

فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه

في فعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل

هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب المعاقبة

الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف

بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فانك امي فقال له الشاب اليس كان النبي اميا

فشنع عليه مقاله وكفره الناس واشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن

اما اطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم

وكون النبي اميا اية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه

بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب واعترف ولجأ الى الله تعالى

فيترك لان قوله لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه

يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسألة استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي

ابا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه اخر بشيء فقال له انما تريد نقصي بقولك

وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم

يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله **فصل** الوجه السادس

ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره واثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته

وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة اوجه الوجوب والندب والكراهة
والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه
والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب او في مجلس
على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب
بحسب حالات الحاكي بذلك والمحكي عنه فان كان القائل لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه
العلم او رواية الحديث او يقطع بحكمه او بشهادته او فتياه في الحقوق وجب على سامعه
الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه
ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين و
قياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب الصبيان فان من
هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم فيتاكد في هؤلاء الايجاب لحق النبي
صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي
صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق
على كل مؤمن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الامر
سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه وعضد التحذير منه
وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد
بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى ايسعه ان لا يؤدي شهادته
قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما
شهد به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة لحكاية
قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي
صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي
بمباح واما للاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى

مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الإنكار لقولهم والتحذير من كفرهم و
الوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث
النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة
الهدى من المسلمين على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها
للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على الحارث
بن اسد فقد صنع احمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وفي هذه الوجوه السائغة
الحكاية عنها واما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه على وجه الحكايات
والاسمار والطرف واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان
ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع
والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه
او لم تكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه
واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب
له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب اشد وقد حكي ان رجلا سال
مالكا عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن
غيري فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ
بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره
او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف له
او التحفظ لمثله وطلبه او رواية اشعار هجوه عليه الصلاة والسلام وسبه فحكم هذا
حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية
امه وقد قال ابو عبيد القاسم بن سالم فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه
وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به

النبي صلى الله عليه وسلم وقرائه وكتابته وتركه متى وجد لذلك محيصا رحم الله اسلافنا المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من قائلها واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم

فصل الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي او يختلف في جوازه عليه وما يطرأ من الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله تعالى على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقهه او يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن وقد قال عليه الصلوة والسلام مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج لله تعالى لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل

ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله يُتمه وعَيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر
الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدئه والتعجب من منح الله قِبَله وعظيم منته عنده
ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته إذ أظهره الله بعد هذا على صناديد
العرب ومن ناواه من أشرافهم شيئاً فشيئاً ونمى أمره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم
واستباحة ممالك كثير من الأمم غيرهم بإظهار الله تعالى له وتأييده بنصره وبالمؤمنين و
ألّف بين قلوبهم وإمداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك أو ذا أشياع متقدمين لحسب
كثير من الجهال أن ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سأل أبا
سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه
وإذ اليتم من صفته وإحدى علاماته في الكتب المتقدمة وأخبار الأمم السالفة وكذا وقع ذكره
في كتاب أرمياء وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لأبي طالب وكذا إذا وُصف بأنه
أمّي كما وصفه الله تعالى به فهي مِدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته إذ معجزته العظمى
من القرآن العظيم إنما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما مُنح صلى الله عليه وسلم
وفُضّل به من ذلك كما قدمناه في القسم الأول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب
ولم يدارس ولا لُقّن مقتضى العجب ومنتهى العِبَر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة إذ
المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وإنما هي آلة لها وواسطة موصلة إليها غير مرادة
في نفسها فإذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والأمية في غيره
نقيصة لأنها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين أمره من أمر غيره وجعل
شرفه فيما فيه محطّة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه وإخراج حشوته
كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته
وفنائه وهلمّ جرّاً إلى سائر ما روي من أخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم
والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في أموره وخدمته بيته زهداً ورغبة عن الدنيا وتسوية

بين تحقيرها وحقيرها لسرعة فناء أمورها وتقلب أحوالها كل هذا من فضائله ومآثره
وشهرته كما ذكرناه فمن أورد شيئًا منها مؤيده وقصد بها مقصده كان حسنًا ومن أورده
على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك
ما ورد من أخباره وأخبار سائر الأنبياء عليهم الصلوة والسلام في الأحاديث مما في
ظاهره إشكال يقتضي أمورًا لا تليق بهم بحال وتحتاج إلى التأويل وتردد احتمال فلا يجب أن
يتحدث منها إلا بالصحيح ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت ورحم الله مالكًا فقد كره التحدث
بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس إلى التحدث
بمثل هذا فقيل له إن ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه
رحمه الله على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها فأكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة
من السلف بل عنهم على الجملة أنهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله
عليه وسلم أوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته و
مجازه واستعارته وبليغه وإيجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة
وداخلته الأمية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب إلا نصها وصريحها ولا يتحقق إشاراتها
إلى غرض الإيجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تأويلها وحملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من آمن
ومنهم من كفر فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث فواجب ألا يذكر منها شيء في حق الله
ولا في حق أنبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك
الشغل بها إلا أن تذكر على وجه التعريف بأنها ضعيفة المعنى واهية الإسناد وقد أنكر
الأشياخ على أبي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على أحاديث ضعيفة موضوعة لا أصل لها
أو منقولة عن أهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه
عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها إذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها إزالة اللبس بها
واجتثاثها من أصلها وطرحها أكشف للبس وأشفى للنفس فصل ومما يجب على المتكلم

فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل
قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه الصلوٰة والسلام
وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله ويظهر عليه
علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض
والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي عليه الصلوٰة والسلام لو قدر عليه والنصرة
له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه الصلوٰة
والسلام تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة
ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف
في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب
جملة واحدة فاذا تكلم على العلم قال هل يجوز عليه الا يعلم الا ما علم وهل يمكن الا يكون
عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته
واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة
بعض الصغائر فهو اولى وادب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا
من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه الصلوٰة والسلام وما يجب له من تعزير
واعظام صلى الله عليه وسلم وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم
استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قد قوله لاجل ترك تحفظه في العبارة
ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا
في ادابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه عليه الصلوٰة والسلام اوجب
والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح الشيء او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الشيء او
يهونه ولهذا قال عليه الصلوٰة والسلام ان من البيان لسحرا فاما ما اورده على جهة
النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب

فحكمه على حاله ولكن مع هذا يجب أن يتثبت توقيره وتعظيمه وتنزيهه عند ذكره مجردا فكيف
عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف الصالح تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما
قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى الله فيها
مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته إعظاما لربه
وإجلالا له وإشفاقا من التشبه بمن كفره

الباب الثاني

في حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته عليه الصلاة والسلام

قال القاضي أبو الفضل رضي الله تعالى عنه قد قدمنا ما هو سب وأذى في حقه عليه الصلاة
والسلام وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله وتخيير الإمام في قتله أو صلبه على
ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وأقوال السلف
وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا إن أظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه
استقالته ولا فيئته كما قدمناه وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء
كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله أو جاء تائبا من قبل نفسه
لأنه حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ أبو الحسن القابسي رحمه الله تعالى
إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر التوبة قتل بالسب لأنه هو حده وقال أبو محمد بن أبي زيد مثله وأما ما بينه وبين الله تعالى
فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب
لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق إذا جاء تائبا فحكى القاضي أبو الحسن
ابن القصار في ذلك قولين قال ومن شيوخنا من قال أقتله بإقراره لأنه كان يقدر على ستر
نفسه فلما اعترف خفنا أنه خشي الظهور عليه فبادر بذلك ومنهم من قال أقبل توبته
لأني أستدل على صحتها بمجيئه فكأنا وقفنا على باطنه بخلاف من أسرته البينة قال القاضي
أبو الفضل رضي الله عنه وهذا قول أصبغ ومسألة ساب النبي صلى الله عليه وسلم أقوى

ولا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته
بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك
والليث واحمد واسحق لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف
وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة
من سبه عليه الصلوة والسلام لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا
القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر قال القاضي ابو محمد بن نصر
محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته
ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله تعالى بنبوته والبارى
تعالى منزه عن جميع المعائب قطعا وليس من جنس تلحقه المعرة بجنسه وليس سبه عليه الصلوة
والسلام كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه
لغيره من الآدميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لآدمي
فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف
وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب
النبي صلى الله عليه وسلم لكفره ولكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك
لا تسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه يريد والله اعلم لان سبه لم
يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان بتوبته واظهار انابته
ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وقال ابو عمران القابسي من
سب النبي عليه الصلوة والسلام ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من حقوق
الآدميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا
كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك
ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل

وان لم نحكم له بحكم المرتد مطلقا فهذا الوجه والوجه الاول اظهر واشهر لما قدمنا
ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم نره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما نقول ذلك
مع فصلين اما مع انكاره ما شهد به عليه واظهاره الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات
كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه
في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر وتاب فان قيل فكيف تثبتون
عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها
قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد و
النبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع
عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت
له خصائصه كقتل تارك الصلوة واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك
في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مما
لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله و
متقدم كفره وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر
التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك
حرمة الله تعالى وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام
العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها
على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى **فصل** اذا قلنا بالاستتابة حيث
تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق بينهما وقد اختلف السلف
في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور العلماء على ان المرتد يستتاب وحكى ابن
القصار انه اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم
وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء بن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك

واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد بن حنبل واسحق واصحاب الرأي وذهب طاؤس ومحمد بن الحسن
وعبيد بن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره
عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر
قالوا وتنفعه توبته عند الله تعالى ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم من
بدل دينه فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب
الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروي عن علي لا تقتل المرتدة
وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس لا تقتل النساء في الردة وبه قال
ابو حنيفة وقال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما مدتها فمذهب
الجمهور وروي عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد
قولي الشافعي وقول احمد واسحاق واستحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار الا بخير
وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ محمد بن ابي زيد رحمه الله يريد في الاستيناء ثلاثا
وقال مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان
تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن القصار في تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك
واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الرأي وروي عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي مرة فقال ان لم يتب قتل مكانه
واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل وروي عن علي
يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى ابن القصار
عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة
وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه
واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما
علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ

يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ
في تلك الايام ويخوف بالنار ويذكر بالجنة قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من
السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله خيفة ان يتلفه على
المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى
الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما
رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم وقال اسحق يقتل في الرابعة وقال اصحاب
الرأي ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج
من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد
في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي **فصل** هذا حكم
من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم
الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا
وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد
الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة
حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال
من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام
لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به
لاشكال وعائق اقتضاه امره وحالات الشدة عليه في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك
والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه
وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله ابن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد
عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الوجيع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته
وقال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل في القتل لم ينبغ

ان يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من
القيد ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شداً ويضيق عليه في السجن حتى
ينظر فيما يجب عليه وقال في مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي
الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى
شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما
فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك و
يكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه
بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد

فصل هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه
بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد
على هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم
قالوا لا يقتل وما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا
على قتله بقوله عز وجل وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الاية ويستدل
ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم و
لم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد
ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفاراً اهل حرب يقتلون لكفرهم وايضا فان
ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم
وان كان ذلك منهم حلالاً عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون
به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف
عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه
المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله

بخلاف المسلم اذا سبّه ثم تاب لانا نعلم باطن الكافر في بغضه له وتنقّصه بقلبه لكنه
منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضاً للعهد فاذا رجع عن دينه الاول
الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ
والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعدُ رجوعه
ولا استنمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم
يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم
وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام
بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا
كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب ابن حبيب المبسوط
وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبياً من اهل الذمة
او احداً من الانبياء عليهم الصلوة والسلام قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية
وعند محمد وابن سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة
وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او
غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروي لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر
وقد روى ابن وهب عن ابن عمران راهباً تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر
فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال ان محمداً لم يرسل الينا انما ارسل
اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لان الله تعالى اقرهم على مثله
واما ان سبّه فقال ليس بنبي ولم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوّله
او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين
الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمداً رسول الله فقال كذلك
يعطيكم الله ففي هذا الادب الوجيع والسجن الطويل قال واما ان شتم النبي صلى الله عليه

وسلم ثم أسلم فإنه يقتل إلا أن يسلم قاله مالك في غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم
محمل قوله عندي ان أسلم طائعا وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول
للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر من
رواية سحنون عنه من شتم الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت
عنقه إلا ان يسلم قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا
فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا صلى الله
عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا في
قول قائل كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه
من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه ما ذكره ابن
سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به
كفروا فتامله ويدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى ابو المصعب الزهري
قال اتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته
او عاش يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة فأكلته الكلاب وسئل
ابو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم سألنا مالكا
عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة فهو الآن في الجنة
ماله لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تأكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس قال مالك
ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم فيها بشيء ثم رأيت انه لا يسعني الصمت
قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فأرى
للامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا
في سبه ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم المتقدمة قال فأمرني مالك

فكتبت اليه بان يقتل وان تضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق
بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه و
نفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق بالنار وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة
سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية و بنوة عيسى لله
وتكذيب محمد في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها به قال غير واحد من المتأخرين
منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله
من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسلم روايتين في درء
القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقط
عن الذمي اسلامه وانما تسقط عنه باسلامه حدود الله واما حد القذف فحق للعباد
كان ذلك من نبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم
حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو
القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد
ثمانين فتأمله **فصل** في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلوة
عليه اختلف العلماء رضي الله عنهم في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب
سحنون الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق
وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستسرا بذلك وان كان مظهرا له مستهلا
به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر
للشهادة فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس
من الميراث في شيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه
وسائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك
كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما

يُقتل بالكفار وقول الشيخ ابى الحسن فى الجاهل المتمادى بيّن لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد
غير تائب ولا مُقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك فى كتاب ابن سحنون فى الزنديق يتمادى
على قوله ومثله لابن القاسم فى العتبية ولجماعة من اصحاب مالك فى كتاب ابن حبيب فيمن
اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من اهل
الدين الذى ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقال اصبغ قتل على ذلك او مات
عليه وقال ابو محمد بن ابى زيد وانما يختلف فى ميراث الزنديق الذى يستهل بالتوبة
فلا تقبل منه فاما المتمادى فلا خلاف فى انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى
ثم مات ولم تعدل عليه بينة او لم تقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم فى
كتاب ابن حبيب فيمن كذب بالنبى صلى الله عليه وسلم او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام
ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين فلا يرثه ورثته ربيعة
والشافعى وابو ثور وابن ابى ليلى واختلف فيه عن احمد وقال على ابن ابى طالب وابن مسعود
وابن المسيب والحسن والشعبى وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعى والليث واسحاق
وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه فى الارتداد
فللمسلمين وتفصيل ابى الحسن فى باقى جوابه حسن بيّن وهو على رأى اصبغ وخلاف قول سحنون
واختلافهما على قولى مالك فى ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت
عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة
وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين
الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه فى العتبية وكتاب
محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب
والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم فى العتبية الى انه ان اعترف بما
شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث فان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك

كل من أشرك كفرا فانهم سواء توارثون بوراثة الإسلام وسئل أبو القاسم بن الكاتب عن النصراني
يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه أهل دينه أم المسلمون فأجاب إنه للمسلمين
ليس على جهة الميراث لأنه لا توارث بين أهل ملتين ولكن لأنه من فيئهم لنقضه العهد
هذا معنى قوله واختصاره

الباب الثالث

في حكم من سب الله تعالى وملائكته وأنبيائه وكتبه وآل النبي عليه الصلوة والسلام وأزواجه
وصحبه لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال
ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب إسحاق بن يحيى
من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب إلا أن يكون افترى على الله بارتداده إلى دين دان
به وأظهره فيستتاب وإن لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله
وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك
اليهودي والنصراني فإن تابوا قبل منهم وإن لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك
كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وأفتى أبو محمد بن أبي زيد رحمه الله
تعالى فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال إنما أردت أن ألعن الشيطان
فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره وأما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور
واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هارون بن حبيب أخي عبد الملك الفقيه وكان
ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها أنه قال عند استقلاله
من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت أبا بكر وعمر لم أستوجب هذا كله فأفتى إبراهيم
بن حسين بن خالد بقتله وأن مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه
كالتصريح وأفتى أخوه عبد الملك بن حبيب وإبراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن
سليمان القاضي بطرح القتل عنه إلا أن القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة في

الادب لاحتمال تلافيه وصرفه الى التشكل فوجه من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة

انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى فاشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى

واظهار الانتقال من دين الى دين آخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته

انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو

معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من

دين الى دين آخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد علم انه قد خلع ربقة الاسلام من عنقه

بخلاف الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر

اهل العلم وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله **فصل**

واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر

ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او

نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده

واختلف قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم

يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه

ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر

اقلاعهم وتستبان توبتهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج و

قول عبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك

في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية

يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء من الاباضية

والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتأويل كتاب الله تعالى يستتابون

اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن

القاسم في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم

يعيد ومثله له في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون
وانما قتلوا لرأيهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله
لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم
وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روى ايضا مثله عن سحنون فيمن قال
ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي
مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه
قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار
وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده يد او سمع او بصر قطع
ذلك منه لانه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا
في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه
يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري
من ائمة العراقيين من اصحابنا جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف
اختلف قوله في اعادة الصلوة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري
واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روي عنهم
ذلك فيمن قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث
وابو اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين وهو من قول اكثر المحدثين
والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع
المتأولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول
وممن روي عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن عمر
والحسن البصري وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة
والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين

وتجري احكام الاسلام عليهم وقال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية وسائر اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب ان رأى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضا في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة

فصل في تحقيق القول في اكفار المتاولين

قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتاولين ممن قال قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه اليه قوله وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المسلمين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونورثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم في وقت ولا في غيره وقال وهو قول جميع اصحاب مالك منهم المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير او ضده واختلاف قول مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلوة خلفهم منه والى نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في المسئلة على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على رأي من كفرهم بالتاويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلوة على ميتهم ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو

يحيل بوجود البارئ تعالى وقال مرة من استقرأت أنه جسم أو المسيح وبعض من يلقاه
في الطريق فليس بعارف به فهو كافر ولمثل هذا ذهب أبو المعالي في أجوبته لأبي محمد عبد الحق
وكان سأله عن المسألة فاعتذر له بأن الغلط فيها يسير لأن إدخال كافر في الملة وإخراج
مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير
في أهل التأويل فإن استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ في ترك ألف
كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال صلى الله عليه وسلم فإذا
قالوا ذلك يعني الشهادة عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة
مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها إلا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس
عليه وألفاظ الأحاديث الواردة في الباب معرضة للتأويل فما جاء منها في التصريح
بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الإسلام وتسمية الرافضة بالشرك وإطلاق
اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من أهل الأهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير
وقد يجيب الآخر بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ
وكفر دون كفر وإشراك دون إشراك وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين و
الزوج وغير معصية وإذا كان محتملا للأمرين فلا يقطع على أحدهما إلا بدليل قاطع و
قوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت أديم السماء
طوبى لمن قتلهم أو قتلوه وقال عليه الصلوة والسلام فإذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر
هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر إنما ذلك
من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون
أهل الإسلام فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس
كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني أضرب عنقه
يا رسول الله فقال لعله يصلي فإن احتج بقوله صلى الله عليه وسلم يقرؤون القرآن

لا يجاوز حناجرهم فأخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم يمرقون
من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يرجعون اليه حتى يعود السهم الى فوقه وبقوله
صلى الله عليه وسلم سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشيء اجابه الاخرون
ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل
جوارحهم وعارضوهم بقوله صلى الله عليه وسلم ويتمارى فى الفوق وهذا يقتضى التشكك
فى حاله وان احتجوا بقول ابى سعيد الخدرى فى هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يخرج فى هذه الامة ولم يقل من هذه الامة وتحرير ابى سعيد الرواية
واتقانه اللفظ اجابهم الاخرون بان العبارة بفى لا تقتضى تصريحا بكونهم من غير الامة
بخلاف لفظة من التى هى للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روى عن ابى ذر و
على وابى امامة وغيرهم فى هذا الحديث يخرج من امتى وسيكون من امتى وحروف المعانى
مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفى ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد
رضى الله عنه اجاد ما شاء فى التنبيه الذى نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة
وتحقيقهم للمعانى واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم فى الرواية هذه المذاهب
المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر
بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متاول كان تاويله تشبيها
لله بخلقه وتجويرا له فى فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال
له الله فهو كافر وقول بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما
هو من اوصاف الله تعالى فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم
يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبرى الى تصويب اقوال
المجتهدين فى اصول الدين فيما كان عرضة للتاويل وفارق فى ذلك فرق الامة اذ اجمعوا
سواه على ان الحق فى اصول الدين فى واحد والمخطئ فيه اثم عاص فاسق وانما الخلاف

فى تكفيره وقد حكى القاضى ابوبكر الباقلانى مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهانى
وقال حكى قوم عنهما انهما قالا ذلك فى كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع فى
طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة فى ان كثير
من العامة والبله والنساء ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم
اذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالى قريبا من هذا المنحى فى كتاب التفرقة
وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق
دين الاسلام او وقف فى تكفيرهم او شك قال القاضى ابوبكر لان التوقيف والاجماع
على كفرهم فمن وقف فى ذلك كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه
لا يقع الا من كافر فصل فى بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه
وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع و
لا مجال للعقل فيه والفصل البين فى هذا ان كل مقالة صرحت بنفى الربوبية
او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهى كفر كمقالة الدهرية وسائر
فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس او النجوم
او النار او احد غير الله تعالى من مشركى العرب واهل الهند والصين والسودان و
غيرهم ممن لا يرجع الى كتاب فكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية
والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بالهية الله تعالى ووحدانيته ولكنه
اعتقد انه غير حى او غير قديم وانه محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة
او والدا او انه متولد من شىء او كائن عنه او ان معه فى الازل شيئا قديما غيره او ان
صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالهيين
من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله تعالى والعروج

اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى
والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على
مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الآباد
في الاشخاص وتعذيبها او تنعيمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية
والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
خصوصا او احد من الانبياء الذين نص الله عز وجل عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر
بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين
ان عليا كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية
من الرافضة وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك من
(وفي نسخة اشتركوا)
دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على الانبياء
الكذب فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين
وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا
(كالوجودية)
ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور الآخرة
والحشر والنشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها و
مفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح
(الرسل)
لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرائع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب
الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد
الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف
به او باحد من الانبياء او ازرى عليهم او آذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر
باجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في ان في كل جنس من الحيوان
نذيرا او نبيا من القردة والخنازير والدواب والدود وغير ذلك ويحتج بقوله تعالى

وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى ان توصف انبياء هذه الامة
بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا النبي المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين
على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم
ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي او ليس
الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب
به وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا عليه الصلوة والسلام او بعده كالعيسوية
من اليهود القائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل و
كاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده
وكذلك كل امام عندهم يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيغية والبيانية
منهم القائلين بنبوة بزيغ وبيان واشباه هؤلاء او من ادعى النبوة لنفسه او
جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة و
كذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء
ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون
للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر
عن الله تعالى انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام
على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء
الطوائف كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص
الكتاب وخص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج
بابطال الرجم ولهذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف
فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب
سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل

(١) في نسخة نعم حيث يجمع النون مع الياء والاضافة

قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة او تكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة
بتكفير جميع الامة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا
اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة
باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القران اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم
اشار مالك رحمه الله في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه اخر بسبهم
النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي وهو يعلم انه
يكفر بعده على قولهم لعنهم الله وصلى الله على رسوله محمد واله وكذلك نكفر بكل فعل
اجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله
ذلك الفعل كالسجود للصنم وللشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنائس و
البيع مع اهلها والتزي بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤس فقد اجمع المسلمون
ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها
بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر او الزنا
او شيئا مما حرم الله عز وجل بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة
المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع و
ما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ووقع الاجماع
المتصل عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوات او عدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب
الله علينا في كتابه الصلوة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه
اذ لم يرد به في القران نص جلي والخبر به عن الرسول خبر واحد وكذلك اجمع المسلمون
على تكفير من قال من الخوارج ان الصلوة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم
ان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة
منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم

أو استقبالها وبأنها كل شيء لهم ورفع عهدة الشرائع عنهم وكذلك ان انكر مكة او البيت
او المسجد الحرام او صفة الحج او قال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه
على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل
هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي عليه الصلوة والسلام فسرها بهذه التفاسير
غلطوا او وهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن
خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد بالاسلام فيقال له سبيلك
ان تسأل عن هذا الذي لا تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن
كافة الى معاصر الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة
هي مكة والبيت الذي فيها الكعبة والقبلة التي صلى لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج و
المراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوة
المذكورة هي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله عز وجل بذلك
وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك و
المنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق لا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق
فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع
الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم
وفعله وتفسير مراد الله عز وجل ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون
لها وللقرآن وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القرآن او حرفا منه او
غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي
صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الصيمري
انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة

فى كفرهما بهذا القول وكذلك نكفرهما بانكارهما ان يكون فى سائر معجزات النبى صلى الله
عليه وسلم حجة له او فى خلق السموات والارض دليل على الله تعالى لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر
عن النبى صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القران به وكذلك من انكر شيئا
مما نص فيه القران بعد علمه انه من القران الذى فى ايدى الناس ومصاحف المسلمين
ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده
ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب
للقران ومكذب للنبى صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة
او النار او البعث والحساب او القيمة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة
نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر
والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة
كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعمهم ان معنى القيامة
الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة
وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة فى قولهم ان الائمة افضل من الانبياء فاما
من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التى لا ترجع الى ابطال الشريعة
ولا تفضى الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابى بكر
وعمر او قتل عثمان او خلافة على مما علم بالنقل ضرورة وليس فى انكاره جحد
شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس فى ذلك اكثر
من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة على من خالفه فاما ان
ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى
ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذى ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع
فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار فى هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع

الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموماً وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين الآية وقوله صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة قيد شبر
فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب آخرون الى
الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء وذهب آخرون الى التوقف
في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف
اجماع السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع قال القاضي ابو بكر القول عندنا ان
الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول و
لا رأي الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع
المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله
او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله عز وجل لا يكون الا باحد ثلاثة امور
احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان يأتي فعلاً او يقول قولاً يخبر الله ورسوله او
يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام
الزنار مع اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول والفعل لا يمكن معه العلم بالله
قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلاً بالله تعالى فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ
من الايمان واما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصراً
في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال
الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه
عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين
كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء ههنا فكفره بعضهم
وحكي ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري مرة وذهبت طائفة
الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقاداً

يقطع بصوابه ويراه ديناً وشرعاً وانما نكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هو للاعجمية
السوداء ان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله
علي وفي رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال فيغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات
وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه منها
ان قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه بل في نفس البعث الذي
لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه
حينئذ كفراً فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى
ضيّق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضباً لعصيانها وقيل انما قال ما قاله وهو
غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي
اذهلت قلبه فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد
وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل
العارف وله امثلة في كلامهم كقوله عز وجل لعله يتذكر او يخشى وقوله عز وجل
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال
اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب
المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفّره لانه اذا نفى العلم
انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم و
هكذا عند هذا سائر فرق اهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم
بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا
لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم
انه كفر بل نقول ان قولنا لا يؤول اليه على ما اصّلناه فعلى هذين المأخذين اختلف
الناس في اكفار اهل التأويل واذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك

والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم بالخسران وإجراء حكم الإسلام عليهم
في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين
وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا
عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الأول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة
وبعدهم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما
أزاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب والنفي و
القتل على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال عصاة أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة
ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي أبو الفضل
وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء الأعراض و
التولد وشبهها من الدقائق فالمنع من إكفار المتأولين فيها أوضح إذ ليس في الجهل
بشيء منها جهل بالله تعالى ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا
في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما أغنى عن إعادته بحول الله تعالى

فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى وأما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر في ذمي
تناول من حرمة الله غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب
وقال مالك في كتاب ابن حبيب ومبسوطه وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن
سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر قتل ولم يستتب
قال ابن القاسم إلا أن يسلم قال في المبسوطة طوعا قال أصبغ لأن الوجه الذي به كفروا هو
دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد وأما غير هذا من الفرية
والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم
من غير أهل الأديان الله عز وجل بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم وقال
المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما

كان او كافرا فان تاب لم يقتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال ابو محمد
بن ابي زيد من سب الله بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب
قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفتياهم
بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به لله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم واجماعهم على
ذلك وهو نحو القول الآخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي
كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله تعالى وسب نبيه صلى الله عليه وسلم لانا عاهدناهم
على ان لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم ولا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه
فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن
عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل
لانه دين لا يقر عليه احد ولا تؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب ولا اعلم من قاله غيره
فصل هذا حكم من صرح بسبه تعالى واضافة ما لا يليق بجلاله والهيته فاما مفتري
الكذب على الله تعالى بادعاء الالهية او الرسالة او النافي ان يكون الله خالقه او ربه
وقال ليس لي رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا اختلاف
في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور
وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد
العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا من تكرر
ذلك منه وعرفت استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار
كالزنديق الذي لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي واما المجنون
والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما
فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه
كما يؤدب على قبائح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة

على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله عنه من ادعى له الالهية
وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء و
الملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم على تصويب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم
كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل
الحلاج وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة
ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن ابي العزاقر وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا
ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ ابو الحسن بن عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم
في المبسوط من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه او
قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن تنبأ
يستتاب اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقاله اشهب في يهودي
تنبأ وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو
محمد في من لعن بارئه وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره و
لا يقبل عذره وهذا على القول الآخر من انه لا تقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي في سكران
قال انا الله ان تاب ادب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر
المتلاعبين **فصل** اما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه و
اهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشياء
ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد
للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه
واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك
ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن
خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال

بدار الخزار يونس جلوة وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى بن
وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول
يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في
عنقي أيشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع
المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من
حظاياه واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بقول ابن حبيب وصاحبه
وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في
هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت منه من ذلك الهنة
الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر
مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد
سئل ابن القاسم رحمه الله تعالى عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك
قال ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله وشرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو
قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من
سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك
بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها لما
ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من
اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا وما لكا * قد كنت
تسقينا فما بدا لكا * انزل علينا الغيث لا ابا لكا * في اشباه لهذا من كلام الجهال و
من لم يقومه ثقاف تاديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقلما يصدر الا من جاهل
يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابي وهذا

تعود من القول والله جل جلاله منزه عن هذه الأمور وقد روينا عن عمر بن عبد الله
انه قال ليستحي احدكم من ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى لا يقول اخزى الله الكلب و
فعل به كذا وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قلما يذكر اسم الله سبحانه الا فيما يتصل
بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقلما يقول جزاك الله خيرا اعظاما
لاسمه تعالى ان يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب
على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول
هؤلاء يتمندلون بالله سبحانه وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله
عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والموفق الله فصل وحكم من سب سائر انبياء الله
وملائكته او استخف بهم او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه الصلاة
والسلام على مساق ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله و
يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله الآية وقال تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا
وما انزل الى ابراهيم الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال تعالى كل امن بالله و
ملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب
ومحمد وقال ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم
الانبياء او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان
يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء عليهم الصلوة والسلام من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفر ضربت عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا
الاصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض اجوبته من سب الله تعالى وملائكته
قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك فيمن قال
ان جبريل اخطأ بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب والا قتل ونحوه
عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبي اشبه

يبلغ من القرب بالقراب قال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من كذب باحد من الانبياء
او تنقص احداً منهم او برئ منه او شك في شيء من ذلك فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي
في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك قتل قال القاضي
ابو الفضل وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين او على معين
ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله تعالى عليه في كتابه او حققنا علمه
بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة
الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القران من الملائكة ومن سمي فيه
من الانبياء كعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق
على قبول الخبر بهم فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من
الملائكة والرسل او الانبياء كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي
القرنين ومريم وآسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي
تدعي المجوس والمؤرخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه
اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر حال المقول
فيهم لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم
او كون الآخر من الملائكة فان كان المتكلم بذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف
العلماء في ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد
أدب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته
عمل لاهل العلم فكيف للعامة فصل واعلم ان من استخف بالقران او بالمصحف او
بشيء منه او سبهما او جحده او حرفاً منه او آية او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء
مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك
في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه

صاحب كتاب مجوس

الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام
بن احمد رحمه الله تعالى نا ابو علي اخبرنا ابن عبد البر اخبرنا ابن عبد المؤمن اخبرنا ابن
داسة اخبرنا ابو داود اخبرنا احمد بن حنبل اخبرنا يزيد بن هارون اخبرنا محمد بن عمرو
عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القران كفر تؤول
بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد اية
من كتاب الله عز وجل من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التورية والانجيل
وكتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون
ان القران المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان
من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه
المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا
قاصدا لذلك او بدله بحرف اخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي
وقع الاجماع عليه واجمع المسلمون على انه ليس من القران عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا
راى مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية لانه خالف القران ومن خالف القران
قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل
وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقاله محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله يضرب
عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه وقال وكذلك ان شهد شاهد على
على من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد اخر عليه انه قال ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا
لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان الحداد جميع من ينتحل
التوحيد متفقون على ان الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرأ عنده
رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال اراه سمع
انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر باية من

القران فقد كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القران فقد كذب به كله
ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله تعالى وقد سئل القابسي عمن خاصم
يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الاخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم
شهد اخر انه ساله عن القضية فقال انما لعنت توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد
الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التاويل اذ لعله لا يرى اليهود
متمسكين بشيء من عند الله تعالى لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على
لعن التوراة مجردا لضاق التاويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ
احد ائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف
مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك
على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن
افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي
لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القران قال ابو محمد واما من
لعن المصحف فانه يقتل **فصل** وسب اهل بيته واصحابه وازواجه صلى الله عليه
وسلم وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله اخبرنا ابو
الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل قالا اخبرنا ابو يعلى اخبرنا ابو علي السنجي اخبرنا ابن
محبوب اخبرنا الترمذي اخبرنا محمد بن يحيى اخبرنا يعقوب بن ابراهيم اخبرنا عبيدة
بن ابي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن
اذى الله يوشك ان ياخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي
فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا

وقال عليه الصلاة والسلام لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في آخر الزمان يسبون اصحابي
فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه صلى الله
عليه وسلم من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم
يؤذيه واذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام وقال لا تؤذوني في اصحابي ومن آذاهم
فقد آذاني وقال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوني في عائشة وقال عليه الصلاة والسلام
في فاطمة هي بضعة مني يؤذيني ما آذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك
في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ابا بكر او عمر او عثمان او عليا او معاوية او عمرو بن العاص فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل
وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا
من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد الى بغض ابي بكر
وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا
لسب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم ورضي عنهم عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى محمد بن ابي زيد عن سحنون
من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا على ضلال وكفر قتل ومن شتم غيرهم
من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك من سب ابا بكر رضي الله
عنه جلد ومن سب عائشة رضي الله عنها قتل قيل له لم فقال من رماها فقد خالف
القرآن وقال ابن شعبان عنه لان الله تعالى يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي
ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القرآن ما نسبه اليه المشركون سبح
نفسه بنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه

المنافقون الى عائشة رضي الله عنها فقال ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم
بهذا سبحانك فسبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تنزيهه من السوء وهذا
يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة رضي الله عنها ومعنى هذا والله اعلم ان الله
لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه واذاه
باذاه تعالى وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان حكم مؤذي نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك
كما قدمناه وشتم رجل عائشة رضي الله عنها بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسي
فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين وحلق رأسه واسلمه الى الحجامين
وروي عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم
في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتي باعرابي يهجو الانصار فقال لولا
ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك من تنقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له
في هذا الفيء حق قد قسم الله تعالى الفيء في ثلاثة اصناف فقال تعالى للفقراء المهاجرين
ثم قال والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم الاية وهؤلاء الانصار ثم قال تعالى
والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
الاية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم
انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه ولا اجعله
كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله عليه الصلوة والسلام من سب
اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية لانه سب له فان
كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين كان
على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله
عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولي القيام به قال ومن سب غير عائشة رضي الله عنها

من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فيها قولان أحدهما أنه يقتل لأنه سب النبي صلى الله عليه وسلم بسبب حسبه والآخر أنها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالقول الأول أقول وروى أبو المصعب عن مالك فيمن انتسب إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لأنه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم وأفتى أبو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل أنكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت بنت أبي بكر الصديق ما حلفت إلا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال أبو المطرف ذكر هذا لابنة أبي بكر الصديق في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو أحق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم إليه في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله وقال أبو عمران في رجل قال لو شهد علي أبو بكر الصديق إن كان أراد أن شهادته في مثل هذا لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شيء عليه وإن كان أراد غير هذا فيضرب ضربا يبلغ به حد الموت وذكرها رواية قال الفقيه القاضي أبو الفضل رضي الله عنه وهنا انتهى القول فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفى الشرط الذي شرطناه مما أرجو أن في كل قسم منه للمريد مقنعا وفي كل باب منهج إلى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في أكثر التصانيف مشرع وأودعته غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه أو مقتدي يفيدنيه عن كتابه أو فيه لأكتفي بما أرويه عما أرتئيه وإلى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة لقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره وأن يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما أودعناه من شرف مصطفاه وأمين وحيه وأسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله وأعملنا فيه خواطرنا من إبراز خصائصه ووسائله وأن يحمي أعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه

ويجعلنا ممن لا يذاد اذا فند المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن فهم بالكتابه وكتابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصة في زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا في الرعيل الاول واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى اليه من جمع الهم وفتح البصيرة لذلك حقائق ما اودعناه وفهم ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي لا يخيب من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته

على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى اله واصحابه اجمعين

وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

والحمد لله رب

العالمين

تم الكتاب بحمد الله [illegible] ربيع [illegible] الداعي [illegible]

[illegible] على ما [illegible] اغفر لكاتبه [illegible] يا خير [illegible]

خاتمة الطبع

الحمد لله منزل الكرب في الداء ومنزل الرحمة والشفاء والصلوة والسلام على سيد الانبياء واله الاتقياء واصحابه الاصفياء وبعد فيقول العبد الضعيف محمد حسن الصديقي النانوتوي قد وقع الفراغ من هذا الكتاب المستطاب المسمى بالشفا في احوال المصطفى جزى الله عنا مؤلفه احسن الجزاء ثاني شهر صفر الخير سنة سبع وثمانين بعد الالف والمائتين من هجرة رسول الثقلين صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ولقد اجاد من تفوه في تقريظه وتحسينه واحسن الانشاء نظم

شفوا داء النفوس لنا الشفاء		اضاء النور منه والثناء

ونال عتبه كل الاماني — فزال به من القلب الضراء

تلألأ نوره اذا علينا — سلام الليل عاد لنا ضياء

حوى من نظمه دررا وابهى — من الياقوت حقا لا مراء

حوى حكما وموعظة وحسنا — فصاحة من له شهدت ظباء

فصاحة خير رسل الله فيه — ومدح الله فيه والثناء

فصاحة منطق وبليغ لفظ — وحكمة حاكم وله العطاء

واخبار به تتلى علينا — كلام جامع فيه الهداء

تنزل الشفاء بما شفينا — وزال البؤس عنا والشقاء

اثاب الله جامعه ثوابا — جنان الخلد فيه له الجزاء

وزاد عتبه شرفا وفضلا — ولقاه المهيمن ما يشاء

ولعمري انه لحق وكلمة صدق وكان قد تصدى لتحشية المكرمي المولوي احمد حسن المرادآبادي من الابتداء الى النصف فعاقه عوائق من الاتمام فعطفت عنان همتي لتحشية البقية بتوفيق العلام واجتمع عندي من نسخ الكتاب وشروحه عدة التي تحريتها في الضبط والتصحيح عدة لكنها كلها قلما اخذنا من غير الشرح للملا علي القاري فانه اسهل الشروح فهما واضبطها واحضرها نطقا وتأسيا في تصحيح الدقيق الكلام وبذلنا غاية السعي والجهد فالمرجو من الناظرين ان يسبلوا ذيل العفو والاغماض على ما وقع منا من الزلة او الغلط او النسيان واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله واصحابه اجمعين

وقلت مؤرخا

بذل المصحح جهده وسعاه — ليجزى من خدا الورى بشفاعته

يا قارئا بالله قل في حقه — يغفره رب العالمين برحمته

لو شئت عام الطبع ارخ قائلا — تمت كمل الشفاء برأفته

١٣١٢